مجلة جامعة ابن رشد

Averroes University Holland

في هولندا

دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

السعر 10 يورو

العدد الثاني



مجلة

جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا

عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.

ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

الاشتراك السنوي	**الأفراد**	**المؤسسات**
لمدة سنة	60	80
لمدة سنتين	110	150
لمدة ثلاث سنوات	160	200

العدد الثاني أبريل نيسان 2011

الفهرس

..

*** لوحتا الغلاف للفنان التشكيلي العراقي قاسم الساعدي**

مفتتح

يكون الواقع والتجربة العلمية والتحكيم المستنِد إلى النظريات هو الأساس الفاعل والأكثر سدادا وحكمة، في أيّ جهد أكاديمي ذي قيمة. ومن هنا تأتي العناية بالرصانة والموضوعية وبالمنطق العقلي التنويري الذي نتمسك به بثبات.. ونحن في إصدارنا هذا العدد من مجلة ابن رشد العلمية المحكمة، نرحب بملاحظات من يمد لنا يدّ المساعدة في قراءته لمحتوياته وفي تفاصيل الإخراج والعرض وبكل ما يمكن أن يساهم في تعزيز المسيرة ورفدها بالمفردات الداعمة لتقدمها وتطورها..

إننا لنشعر بالاعتزاز كوننا ندلي اليوم بكلمة معرفية وإنْ كانت مازالت في بداية المشوار؛ فنحن نثق بأنها ستتعزز وتنمو بفضل العقول العلمية المشاركة وتجاريبها في ميادين الحياة ومنتج الإنسان المعرفي والإبداعي الجمالي بما يخدم معالجة مختلف القضايا الحياتية المتنوعة.

وجامعة ابن رشد، المؤسسة الراعية لهذه الدورية العلمية، مازالت لا تعدو عن كونها مؤسسة علمية أكاديمية في أول خطواتها.. لكن منجزنا هنا لا يبدأ من الصفر؛ لأنه يستند إلى أعمدة الفكر والتحليل والمعالجة وإلى خبرات العقول الأكاديمية التي تلتئم سويا ومعا هنا في هذه المؤسسة..

نقدم، باعتزاز، في هذا العدد رؤى ومعالجات في العلوم الإنسانية بعضها يتضمن أسئلة وربما من الأفكار والمواقف ما يتطلب حوارا وتفاعلا نتأمل أن تتناوله أقلام النخبة الألمع بالتعديل

والتجريح النقديين بأفضل أدوات عصرنا ومعاييره العلمية... وربما عنَّ لباحثة أو باحث أن يقدم تفاعله بدراسة مقابلة في رؤية نظيرة معارضة وبحلول مختلفة للإشكالية ذاتها مُدرجة في بحث محكّم جديد، فمرحى به..

مباركين هنا لكل من ساهم بهذا العدد شاكرين لهم وجودهم معنا. وآملين بمساهمات نوعية جديدة تتقدم بنا خطوة أخرى بعيدا عما صادفنا ويصادفنا من هفوات و\أو ثغرات غير مقصودة.. أما الجديد الذي نعد به في أعدادنا التالية والذي نضعه بين أيدي مستشاري دوريتنا والأكاديميين جميعا، فيكمن في إقرار توجه استراتيجي لدوريتنا كيما تتحول إلى أسلوب يركز في كل عدد على محور رئيس فيه..

فعدد في الاقتصاد وشؤونه ومعضلاته نعمل على طبعه باسم المفكر المرحوم إبراهيم كبة وآخر سيحمل اسم عالم جليل آخر هو المرحوم عبدالجبار عبدالله وسيعالج موضوع التعليم العالي وآفاق تطويره وتحديثه.. فيما سنعالج موضوعات المسرح والمسرحية والفنون والآداب بعامة وارتباطها بعالمنا، في دراسات جمالية فكرية تستند إلى دور العلم في قراءتها بأعداد أخرى..

أيتها الزميلات.. أيها الزملاء ويا طلبة العلم نؤكد مجددا ودائما بأننا بكم ومعكم نتقدم.. سلمت مواقف دعمكم ومعاضدتكم للجهود العلمية.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

الأدب وعلوم اللغة

النص السيرذاتي: قراءة في روايتي "الوطن في العينين" و"من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع..

الباحثة : د. ليلى جباري[*]

Titre de cette étude :
Le texte autobiographique : dissertation de deux romans de Hamida Naana « al watan fil'ainain » et « man yajrou- alaschouk »

Nom du chercheur : Djebari Leila
Grade : Maitre de conférence en littérature comparée
EMail : djebarix@yahoo.fr

(*) - الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة في الأدب المقارن Constantine-Algerie .

ملخص

يأمل هذا المقال الاقتراب من الطروحات النظرية لرواية السيرة الذاتية وفقا لتصورات فيليب لوجون Philippe Lejeune ، جورج ماي Georges May و بلمان نويل Jean و تبين الدراسة أنّ السارد لا يقف عند تدوين تجاربه الذاتية إنما يعيد تشكيل الأحداث من Bellemen-Noêlمنظور مغاير عما هو مجسد في المرجع الذاتي الواقعي ؛ لذلك لا يمكن التلميح إلى حقيقة مطلقة حينما يتعلق الأمر بتسجيل السيرة الذاتية، و إن أوحى لنا الكاتب بذلك. و قد مثلنا لهذا الغرض روايتي"الوطن في العينين" و "من يجرؤ على الشوق" لحميدة نعنع، و اعتمدنا في مقاربة هذين النصين منهجا حداثيا ممثلا في الشعرية المعاصرة(التحليل النصي و النقد النفسي). و تكمن نتائج هذا البحث في كون النص السيرذاتي لا يجسد صدق التجربة الشخصية للكاتب،إنما يتم المزج بين المرجع الواقعي و التخييلي أينما يتعذر تجاوز أساليب التمويه و المراوغة .

Résumé

Cette étude se propose d'aborder les approches théoriques du roman autobiographique d'après les définitions proposées par Philippe Lejeune,Georges May et Bellemen-Noêl. L'analyse est penchée essentiellement sur le narrateur qui ne se contente pas de rapporter les évènements de sa vie privée, mais en jugeant les caractères

de ces évènements. Et même si l'auteur prétend d'être sincère, il est illusoire de croire à une vérité absolue dans une autobiographie. Nous nous baserons pour cela sur les deux romans de Hamida Naa-na « Alwatan-fil'ainain» et «Main yajrou-alaschouk », les textes ont été étudiés dans un cadre moderne tout en adoptant la poétique moderne (Textanalyse et psychocritique). Enfin l'écriture autobiographique ne propose pas une représentation fidèle de la personnalité de l'auteur, ou se rencontrent la dimension référentielle et la charge fictive, mais un mélange de fictif et d'authentique.

مقدمة

لعله من المفيد القول إن النص السيرذاتي نص منفتح يخضع لقراءات متعددة يشكل التخييل دورا مركزيا، فيكتسب الخطاب دلالات نفسية و شعورية و تضمينات تترجم ذاتية المبدع في صورة علامات نصية. و قد تتداخل شخصية المبدع مع بطل الرواية ، فيحيلنا الأثر الأدبي إلى مشاهد رمزية مستوحاة من تجارب مختلفة و إشارات سيرذاتية صريحة، و ربما يحدث هذا و بشكل خاص في النتاجات الأدبية التي تكتبها المرأة، فيخلط القارئ بين كاتبة النص و بطلاتها، و يوحى له أن ذلك لا يتعدى الاعترافات التي تبوح بها المرأة و التي استقتها من تجاربها الخاصة. إلا أن هذا التداخل لا يعني بالضرورة التطابق حدّ التماثل، فالنص يشكل عالما مفارقا لواقع المبدع لحظة الكتابة، إذ يتم توظيف الزمن النفسي الذي يخضع لمجموعة من الإحالات اللاشعورية، فضلا عن أهمية الفضاء التخييلي في تشكيل النص الاستعاري و خلق الهوة بين السارد و المؤلف.

الكلمات المفتاحية

ميثاق السيرة الذاتية - رواية السيرة الذاتية –الكتابة النسوية- التخييل- التمويه و المراوغة- التحليل النصي- النقد النفسي –الإيحاءات الترميزية – الزمن النفسي- الشخصية الحكائية- المقاصد اللاواعية- المذكرات الشخصية.

التعرجات المفاهيمية لمصطلح السيرة الذاتية Autobiographie

نسعى في هذا المبحث إلى الإحاطة بمصطلح السيرة الذاتية Autobiographie لما ينفرد به من تقنيات فنية مثل التخييل و التمويه أو عجز الذاكرة عن تشكيل الحدث. ففي ضوء الدراسات النقدية الحديثة، لا تمثل السيرة الذاتية لدى (رينيه ويلك Réné Wellek) نسخة مطابقة لحياة المؤلف " فالعمل الفني يصوغ وحدة على مستوى مختلف تماما، و بعلاقة تختلف تماما مع الحقيقة الواقعية عن علاقة كتاب مذكرات أو يوميات أو رسائل... حتى عندما يحتوي العمل الأدبي على عناصر تتأكد من مطابقتها لسيرة الكاتب، فيكون قد أعيد ترتيب هذه العناصر و تحويلها إلى عمل تفقد فيه كل معناها الشخصي لتصبح مادة إنسانية عينية، أو عنصرا متكاملا من عناصر العمل الفني. "(1)

و إذا كان أدب السيرة الذاتية قد لقي انتشارا واسعا في الآداب الغربية، فإن الأمر ليس كذلك في الأدب العربي، و لعل هذا مرتبط بمجال الحرية الإبداعية و الفكرية الذي يتحرك في إطارها المبدع العربي، إذ لا ينحصر الأمر في المكاشفة عن الذات، بل الإفصاح عن السياقات الثقافية و

الاجتماعية و السياسية التي لا يكاد يخلو منها نص سيرذاتي. ولم تتضح الأسس الفنية لأدب السيرة الذاتية إلاّ مع ظهور أدب المذكرات الشخصية في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، كما الحال في اعترافات جان جاك روسو، Les confessions de Jean Jacques Rousseaux إذ كان لظهور هذا المصطلح الجديد في اللغة الفرنسية أهمية كبرى للاعتراف بهذا الجنس الأدبي. (2)

و بإلقاء نظرة على بعض التّعاريف النقدية لمفهوم النص السيرذاتي ، يتبين أن النص لدى جان بيلمان نويل J.Bellemeen -NOEL، مغاير عن شخصية الكاتب، كون السرد في السيرة الذاتية لا يقف عند وظيفة الإبلاغ، إنما ينهض أساسا على الخلق و التخييل، بما يزيح الذات عن النص الذي أعيد تشكيله. (3)

و السيرة الذاتية في تصور فيليب لوجون Philippe Lejeune " نص نثري استرجاعي يتولى سرده شخص ما، يروي من خلاله جزءا من حياته الشخصية و تاريخه الخاص، و يحدد ذلك بمجموعة من الركائز يقوم عليها جنس السيرة الذاتية أهمها التطابق بين المؤلف و السارد..."(4)

و ما يلفت الانتباه في هذا الموضع أنّ فيليب لوجون، و بعد سنوات عديدة من إصداره لمؤلفه ميثاق السيرة الذاتية Le pacte Autobiographique، وضع كتابا آخر "أنا أيضا" MOI AUSSI، ضمنه " انتقادا لمنهجه التجريبي الاستقرائي الذي افتقد إلى الدقة و المرونة، كما أحالنا إلى تصور جديد تمثل في كون السيرة الذاتية لا تقف عند رصد التجربة الشخصية، إنما في غالب الأحيان، يتم المزج بين المرجع الواقعي و التخييلي، و توظيف أساليب التمويه و المراوغة ."(5)

يعد أسلوب الاسترجاع و التذكر الذي ورد في تعريف فيليب لوجون من أهم تقنيات السيرة الذاتية و الإطار الخيالي العام الذي يتم من خلاله استعادة أحداث الماضي، يفضي ذلك إلى الحديث عن المطابقة المفترضة بين المؤلف و عمله الفني، إذ " يحقق الكاتب هدفه من ربط ما سيجري بما يحدث في الواقع... و ما انعكس على سيرته بفعل الزمان من أحداث و ما جرى فيها من وجهة نظر السارد دائما... "(6)

فنحن نلمس أحيانا تطابقا بين الراوي و الشخصية الفنية في تقديم النص السردي، ما يستدعي القول إن هناك تماثلا بينهما، إلا أن العمل الأدبي يتضمن تفاصيل غامضة و معدلة عن تجربة الكاتب الشخصية التي تختلف من دون شك عن تجربته الفنية. فقدرة النص على إعادة تشكيل الواقع من المقومات الأساسية التي ينهض عليها الأثر الأدبي. من أجل ذلك تقوم الصور " مقام الدليل المحرض على تداعي الأفكار، و تسمح بالكشف عن الأسطورة

الشخصية، و في العالم الروائي أو المسرحي كل شخصية على جانب من الأهمية تمثل وجها من وجوه التغيير يخص صورة أسطورية عميقة، و ليس المقصود دراسة شخصية لذاتها، بل حالتها في الشكل الكامل الخاص بالأثر، في معماريته."(7)

إن التماس الفني بين النص الأدبي (الرواية) و السيرة الذاتية يندرج في إشكالية تداخل الأجناس الأدبية، فغالبا ما نواجه صعوبة في التمييز بين السيرة الذاتية و الرواية، إذ يشكل الراوي حيزا هاما في بناء النص و تقديمه في صورته الجديدة. " فالسيرة الروائية هي نوع من السرد الكثيف الذي يتقابل فيه الراوي و الروائي، و يندرجان معا في تداخل مستمر و لا نهائي، يكون مصدرا لتخييلات الراوي، الكيان الجسدي و النفسي و الذهني للروائي، يشرح، و يعاد تركيبه، التجربة الذاتية تشحن بالتخيل، توفر هذه الممارسة الإبداعية حرية غير محدودة في تغليب التجربة الشخصية للروائي و إعادة صوغ الوقائع واحتمالاتها..."(8)

فالطابع التخييلي هو المهيمن على النص السردي، و السيرة لا تسترجع ماضي الشخصية بشكل صريح و بكل حيثياته، إذ يشكل الترميز الفني حيزا هاما في إنتاج النص الجديد. فأهمية " التجربة الذاتية المستعادة و المصاغة صوغا فنيا يناسب متطلبات السرد و التخيل و مقتضياتها، ذلك أن المادة التي يفترض أن تكون حقيقية أو أصلية، لا يمكن أن تحتفظ بذلك، فما إن تصبح موضوعا للسرد إلاّ و يعاد إنتاجها طبقا لشروط تختلف عن شروط تكونها قبل أن تندرج في سياق التشكيل الفني..."(9) مما يجعل الأثر الأدبي يخضع لقراءات متباينة مستوحاة من مدارس نقدية مختلقة، و يتيح للقارئ التأويل و البحث فيما وراء المقاصد الواعية للكاتب و تجنب إسقاط المفاهيم الجاهزة.

مقاربة نقدية /

شهدت فترة السبعينيات و ما بعدها في العالم العربي حضور المرأة مبدعة و بطلة للتجربة لتحقيق الذات النسوية من جانب، و تجسيد التأزم العربي و تشريح مأزق الذات من جانب ثان، واستبدلت الذكورة بالأنوثة بعدما كان الرجل الشرقي مركز الاهتمام. و لما كانت السيرة الذاتية تقع في دائرة المحظورات الاجتماعية، فإن المبدعة العربية اتخذت من المراوغة الميثاقية أسلوبا لممارسة محكياتها المتخيلة. فالنصوص الإبداعية ليست دائما بريئة، لذلك " يكتسب فعل الإبداع قيمة خاصة لدى المرأة الكاتبة... التي تمثل عملية تحرر من حيث أنها موضعة للتجربة و المعاناة و الحاجات و التصورات و الأحلام، تبني و تكشف و تعرض المكتوب للنظر العام و للتفاعل و الرد و الاستجابة و النقد في بنيان أوسع."(10)

ضمن هذا السياق، يمكن اعتبار المنجز الروائي فضاء تقتحمه المبدعة لسرد محكياتها من خلال اشتغالها على تقنية الاسترجاع لذاكرتها الشخصية، كما يبينه المشهد التالي:

" لم أعد أذكر شيئا لكنني وجدت نفسي في المساء أتجه إلى المقهى...ألقيت نفسي على الكرسي، و كأني أهوي إلى قاع الأرض المظلم البارد، و للحظات، مرت حياتي أمام عيني كشريط سينمائي لا علاقة له بالحقيقة: مولدي و طفولتي في ذلك الجنوب المحتل...هجرتي إلى بيروت ... الجامعة الأمريكية...الغربة في الوطن...الميناء المفتوح للجنوب و الحرية ... ندّت عنّي صرخة مكتومة أيقظت أصدقائي الثلاثة، ربما من رحلة مماثلة إلى الماضي تعلقت عيونهم بوجهي و أحسست أنني مطاردة بألوف الأسئلة المهيمنة التي لا أملك لها إجابات" (11)

ترد في الاقتباس حمولات دلالية تومئ بالتأزم الذي تعانيه البطلة مما حدا بها للبحث عن هوية ضائعة في مدينة باريس التي تشكل النواة المركزية، و استدعى ذلك استعارة بعض التفاصيل الرمزية التي تحيلنا إليها الروائية عبر تقنية الكشف عن حدّة المعاناة في ظل المحظورات و القهر الاجتماعي. و النص موزع على مجموعة من الإحالات سُخرت لتشخيص الطابع السيكولوجي للشخصية الروائية، و الخطوط تتقاطع بين الساردة و موضوع سردها مما يوحي للقارئ باحتمال صدق الأحداث و ووقوع الخطاب الروائي في مسار شخصي نمطي. و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الرواية أكثر الأجناس الأدبية تعبيرا و احتواء للغة البوح و المكاشفة، و ارتباط ذلك بانفعالات الذات ونوازعها النفسية؛ إذ " قد تكون الأعمال القصصية و الروائية من الأعمال الفنية الأكثر اقترابا من ميدان علم التحليل النفسي، و قد حظيت منذ تأسيس هذا العلم مع فرويد باهتمام خاص من قبله، تمثل في انكبابه على دراسة بعضها و باستشهاد متواصل بشخصيات و أحداث مختلفة." (12)

فكثيرا ما يشكل الحدث النفسي المركز الأساس في العمل الأدبي للتعبير عن مكنونات النفس، و تمرير الخطابات التمويهية التي تحددها دلالات اللاوعي في النص. لعلنا نلامس ذلك بجلاء في عديد من مقاطع رواية "الوطن في العينين"، إذ تتحول السيرة الذاتية إلى عمل تخييلي يتشكل من تجارب الكاتبة و ذكرياتها، على أنه يفترض أن يكون النص بناء مغايرا عن تجربتها الشخصية. تحيلنا "حميدة نعنع" عبر مجموعة من الرسائل و المذكرات إلى زمن الانكسار و التمزق الذي مر به لبنان في أثناء الحرب الأهلية وتجعله يتقاطع مع الزمن الباريزي:

" يأتي الثري الغريب إلى البيت و يعدُني بالفرح و المال و السعادة... ألمح الكلمات تخرج من بطنه و عينيه لتتبدد في سماء الغرفة كذبا.. . الأموال

لا تغريني...يرحل الثريّ الغريب و تبكي أمي حزنا عليه...أسقط مريضة ... أنتظر أياما... شهورا ... سنة ثم أرحل عن البيت. كان عليّ أن أرحل إلى أيّ مكان في العالم يخلصني العذاب الرهيب الذي أعيشه في عينتاب. عندما جاءني خالد يخبرني بترشيحه في بعثة تدريبية إلى فرنسا، قلت له و دون تردد: سأرافقك و في داخلي قرار اتخذته في لحظات وحدتي و هكذا جئت باريس أبحث عن المرأة في دمي، لكنني عبثا فعلت."(13)

فنحن نلمس لغة المكاشفة التي تحاول الكاتبة توظيفها ضمن خطاب تنكشف من خلاله دواخل النفس ومكنوناتها لتحقيق رغباتها اللاواعية (14)، مثلما يحيلنا المقطع ذاته إلى التقاطع بين الشخصية الفنية وذات الكاتبة، و قد يكون شكلا من أشكال الإسقاطات التي تلجأ إليه المرأة المبدعة مستفيدة من سيرتها الذاتية و تقنية المراوغة. و إن كنا لا نؤيد في هذا الموضع (فرجينيا وولف Virginia Woolf) فيما ذكرته من أسباب لجوء المرأة إلى كتابة السيرة الذاتية رغبة منها في التعبير عن معاناتها ، إذ " يمكن رؤية العملية الإبداعية باعتبار أنها شكل من أشكال النشاط العقلي المركب الذي يتجه الشخص بمقتضاه نحو الوصول إلى صورة جديدة من التفكير،اعتمادا على خبرات و عناصر محددة، يعتبر الإبداع قدرة على التفكير في نسق مفتوح و قدرة على إعادة تشكيل الخبرة في أشكال جديدة ."(15)

و في أكثر الأحيان، فإن مخيلة الكاتبة تقدم شخوصا لا تتفق –حتى في شكلها العام- مع شخصيتها و آرائها الخاصة، لكن قد يحلو لبعض القراء أن يخلطوا بين كاتبة القصة و بطلاتها، ظنا منهم أن ممارسة المرأة للإبداع ما هو إلا تعبير عن مشاعرها و تجاربها الذاتية. فهم " يرفضون أن يصدقوا أنهم يقرؤون عملا فنيا استوحته كاتبتة من أكثر من تجربة و أنشأت من الكل معمارا جديدا. و هم لا يستمتعون بما يقرؤون إلا باعتباره اعترافا تدلي به المرأة عن أسرارها الخاصة، أو لعل ما يساعد على هذا الوهم الشائع هو أن معظم قصاصاتنا يكتبن بضمير المتكلم، ضمير الاعتراف، ما يوحي أنهن يتحدثن عن تجربة شخصية، و لا يريد القارئ أن يصدق أن هذا الضمير إنما هو ضمير الشخصية الفنية و ليس ضمير الكاتبة. " (16)

و نحن نطالع رواية "الوطن في العينين" و ما تحيلنا إليه حميدة نعنع من تلميحات تقترب من عالم السيرذاتي، يتم تمرير الأفكار عبر سرد متدفق و دقة في عرض الأحداث، بما يجعل المتلقي مندمجا مع الشخصية الروائية و وقوع النص في مسار شخصي نمطي. و عبر مسار سردي ينهض على تقنية التذكر، و حيث تتداعى ملكة الخيال دونما قيد، تغوص الراوية في ذاكرة الماضي تعبيرا عن مكنوناتها الداخلية، و بحثا عن مساحات من الحرية لاختراق محظورات المجتمع الشرقي.

" موجة غضب تجتاحني... تنظر إليّ بشيء من التوسل و كأنني أفقأ في داخلك جراحا قديمة، لكنني عنيدة و قاسية في لحظات الإصرار، أشعر أنّ العالم ينبثق من داخلي و يتوزع على خيوط النور في الوقت الذي أشاء، هذا ما منحني لفترة طويلة إحساسا بالتفرد يقترب من النرجسية المطلقة في لحظات خطرة من عمري... "(17)

يُفصح الخطاب عن المستويات النفسية للشخصية الروائية التي يتمركز حولها السرد و حيث يتبين الترابط العلائقي بين الذاكرة و الزمن، غير أن التداخل بين نص السيرذاتي و المرجعية الذاتية لا يعني بالضرورة المماثلة حدّ التطابق، إ ذ يشكل المنجز السردي عالما مفارقا لعالم المبدع في أثناء مرحلة الكتابة و يتم تدوين الاعترافات تدوينا فنيا لا يتطابق مع تلك المرجعيات، بحيث يتم توظيف الزمن النفسي الذي يخضع بدوره للعوالم اللاشعورية للشخصية الروائية " فبناء الرواية يقوم من الناحية الزمنية على مفارقة تؤكد طبيعة الزمن التخييلية. فمنذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى، و يعلم القاص نهاية القصة، فالراوي يحكي أحداثا انقضت و لكن بالرغم من الانقضاء، فإن الماضي يمثل الحاضر الروائي ." (18)

فالزمن في رواية " الوطن في العينين" زمن متخيل، يختلف عن زمن الواقع الذي تقدمه شخوص و أحداث الرواية، لذلك نميز في هذا الموضع بين زمنين زمن القص و هو زمن الحاضر الروائي أو الزمن الذي ينهض فيه السرد/حاضر الشخصية الرئيسية/ زمن سيكولوجي يوحي بمعاناة الراوية و بقلقها النفسي. بينما زمن الوقائع فهو " زمن ما تحكي عنه الرواية، ينفتح في اتجاه الماضي فيروي أحداثا تاريخية أو أحداثا ذاتية للشخصية الروائية، و هو بهذا له صفة الموضوعية و له قدرة الإيهام بالحقيقة ."(19) و الرواية ينفتح زمنها نحو الماضي حيث تسرد الراوية وقائع اجتماعية و ترصد حالات ذاتية، هذا الانفتاح ليس كليا يقطع الصلة بالحاضر، بل نجد الراوية لا تنفلت من أحاسيسها تجاه الواقع الرّاهن الذي تعيشه المرأة. و في لحظة الكتابة يتقاطع زمن القص مع زمن الوقائع و يكوّنان معا زمن الخطاب، و هو الزمن الذي يربط نص السيرة الذاتية بلحظة الكتابة، " فحقيقة الذكريات ليست إذن وقائعية بل نفسية. و الكتابة المتعلقة بالسيرة الذاتية إعادة كتابة طفولة و تاريخ ننقحها جميعنا طوال حياتنا بصورة حكاية."(20) حيث تنطلق الراوية من الحاضر لتسترجع أحداث الماضي و هو الزمن المتخيل المغاير عن زمن الوقائع المرجعية التي تلمح إليها الرواية، على أن التذكر الذي يتأسس في المتن الروائي يعرض خطابا مختلفا عن التجربة الذاتية، و يشتغل عنصر الإضافة على نسج عالم من التخييلات ، بحيث لا تنحصر

وظيفة السرد ضمن وظيفة التبليغ إنما تنسج عالما استعاريا مستوحى من الحاضر.

تتضح براعة حميدة نعنع في تقديمها لعالم تخييلي قد يحقق شرط الإقناع بمرجعية الأحداث التي ترويها الساردة ، بما يوحي أن المدون الحقيقي لهذه الوقائع هو مؤلفة الرواية نفسها، نستشف ذلك من المرويات التي وردت في المتن الروائي :

" بيروت تلاحقها كيفما اتجهت، فمن أين نبع ذلك العشق القاتل؟

بيروت...أخبار بيروت تطغى عليها، أخبار كثيرة و لبنانيون تائهون في شوارع باريس ... يوم غابت بيروت عن عينيها أصبح سهلا أن تكون أيّ امرأة أخرى غير نادية ... امرأة أخرى تتجه إلى أيّ مكان آخر... منذ غابت بيروت أصبحت مفردات الحياة اليومية التي كانت تمنحها كما تمنح أيّ إنسان هويته ، منذ غادرت بيروت أصبح عقلها هو الرباط بين هويتها و جسدها، لكن إلى متى يمكن للعقل وحده مع انعدام أيّ صلة محسوسة بالوطن أن يظل هو الرباط؟ "(21)

تستحضر الروائية شخصية "نادية " التي تمثل وظيفة مرجعية Fonction référentielle و الذات الفاعلة في المنجز الروائي (22)، فمن خلال الرؤية السردية التي اصطنعتها حميدة نعنع يتجلى النسق العلائقي بينها و بين شخصية" نادية". و في ضوء معطيات التحليل النفسي فإن رواسب الماضي تلاحق هذه الشخصية و تشكّل لها تداعيات ، تكشف عن إكراهات الماضي و الإحساس بالاغتراب عن الوطن ، و هي إسقاطات أساسها اللاوعي دفعت بهذه الشخصية إلى فقدان توازنها النفسي و البحث عن بدائل لمعاناتها ، " ذلك أن تحقق اللاوعي لا يعلن عن نفسه إلا بطرق و أساليب ملتوية، و مع كل الالتباسات المموهة لحقيقته و المخففة لوقع حضوره ."(23) هذا إذا أضفنا أنّ الخطاب الذي ينتجه كاتب السيرة الذاتية يوثق في أكثر الحالات بتوظيف الأساليب التمويهية ، بما يتيح قراءة النص من الداخل كما يؤكد ذلك جون بلمان نويل Jean Bellemeen- Noel.

و قد يتساوى الراوي مع الشخصية الحكائية على حد تعبير تودوروف Todorov، بحيث تكون معرفة الراوي على قدر معرفة الشخصية الحكائية (24) ،و يستخدم في هذا النوع من السرد ضمير المتكلم لتشكيل خطاب يقترن بالأنا النرجسية التي تمثلها الذات المتكلمة. فالراوي يكون مصاحبا للشخصيات، يتبادل معها الحكي و المعرفة، و يتجلى هذا النوع من السرد في الروايات ذات البطل الإشكالي و في الكتابات السيرية التي يلجأ فيها المبدع إلى المواربة و التخفي و حيث تُشكل المرويات عوالم سردية في ذاكرة الشخصية الروائية :

" النجمة على جبينها و وطنها في عينيها. تلك القادمة من الشرق ... الباحثة في مقابرنا عن حل لمشاكلها و مشاكل وطنها. صفع الغرب أبوابه في وجهها و أبواب بلادها مقفلة... دخلت نادية مكللة بتاج من النار. عيناها بحيرة ليلية... شعرها أسود كالليل الذي يتسلل إليه من الكوة في أعلى الجدار و لا نجوم في ليالي السجون. ثيابها بيضاء كعروس خارجة من البحر، جميلة فاتنة... تنتظر أن يتقدم إليها فيطبع على جبينها قبلة لقاء في منافي بعيدة عن الوطن."(25)

نلامس الذات المتعالية التي تنكشف عبر مدلولات النسيج الروائي و تفصح عن مستويات نفسية و تعبيرية ، بحيث تستثمر الكاتبة المرجع الشخصي و التاريخي موازاة مع استدعائها لإشارات ترميزية لإيهام القارئ باحتمال صدق الأحداث المروية ؛ فضلا عن الصيغ الكلامية التي تؤكد حميميّة العلاقة بين الكاتبة و الراوية، إذ لا يكاد يخلو نص روائي من ذاتية الكاتب التي تعد جزءا هاما من التجربة الإنسانية. فالتحليل النفسي " يسعى إلى معرفة خلفية الانطباعات و الذكريات الشخصية التي استند إليها الكاتب لبناء عمله، و هذا يعني أننا ننتقل من النص إلى السيرة الذاتية و من الشخصية إلى الكاتب." (26)

هناك ثنائية ملازمة للسيرة الذاتية ممثلة في الأنوثة و الذكورة ، تفصح "حميدة نعنع" من خلال عملها الفني و عبر هذين العالمين عن تاريخ الشخصية الروائية بوصفها كائنا ألسنيا لا وجود له خارج حدود النص على حدّ تعبير رولان بارت Roland Barthes (27)، و لإبراز حدّة معاناة البطلة فإن الروائية تخترق عوالمها الداخلية و تمزج بين المتكلم و المخاطب / الذات و الآخر:

" أنت بعيد ... بيننا قارات و بحار... و عينتاب التي تحترق في صدر البحر من الطرف الآخر ، أنت بعيد و العودة إلى بيتي تخيفني... أخاف وحدتي و صدر سريري و خارطة الوطن التي تستقر على الحائط المقابل كجثة ... في كل يوم أفتح التابوت الخشبي و أنظر إلى الجثة فأشعر بشيء من الفرح لأنها لم تتعفن، الوطن يموت أو بالأحرى مات، لكنه لم يتعفن... "(28)

مثل هذه المرويات الواردة في المتن الروائي تومئ بإسقاطات اللاوعي التي تبوح بها الكاتبة و تكشف عن مساحات واسعة من الهواجس و الأحلام المفتوحة على كل التأويلات الممكنة، إذ تقمصت "حميدة نعنع" دور الراوية و جعلتها تتولى توصيف الجانب السيكولوجي للشخصية الروائية بما أتاح لها الولوج إلى عوالمها الداخلية لتمثيل انكسارات الوطن و تشخيص قناعاتها الذاتية و الفكرية، مما يدعو القول إن الخطاب يتأرجح بين البوح الذاتي و الممارسة الإبداعية.

نتائج البحث

ترتكز روايتا "الوطن في العينين" و "من يجرؤ على الشوق" على الفضاء التخييلي لما له من أهمية في خلق الهوة بين الكاتبة و الراوية التي تسرد أحداث و وقائع النصين. فالمنجزات السردية و من بينها رواية السيرة الذاتية تتسم بالطابع الاستعاري، بحيث يشكل الترميز حيزا هاما في بناء النص و إعادة تشكيله و تقديمه في صياغته الجديدة.

و التجربة الروائية للأديبة اللبنانية "حميدة نعنع" بُنيت على تماه سيري فيه مزيج من المذكرات الشخصية و المرجعيات التاريخية، في الوقت ذاته الذي تم توظيف أساليب التنكر و المراوغة ؛ و يترتب على ذلك إقرار بتعدد قراءة النص السيرذاتي و بالترابط العلائقي بين ما هو سردي و نفسي، لتصبح اللغة و السرد هما الركيزتان الأساسيتان اللتان ينهض عليهما التحليل النفسي. فالمعاني المبطنة يتم تأويلها وفق مستويين، مستوى الأثر الأدبي و مستوى الشخصيات الروائية داخل النص، و الإسقاطات اللاواعية تكشف عن العوالم المتخفية التي تتجلى في أكثر الأحيان في شكل أقنعة، من أجل ذلك كان ضروريا اعتماد التحليل النصي، والاهتمام بالأثر الأدبي دون الوقوف عند كاتبة النص.

مراجع البحث:

1- رينيه ويلك، أوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981، ص80

2- Jeorges may, l'autobiographie, presses universitaires de France, paris, 1979.pp 18-22.

3- Jean Bellemeen-Noêl,vers l'inconscient du texte, presses universitaires de France, Paris 1996.p 52

4- Philippe Lejeune, le pacte autobiographique , collection poétique édition du seuil, Paris1975.p14.

5- Philippe Lejeune, Moi aussi, édition du seuil, Paris1986.p63.

6- حاتم الصكر: الرواية و السيرة الذاتية من المماثلة إلى المطابقة، نموذج (دملان) لحبيب عبد الرب سروري، متاح على الشبكة www.netnews -wekarticle

7- جان لوي كابانس : النقد الأدبي و العلوم الإنسانية، ترجمة فهد عكام، الطبعة الأولى، دمشق 1982 ،ص ص 53-54 .

8- عبد الله إبراهيم، إشكالية النوع و التهجين –متاح على الشبكة- www.nizwa.com

9- المرجع نفسه

10- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، أسئلة الإبداع و ملامح الخصوصية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات، دار كتابات و مهرجانات سوسة الدولي، الطبعة الأولى، تونس 1999، ص20 .

11- حميدة نعنع، من يجرؤ على الشوق، الطبعة الأولى، دار الآداب 1989، ص 7

12- سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1986، ص25

13- حميدة نعنع، الوطن في العينين،الطبعة الثانية ،دار الآداب ، بيروت1986، ص32

14-Voir Marie-Madeleine Touzin, l'écriture autobiographique , collections parcours de lecture, Bertrand Lacoste, Paris 1998.pp 82-83

15- ماجد موريس إبراهيم، سيكولوجية القهر و الإبداع، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت 1999، ص 90

16- يوسف الشاروني، القصة الثانية بعد الألف، مختارات من القصة النسائية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975،ص.15

17- حميدة نعنع، الوطن في العينين، ص ص 8-9

18- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة 1984، ص 28

19- يمنى العيد، في معرفة النص، الطبعة الثالثة، دار الآداب، بيروت 1985، ص 227

20-عبد الله إبراهيم،إشكالية النوع والتهجين السردي،متاح على الشبكة: www.nizwa.com

21- حميدة نعنع ، من يجرؤ على الشوق ص ص 168-169

22-Vladimir Propp, Morphologie du conte, seuil 1970 Paris. p31

23- سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي، ص 41

24- Tzvetan Todorov, catégories du récit littéraire, in communications n°8, édition du seuil, Paris 1981. p149

25- حميدة نعنع، الوطن في العينين، ص ص 192-193

26- هان رايف تاريبه، النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة قاسم مقداد ، وزارة الثقافة السورية 1993، ص ص 195-196

27- Roland Barthes, l'effet du réel, communications n°11, Paris 1968, p25

28 - حميدة نعنع،الوطن في العينين، ص 70

.

مقاربات نظريّة في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النصّ الروائي

د. محمد عبد الرحمن يونس .
قاص وباحث وروائي وأستاذ جامعي
جامعة ابن رشد ـ كلية اللغة العربية ـ قسم الأدب العربي، هولندا
younesmoon@hotmail.com

للمكان أهميّة كبيرة في بناء الحدث الحكائيّ، فهو البنية الأساسيّة من بنياته الفنيّة، و لا يمكن تصوّر أحداث قصصية إلاّ بوجود مكان تنمو فيه و تتشعّب، لأنّ المكان يحتوي على الأحداث و يبنيها و يشعّبها. و من داخل الفضاء المكانيّ تتم عمليات التخيّل و الاستذكار و الحلم، فلا يمكننا أن نتخيّل بطلاً أو شخصية قصصية تفكّر و تتفاعل مع أخرى، و تراقب و تحلّل الأوضاع الإيديولوجية و الاجتماعيّة، أو تثبت رؤاها إلاّ من داخل المكان ومن خلاله.

و يحدّد المكان في النصوص الحكائيّة مسار الشخصيات، و هو ضروري بالنسبة للسرد الحكائيّ، لأنّ السرد، و لكي ينمو و يتطوّر، فإنّه يحتاج إلى عناصر زمانيّة و مكانيّة، و الحدث « لا يُقدّم سوى مصحوب بجميع إحداثيّاته الزمانيّة و المكانيّة، و من دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدّي رسالته الحكائيّة »[(1)].

إنّ الفضاء المكانيّ بامتداداته و مكوّناته يساعدنا على فهم الشّخوص التي تقطنه، و وضعها الاجتماعيّ، و تكوينها السياسيّ و الفكريّ و الإيديولوجيا المعرفيّة التي تتبناها، و بالتالي يمكّننا من أن نفهم مجمل الأوضاع السياسيّة و الثقافيّة و الاقتصاديّة لمجتمع من المجتمعات، أو مدينة من المدن، فالفضاء المكانيّ « لا يتشكّل إلاّ عبر رؤية ما، بل و يمكن القول بأنّ الحديث عن المكان (...) هو حديث محوّر عن رؤية ذلك المكان و زاوية النظر التي يتّخذها الرّاوي عند مباشرته له. فالرؤية التي ستقودنا نحو معرفة المكان و تملّكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الرّاوي و يدركها وعيه

---

(1) – عن/ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990م، ص 29. و أخذ بحراوي عن/
Grivel, Charles: Prodoction de l`interet romansque, E.D Mouton, Paris, 1973, P. 101.

قبل أن يعرضها علينا في خطابه »[2]. و الفضاء المكانيّ في النصوص الحكائيّة يكشف عن عادات سكّانه، وتاريخهم الثقافيّ و المعرفيّ و السياسيّ، بتعبير آخر إنّه يقدّمهم في صيرورتهم التاريخيّة و الحضاريّة. و يرى أحد الباحثين « أنّ المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنّه يجعل القصة المتخيَّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة »[3].ويعدّ المكان ((البوابة الأقدر على تمكين القارئ من النفاذ إلى دواخل الروايات واكتناه أعماقها))[4]

و من هنا، فإنّ تشكّل الأحداث و سيرورتها يفترض صوراً جديدة للأمكنة، سواء أكانت واسعة أم ضيّقة[5]. و يرى بول كلافال أنّ المكان بالنسبة لقاطنيه يشكّل رمزاً للأمان، و مصدراً للاعتزاز و التعلّق. يقول[6]: « المكان هو أحد الدعائم المفضّلة للنشاط النموذجيّ، ينظر إليه من يسكنونه أو من يعطونه قيمة، و ذلك بطرق مختلفة، يُضاف إلى الامتداد الذي يشغلونه، و يتجوّلون فيه و يستعملونه، في فكرهم، امتداد يعرفونه و يحبّونه و الذي هو بالنسبة إليهم، رمز أمان، باعث عزّة، أو مصدر تعلّق ».

و يبدو أنّ دراسة بنية المكان و أوصافه و محتوياته في النصوص الحكائية ستساعدنا على فهم البنية المعرفيّة، و الوضع الاقتصاديّ و الطبقيّ للسكّان الذين ينتمون إلى هذا المكان، فـ « وصف الأثاث و الأغراض [داخل المكان] هو نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه. فهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ و يحسّها إلاّ إذا وضعنا أمام ناظريه « الديكور » و توابع العمل و لواحقه »[7]. و بشكل عام يظلّ بيت الإنسان امتداداً له، فإذا

---

(2) - م ن، ص 100 – 101.

- (3) Mitterand, Henri: Le Discoures du roman, P. O. F, 1980, P. 164.

مستشهد به عند: لحمداني، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. الطبعة الأولى، آب 1991م، ص 65.

(4) ـ د. صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1997م، ص 25.

(5) ـ لحمداني، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

(6) ـ المكان و السلطة، ترجمة د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1410هـ/1990م، ص 24.

(7) ـ بونور، ميشال: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، الطبعة الثانية 1982م، ص53.

وصفنا البيت فقد وصفنا الإنسان[8]. فعلى سبيل المثال يُلاحظ أنّ محتويات منازل التجار والأثرياء في النصوص الحكائية العربية،[9] » ، تشير إلى الوضع الطبقي لهؤلاء التجار، و تشير إلى أي مدى قطعته هذه الطبقة ـ في الثراء الفاحش و تثمين الأموال، كما أنّها تكشف عن البنية الذهنيّة و السلوكيّة لنساء هاته الطبقة وأولادهن وبناتهن، التي تنحصر في العبث و اللهو، و معاقرة الخمرة، و تشير أيضاً إلى مدى عمق العلاقة التي تربط السياسيّ بالتجاريّ ، و إلى تقدير السياسيّ للتجاريّ و احترامه له، نظراً لأموال التجاري الكثيرة.

إن الرواية العربية المعاصرة تفوق بقية الخطابات الإبداعية الأخرى ، وذلك في قدرتها الكبيرة على تشكيل فضاءات متعددة ونامية، داخلية وخارجيّة، وتجسّد هذه الفضاءات حركة الشخصيات، وهمومهم وآلامهم وآمالهم وتفاعلاتهم مع محيطهم الثقافي والاجتماعي والمعرفي، وليس شرطا أن تكون هذه الفضاءات واقعية، بل كثيرا ما تكون تخيّليّة، أو منفيّة أو غائبة عن المكان المعروف بطبوغرافيته المحدودة، فتبدو بعض الأمكنة أسطوريّة أو خرافيّة أو حلميّة، أو موغلة في التاريخ القديم للأمم والحضارات القديمة والبائدة، غير أن الروائي العربي، وحين استحضاره لهذه الأمكنة، بشتى أشكالها ومظاهرها الأسطوريّة أو الخرافيّة، لا يبتعد كثيرا عن الفضاءات الواقعية العربية، بقيمها الكبرى وعاداتها وأعرافها، وبنيتها، وآفاقها المعرفية. وتتعدد صور الفضاء المكاني وأشكاله في الرواية العربية المعاصرة، ونظرا لهذه الصور الكثيرة، فإني سأكتفي بذكر الأمكنة المهمة التالية:

1 ـ فضاء المدينة في الرواية العربية

تشكل المدينة، في بعدها المعماري والسكاني إطارا تنظيميا واجتماعيا وسياسيا أكثر تعقيدا، وتشكّل فضاءاتها نمطين من العناصر: عناصر أساسية صغيرة كالبيوت الفردية، وعناصر كبيرة وضخمة باعتبار إشاراتها ودلالاتها، وهي: القصور والمساحات العامة وفضاءات العبادة والكاتدرائيات

---

(8) ـ وارين، اوستن؛ ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الأدب، دمشق، الطبعة الأولى 1972م، ص 288.

(9) ـ لمزيد من الاطلاع يُنظر: ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة دون تاريخ، المجلد 47/1.

أوالكنـــائس [9]، والأســـواق التجاريـــة ودور المســـرح والســـينما، والمقـــاهي، والحدائق العامـة، والملاهـي، والملاعـب الرياضـية. وتتفـرع عـن مجمـل هـذه الفضـاءات الكبيـرة، فضـاءات فرعيّـة أخـرى كثيـرة جدا، وقـد كانـت الروايـة العربيـة أكثـر الخطابـات الأدبيـة تعبيـرا عـن المدينـة، فقد ارتبط ازدهـار الفـن الروائــي بنشــأة المــدن الكبــرى، وانتشــار التعلــيم والجامعــات،((كمــا ارتــبط بحصول المرأة على قدر من الحرية الاجتماعيـة، وبخاصـة حـق العمـل وحـق الحب اللذين يتيحان شبكة من العلاقات تسمح بصنع نسيج فني متعدد الألوان، فيه من عناصر الكشف والتشويق ما يغري بالاستزادة))[10].

وإذا كانت الرواية، في بنيتها المعرفيّة ((تجمع بين التاريخ والاجتمـاع والفلسـفة وعلـم الـنفس، و تضـيف إلــى ذلـك الشـعر والتركيـب الموسـيقي، وعبقرية الفرد... الذي يعبّر عن وعـي أمتـه، ويصـوّر عمقـا مـن أعمـاق نفسـه هو أيضـا، بحيـث يبقـى هـو جـزءا مـن الضـمير الجمـاعي الكبيـر الـذي يتغلغـل فيـه))[11]، فـإنّ هـذا الكـم المعرفـي التراكمـي، فـي أغـزر أشـكاله، يتشـكّل فـي المدينـة. وإذا كانـت المواهـب الأولـى تنمـو فـي الريـف و فـي فضـاء القريـة وتترعـرع، فإنّهـا لا تتخـذ شـكلها الفاعـل الحضـاري إلاّ فـي المدينـة، و((إذا أردت أن تـرفض الفـن فلـك أن تـرفض المدينـة، كلاهمـا توأمـان.. وإذا أردت الفن فعليك أن تعانق المدينة.. الريف لا ينتج إلاّ الفولكلور))[12].

وعلى الرغم مـن أهميـة فضـاء المدينـة وعلاقاتـه فـي الروايـة العربيـة، فـإنّ معظـم الـروائيين العـرب الـذين يشـكلون خطـابهم السـردي مـن داخـل هـذا الفضـاء يدينونـه، أو ينفـرون منـه، فهـو يبـدو فـي روايـاتهم فضـاء للاغتـراب والاستلاب والفاجع والقتامة، وجميع اللوثات المرضية، فضاء يفتقد المرء فيه إلــى حريتــه وكرامتــه وكبريائــه، إنّــه فضــاء غيــر نظيــف فــي قيمــه وعلاقاتــه المحكومة بالدونيـة والانحطـاط والكـذب والريـاء، والنفـاق الاجتمـاعي، فضـاء يرتكب فيه قاطنوه أبشع أنواع المعاصي والموبقات سرا، لكنهم يخجلـون مـن ابتســامة ود علنيّــة، فضــاء ملــوّث بشــراهة أســطوريّة صــوب الاســتهلاك

---

[9] ـ شواي، فرانسواز: " السماتية وتنظيم المدن"، ضمن كتاب كتب: معنى المدينة، ترجمة د. عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م، ص 15.

[10] ـ عبد الله، د. محمد حسن: الريف في الرواية العربية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، ربيع الآخر 1410 هـ/ نوفمبر، تشرين الثاني 1989م، ص 8.

[11] ـ جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا (دراسات نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 1979م، ص 80 ـ 81.

[12] ـ نفسه ، ص 83.

والامتلاك، استهلاك السلع ومنتجات الحضارة الماديّة، وامتلاك الأموال وتثمينها، والنساء وكثرة الابتناء بهنّ.ونلاحظ أنّ فضاء المدينة في الرواية العربية، وعلى الرغم من تعدديته وكونه فضاء حاملا للمعرفة، ومنتجا لها في آن، فإنه لا يحترم العلمي والمعرفي، ولا يقدّر العلماء والمبدعين والمثقفين ومنتجي المعرفة، فهؤلاء مهمّشون ومستلبون، و مهانون وفقراء وفاقدون لطمأنينتهم الروحيّة والإنسانية ، وغير قادرين على أن يكونوا فاعلين لا على المستوى الفردي أو الجمعي، ولا على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، أمّا الفاعلون في هذا الفضاء فهم التجار والمرابون والسماسرة، والفاعلون في التجارة والاقتصاد، يضاف إلى ذلك المغنيات والراقصات والنساء الجميلات اللواتي يلعبن دورا رئيسا وفاعلا في بنية فضاء المدينة، وفي تشكيل كثير من علاقاته وقيمه، وبالتالي في تشكيل كثير من بنياته السرديّة، وخطاباته وثقافته الاستهلاكيّة.

إنّ الرواية في فضاءاتها المكانية الناميّة والمتعددة، على حدّ تعبير كريستوفر كودويل ((فن يعتمد على أناس في مجتمع ما يعيشون أنماطا متباينة جدا من الحياة، وأنّ هذه الأنماط تتداخل وتتصادم في ما بينها فتوجد أحداثا تصوّر بدورها كيانات إنسانية متباينة جدا، وهذا كله يهيئ المادة التي يجعل منها الروائي فنا قصصيا. ولذا فإنّ الرواية لا توجد إلاّ في المجتمعات الناميّة والمدن الكبيرة. حيث تتوفر هذه الأنماط الحياتية المتفاوتة، وحيث هي دائما ممكنة، وفي صيرورة))[13] .

2 ـ فضاء الحانة

يأخذ فضاء الحانة بعدا معرفيّا مهما في النصوص الروائية العربية، وإن كان محدودا بمجموعة من الفضاءات الفرعيّة الأخرى، والأشكال الأخرى المتواجدة في الحانة، إلاّ أنّ له بعدا معرفيّا وإشاريا ذات دلالات بعيدة، وحمولات إيديولوجية، وإشارات رمزيّة لها ارتباطاتها المعرفيّة والبنيويّة ببنى الحياة العربية المعاصرة، إنّه يساعد الأنا الداخلة فيه ((على التعرف على ذاتها))[14]، وذلك من خلال سرد همومها واغترابها ويأسها في الواقع العربي المحبط، وبالتالي يسهم فضاء الحانة في كشف بؤر الواقع الفاسدة، اجتماعيا وسياسيا، ويسهم أيضا في فضح البنية المجتمعية السفلية والعليا معا، ولأنه مكان محرّم فهو فضاء مغر للأشخاص الداخلين فيه، ولأولئك الذين لم يجربوه بعد. وعلى الرغم من خطورته ، نظرا لبذاءة

(13) ـ نفسه، ص 86.

(14) ـ حافظ ، د.صبري " حول محطة السكك الحديد لإدوارد الخراط"، مجلة الأقلام ا، بغداد، العدد 11ن 12، عام 1986م، ص 71.

السكارى والمخمورين فيه، وصعوبة أمزجتهم المتقلبة، وميلهم إلى العنف والعراك الوحشي، ويأسهم من الحياة، فإنّه في كثير من الخطابات الروائية العربيّة المعاصرة، يبدو مألوفا وحميما لدى شخوصه، سواء أكانوا رجالا أم نساء. إذ تنشأ بين هؤلاء الشخوص صداقات معرفيةٌ وإنسانية عميقة، يتخذ منها الروائي شكلا من أشكال الرفض لبنى الحياة الواقعيّة والسوداويّة، سواء أكانت هذه البنى سياسية أم اجتماعية، أم مذهبية أم طائفية، أم قبلية أم عنصرية.

3 ـ فضاء الريف

من أهمّ مزايا الرواية العربية المعاصرة ((الامتداد والتنوع والابتكار))[15]، ومن داخل الفضاء المكاني يتمّ هذا الامتداد وهذا التنوع، فوصف العلاقات القائمة في المكان، بشتى أشكالها، هو الذي يسهم في نمو الفضاء المكاني، ولا نغالي إذا قلنا إن المكان هو الحاضن لمجمل الطرائق الفنيّة والجماليّة التي يقوم عليها البناء الروائي، فمن خلال المكان ينمو السرد ويتشعّب، ويتجدد الحوار، وتوصف الأشكال، وتنمو الشخصيات وتتوالد مشكّلة الرئيسة والثانوية منها في آن. وإذا كان ازدهار الفن الروائي مرتبطا بنشأة المدن الكبرى، وعلاقاتها المتعددة والمتباينة المتغايرة، وبالتالي المتنوّعة والمتناقضة، فإنّ هذا الارتباط لم يمنع الروائي العربي من الاحتفاء بفضاء الريف وعاداته وعلاقاته التي يراها لم تتلوث بعد، والإشادة بهذه العلاقات والعادات، وبخاصّة عند الكتاب الرومانسيين الذين يلوذون بفضاء الريف، ويعتبرونه ملاذا آمنا للطمأنينة الروحية والإنسانية، فلقد كانت ((الرومانسيّة ـ على المستوى العربي ـ نقطة البداية الصحيحة لرواية عربية تنهض على قيم فنيّة ناضجة، [فـ] الرومانسية سمة غالبة على البدايات المتعددة في مناطق مختلفة من الوطن العربي))[16].

4 ـ فضاء السجن في الرواية العربية

يعدّ فضاء السجن من أهمّ فضاءات المدينة العربية في الرواية العربية المعاصرة، ولعلّه أكثر الفضاءات الموصوفة ذات الحمولات الإيديولوجيّة والسياسية التي يريد الروائي الإشارة إليها ترميزا أو تصريحا، فهو فضاء مظلم كريه يثير الرعب والخوف والاشمئزاز، والدخول إليه يعني التصفية الجسدية أو الجنون والهذيان، وهو ((فضاء للعزل القسري الفردي والجماعي ...وبما هو فضاء للحجز الجسدي فهو أيضا مجال للموت البطيء،

---

(15) ـ حسن عبد الله، د. محمد: الريف في الرواية العربية، ص 8.

(16) ـ المرجع السابق، ص 15.

والسريع، للعذاب الجسدي والنفسي وللرتابة القاتلة. السجن بهذا المعنى قبر وإقبار للجسد حيا... وفصم لكلّ ما يربط الذات بالآخر))[17].

وضمن((هذا الأفق جرت تغطية العالم الذي يشكّله الفضاء السجني في الرواية، وذلك من خلال إبراز ملاحمه الطوبوغرافية المميزة والتعليق على أهمّ المظاهر التي تنشأ عنها. وقد أخصبت هذه الدلالة المزدوجة للمكان خيال الروائيين فراحوا يتأملون في فضاء السجن بوصفة عالما طارئا ومفارقا للمعتاد مستعملين في ذلك لغة شارحة غاية في التنوّع))[18].

إنّ أفق الحريات الضيق في العالم العربي، أو غير المتنامي أو غير المتجدد، وعدم قدرة المثقفين والأدباء العرب على التصريح بآرائهم ومكنونات نفوسهم شكّل لديهم إيديولوجيا مضادة لإيديولوجيا الدولة التي يعيشون فيها، ولبنيتها المعرفية أيضا، فهم الطرف الأضعف والمسلوب الإرادة، في حين أن الدولة تشكّل منظومة قوية متكاملة من الأعراف والقوانين والمفهومات والنظريات التي يصعب اختراقها، لأنها ((تملك سلطة قسرية تعلو قانونا على أي فرد من أفراد المجتمع، أو أي جماعة من الجماعات التي هي جزء من هذا المجتمع. ومن ثمّ تكون الدولة وسيلة خاصّة لممارسة السلطة. وهي خاصّة لأنها عليا، وهي خاصّة أيضا لأنّها قسرية. وما من سلطة أخرى في المجتمع تستطيع أن تكون لها سلطة مماثلة ما لم تكن مفوّضة من الدولة في ذلك. فالدولة عموما، هي وحدها التي لها الحق الشرعي في أن تقتل وتسجن رعاياها، وأن تستخدم قوتها المسلحة لتجبرهم على قبول قراراتها))[19].

وإذا كان فضاء السجن في مهمته الأساسية يهدف إلى حماية الدولة والمجتمع والفئات التي تعيش في هذا المجتمع، من كل الذين يخترقون قوانين الدولة ويتخطونها، ويشكّلون خطرا عليها، وعلى مواطنيها وسلامتهم، وأمنهم الإنساني والاقتصادي، وإذا كانت من مهمات السجن الرئيسة، والتي وضعت له، إصلاح المارقين المجرمين، وتهذيب نفوسهم، وإعادة بنائهم بناء أخلاقيا ونفسيا يتواءم مع مجموع أنساق القيم المجتمعيّة السائدة، في مفهوماتها النظريّة والعمليّة، فإن هذا الفضاء يشكّل في الرواية العربية

---

(17) . الزاهي، فريد: الحكاية والمتخيل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، ص 56.

(18) . بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ص 59 . 60.

(19) . لاسكي، هارولد: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري وأحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1963م، ص 169.

دلالات مغايرة وحمولات إيديولوجية، وإشارات معرفية جديدة، فنزلاء هذا الفضاء قلّما نجد بينهم مجرما، يدخلون أصحاء سليمي العقل والرؤية والتفكير، ويخرجون محطّمين مهمّشين، وفاقدين لأبسط قدراتهم الجسديّة والنفسيّة. إن استحالة مغادرتهم لعالم إقامتهم الجبريّة((سيولد لديهم شعورا بالعجز التام أمام غياب كلّ إمكانية لاختراق هذا الفضاء الموصد ممّا سيجعل مواقفهم تبريرية كثيرا أو قليلا، وسينعكس كلّ ذلك الشعور على معنوياتهم وقدرتهم على المواجهة فنجد الواحد منهم يعاني العزلة والإحساس بالذنب فضلا عن افتقاد الحرية))[20].

ونستثني من ذلك نماذج معيّنة عرفت بقدرتها على الصبر والتحمل الشديدين، هذه النماذج ـ بقدرتها الاستثنائية ـ حوّلت فضاء السجن إلى فضاء للحراك الاجتماعي والسياسي، والقراءة والإبداع، وتشكيل المعرفة وتحصيلها، وإثارة الوعي، وبثّه في نفوس المساجين الآخرين، ويقف على رأس هذه النماذج فئة المثقفين والأدباء، وأصحاب النظريات السياسية. وتشير الإحصائيات الواقعية إلى أنّ نسبة لا يستهان بها، من أدباء العالم العربي وروائييه ومثقفيه، قد قضوا فترات طويلة أو قصيرة في فضاءات السجون الموحشة، وبعد خروجهم شكّلوا خطابات روائية أكثر نضجا، وعمقا إنسانيا ومعرفيا، وتجارب جمالية متميزة.

5 ـ فضاء المقهى

تتعدد صور المقهى في الرواية العربية المعاصرة وأشكاله ودلالاته، وإشاراته الرمزية، ووظائفه البنيوية أيضا، وتقسم المقاهي في الرواية العربية إلى عدة أقسام منها:

1 ـ مقاه مركزية ورئيسة وكبيرة واسعة، ومزخرفة زخرفة جمالية خاصة، ترضي أذواق الداخلين فيها، وتتوسط المدن العربية الكبرى، يرتادها الرجال والنساء معا، ويغلب على هذا النوع من الرواد صفات نفسية وأخلاقية واجتماعية خاصة جدا، فهم ارستقراطيو النزعة والطموح والتطلع، غالبا ما تجمعهم المصالح التجارية والاقتصادية الخاصة، ويصفهم الخطاب الروائي وصفا ساخرا، فهم انتهازيون ومتسلقون، وسماسرة ومرابون، ورجال أعمال يفتقدون إلى الكرامة والشرف والعفّة، يتاجرون بكل شيء، ويمارسون الدعارة ويتعاطون الحشيش والمخدّرات، ونفوذهم الاقتصادي والتجاري كبير جدا في مجتمعاتهم، ويمارسون كل ما هو منكر، رجالا ونساء، وبمرأى

[20] ـ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ص 61 ـ 62.

ومسمع رجال السلطة هذه المدينة أو تلك، لأنّ ثمّة مصالح مشتركة بينهم وبين رجال مرموقين في أعلى الهرم السياسي والاجتماعي. وتتركز هذه المقاهي في الروايات العربية التي تجري بعض حوادثها في مقاهي بعض المدن العربية الكبرى، ومنها: دمشق، وبيروت، والقاهرة، والرباط، والدار البيضاء وتونس، والعديد من المدن الأوربية التي يزورها العرب، والتي أشار إليها الخطاب العربي ووصفها، ولعلّ أهم هذه المدن هي: باريس ولندن ومدريد وروما وموسكو، وبوخارست، وبودابست،وغيرها. وتتوضع هذه المقاهي في الرواية العربية، في الشوارع المركزيّة الرئيسة في المدن الرئيسة التي يغلب عليها طابع الثراء والأبّهة. وأحيانا في بهو الفنادق السياحية الرئيسة والكبرى.

2 ـ مقاه خاصة بالرجال، ومحرّم عليها دخول النساء، وهي تشكّل لدى هؤلاء الرجال ـ أبطال الروايات ـ فسحات للحرية والهروب، الهروب من فضاء المنازل المغلقة والضيّقة، وما يدور فيها من مكايد الزوجات والنساء وجبروتهن واستبدادهن، وسعارهن الذي لا حدود له ، المحكوم برغبة الامتلاك والسطوة وقهر الزوج، وطلبات الأولاد التي لا تنتهي، والهروب من الفضاء الاجتماعي الواسع بامتداداته، الضيق برؤيته وعاداته وتقاليده وأعرافه. وينشد الأبطال في فضاه هذه المقاهي بديلا موضوعيا من همومهم واستلابهم وفواجعهم، إذ يأخذون الشيشة، ويلعبون الورق والدومينو، وأحيانا تنفجر همومهم ومصائبهم على شكل صراخ حاد حينا، وعراك وحشي بالشتائم والألفاظ الجارحة تارة، وبالمدى والسكاكين والأيدي تارة أخرى. وأحيانا يأخذون الحشيش المخدر وغيره من المخدرات، ويتسع فضاء هذه المقاهي أحيانا في بعض الراويات العربية ليصبح حانة في الوقت نفسه، يقدم فيها أنواع الخمور، وبخاصة الرخيص منها، ولعل الرواية السورية والمغربية والجزائرية والتونسية من أهم الروايات العربية التي تحتفي بنماذج هذه المقاهي.

3 ـ مقاه خاصة بالنساء، ومحرم عليها دخول الرجال، تدخلها النساء هروبا من الفضاءات الاجتماعية المغلقة، ومن مشاكلهنّ الزوجيّة والعائلية الخاصّة، وأحيانا النفسيّة المعقّدة، ويبدو دخولهن أحيانا لغاية وظيفيّة، تتحدد بالثرثرة والانتقام من العالم، وذلك من خلال فضح عيوبه الداخليّة والخارجيّة. وتتنوع النساء الداخلات في هذه المقاهي، فهنّ مطلقات هاربات من جحيم الأزواج، وهن مثقفات وأديبات أحيانا يطمحن إلى أن يكون العالم المحيط بهنّ أكثر نقاء ونظافة، وأكثر احتراما لعقولهن وثقافاتهن. وهن معلّمات ومدرسات وطالبات جامعيا ت أحيانا أخرى، وإذ يلذن بفضاء المقهى فإن ذلك يشكل هروبا من عناء أعمالهن الوظيفية، ومحاضراتهن العلمية، وهن مقاولات وتاجرات

ونساء أعمال يفقن الرجال في قدراتهن المالية ، ومكانتهن الاقتصادية. ويبقى حضور هذا النوع من المقاهي في الرواية العربية حضورا غير مركزي، إذ لا يسهم كثيرا في نمو السرد، وتشعبه، وتشكّل علاقاته، وخطاباته الفكريّة.

4 ـ مقاه خاصة بالمثقفين والأدباء والأديبات والفنانين التشكيليين، ومحبي الأدب وأنصاره ومتذوقيه، ويتسع هذا النوع من المقاهي في الرواية العربية، ليشمل أحيانا فضاء نوادي الصحافة، ونوادي اتحادات الأدباء والكتاب. والأندية الأدبية .

وبشكل عام، وعلى الرغم من تعدد أشكال فضاء المقهى وصوره في الرواية العربية يمكن القول: إنّ أبرز الدلالات التي تشير إليها فضاءات المقاهي، والتي يبرزها السرد الروائي العربي ((تحمل طابعا سلبيا يشي بما يعانيه الفرد من ضياع وتهميش، ومما يؤكد ذلك أن فضاء المقهى [يكون] مسرحا للعديد من الممارسات المنحرفة، سواء كانت دعارة أو قمارا أو تجارة مخدرات، أو حتى مجرد عطالة فكريّة مزمنة.وتتكرر هذه الصور السلبية لفضاء المقهى في أكثر من رواية حتى توشك أن تصبح العصب الرئيسي الذي يحكم دلالته ويلتحم بها، فهي، ليست دلالة طارئة تأتي لخلخلة المألوف والسائد، وإنّما هي دلالة متأصّلة تندمج في بنية ذلك الفضاء وتجعل منه بؤرة للثرثرة واغتياب العالم، ومحطّة لتناقل الشائعات ... كشكل من أشكال التعويض على مأساة الذات الفرديّة الممزقة))[21]

انتهى المقال ويليه المصادر والمراجع

[21] ـ بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي ، ص 91.

المصادر والمراجع

[1] - ألف ليلة و ليلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة دون تاريخ، المجلد الأول.

[2] - بوتور، ميشال: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، الطبعة الثانية 1982م.

[3] - بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990م.

[4] - جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا (دراسات نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 1979م.

[5] - حافظ ، د.صبري " حول محطة السكك الحديد لإدوارد الخراط"، مجلة الأقلام ا، بغداد، العدد 11ن 12، عام 1986م.

[6] - الزاهي، د. فريد: الحكاية والمتخيل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م.

[7] - شواي، فرانسواز، وآخرون: معنى المدينة، ترجمة د. عادل العوا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م،

[8] - صالح، د. صلاح : قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1997م.

[9] - عبد الله، د. محمد حسن: الريف في الرواية العربية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، ربيع الآخر 1410 هـ/ نوفمبر، تشرين الثاني 1989م.

(10) - لحمداني ، د. حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. الطبعة الأولى، آب 1991م.

(11) – كلافال، بول : المكان و السلطة، ترجمة د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1410هـ/1990م.

(12) - لاسكي، هارولد: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري وأحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1963م.

(13) - وارين، اوستن؛ ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الأدب، دمشق، الطبعة الأولى 1972م.

(14)- Grivel, Charles: Prodoction de l`interet romansque, E.D Mouton, Paris, 1973, P. 101.

(15) -Henri ,Mitterand: Le Discoures du roman , Paris , P. O. F, 1980

دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم
دراسة فونولوجية حاسوبية

د. أحمد راغب أحمد
أستاذ مساعد
جامعة المدينة العالمية ـماليزيا

موضوع الدراسة: تتناول هذه الصفحات دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم، وذلك من خلال رصد زمن الحركات والمدود في عينة البحث ومحاولة استنباط العوامل المؤثرة في تقدير زمن الفونيم، وذلك عن طريق تحليل الأداء القرآني لعينة الدراسة التي مثَّلت مجموعة من المشايخ المشهود لهم بالإتقان وهم: **الشيخ الدكتور/** عبد الله بصفر، **والشيخ الدكتور/** محمد أيوب، **والشيخ/** مشاري بن راشد العفاسي، وذلك بهدف الوصول إلى إجابة للتساؤل التالي:

هل النتائج المتعلقة بتقدير المدى الزمني للمدود في القرآن الكريم ظاهرة خاصة متعلقة بقارئ القرآن وحده وطبيعة قرآته وطرق أدائه أم أنها قاعدة عامة أو ظاهرة إنسانية لا يمكن الانفكاك عنها فسيولوجيًّا عند نطق القرآن الكريم؟.

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال الأهداف المرجوة من هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. رصد وتقييم المدة الزمنية للمد في الأداء القرآني ومعرفة العوامل والمؤثرات التي تؤدي إلى زيادة أو نقص هذه المدة الزمنية.
2. نقد وتقييم نظرية الحركة والحركتين التي اعتمدها علماء التجويد والقراءات في تحديد مقدار زمن الحركات القصيرة والطويلة في تلاوة القرآن الكريم.
3. رصد علاقة زمن المد بنوع الصامت السابق له.
4. رصد علاقة زمن المد بظاهرة النبر.
5. ترتيب أنواع المد من ناحية المدة الزمنية.

وسيحاول البحث تحقيق هذه الأهداف من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

1. هل يتأثر زمن المد بنوع الصوت السابق له من حيث الجهر والهمس؟
2. هل يتأثر زمن المد بنوع الصوت اللاحق له من حيث الجهر والهمس؟
3. هل هناك اختلاف جوهري يعتري المد بسبب التفخيم والترقيق؟
4. هل يتأثر زمن المد بسبب عامل النبر في المد العارض للسكون؟

التجربة التطبيقية لأصوات المد:

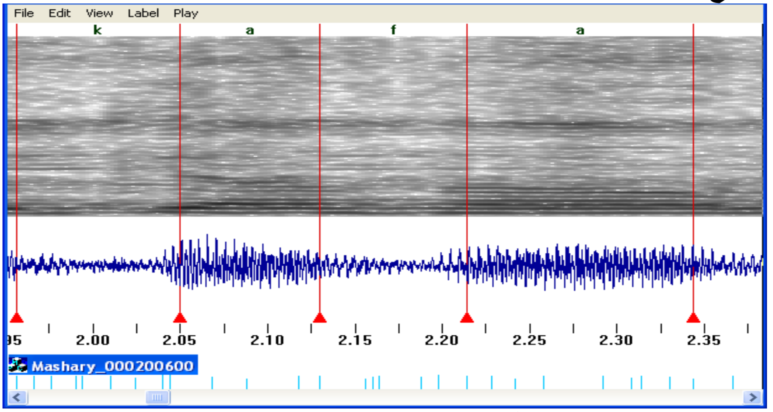
قاعدة البيانات

يقوم هذا البحث على تحليل آيات القرآن الكريم المقروءة على طريقة الترتيل بأصوات ثلاثة من أشهر قراء القرآن الكريم بإذاعة القرآن الكريم بمصر، وهم: الشيخ الدكتور/ **عبد الله بصفر**، والشيخ الدكتور/ **محمد أيوب**، والشيخ/ **مشاري بن راشد العفاسي**، ، وكانت المادة الصوتية مسجلة على أسطوانات أوديو، وكلها خالية من المؤثرات الصوتية الموجهة **-(Echo)**- وغير الموجهة **-(Noise)**-، وكان اختيار مادة البحث على اعتبار أنها المادة التي تمت مراجعتها واعتمادها لدى الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسبات **RDI** ضمن فعاليات مشروعات المعلم الآلي للتجويد **((حفص))**، وقد تم إعدادها بواسطة فريق الدعم اللغوي بقسم أبحاث ومعالجة الصوتيات بالشركة 2008 م.

وقد تألفت قاعدة البيانات من:

1. سورة الفاتحة - مكية -، من الآية (1) إلى الآية (7).
2. سورة البقرة – مدنية -، من الآية (1) إلى الآية (25).
3. سورة الأنفال – مدنية -، من الآية (1) إلى الآية (21).
4. سورة الكهف – مكية -، من الآية (1) إلى الآية (22).
5. سورة ق – مكية -، من الآية (1) إلى الآية (45).

نماذج تحليلية: الفتحة القصيرة المرققة/a/ :



شكل 1 يعرض صورة طيفية للفتحة القصيرة /a/ من خلال كلمة **كفروا** التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة/٦]، والتلاوة بصوت الشيخ مشاري بن راشد العفاسي.

ويظهر في الشكل صوت الفتحة القصيرة، والذي بدأ من الثانية 02:210، وانتهى عند الثانية 02:350، مستغرقًا زمنًا مقداره 0.240 ميللي ثانية، وتعرض هذه الصورة ثلاثة مستويات للتحليل الصوتي:

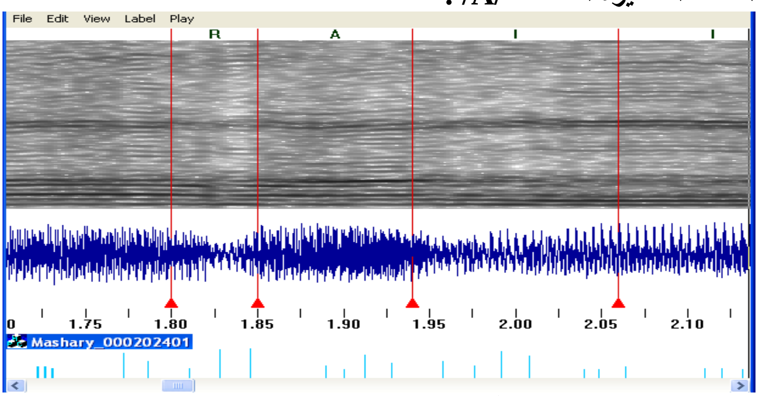
1. المستوى الأول الأعلى يعرض الشكل الموجي -(wave form)- ويبدو جليًا أنها لصوت مجهور؛ حيث وجود إشارة الذبذبات التي تقترن دائمًا بالأصوات المجهورة، بخلاف الصوت التالي أو السابق لها.
2. المستوى الثاني يعرض النغمة الأساسية أو منحنى التنغيم الأساسي -(Fundamental Frequency)- ونلاحظ اتصال الخط القاعدي لها، وهو أمر ملازم للأصوات المجهورة فقط.
3. المستوى الثالث formants يعرض المعالم الأولى والثانية والثالثة -(f1,f2,f3)- ونجدها موزعة توزيعًا منتظمًا متتابعًا مما يدل على انتماء هذا الصوت إلى مجموعة الأصوات المجهورة وعليه فإن صوت الفتحة القصيرة /a/ صوت مجهور لا تظهر فيه أية معالم من معالم الهمس.

وهذه الحزم الصوتية والتي يطلق عليها formants أو المعالم هي "الترددات أو مجموعة الترددات -(groups of frequencies)- التي تشكل نوع

الصوت -(Timpre)- وتميزه عن الأصوات الأخرى ذات الأنواع المختلفة"(1).

ومن استقراء القيم التي حواها ملف التحليل الصوتي نجد الآتي:
بلغ متوسط قيمة المعلم الأول 684 ذبذبة والمعلم الثاني 1602 ذبذبة والمعلم الثالث 2839 ذبذبة،
ونلاحظ أثناء تحليل قيم المعالم الثلاثة -(formants)- ارتفاع قيم المعلم الأول مع انخفاض قيم المعلم الثاني بشكل ملحوظ، وهو أمر مرده عملية الترقيق، وقد أدى هذا الانخفاض في قيم المعلم الثاني إلى التأثير في قيم المعلمين الأول والثاني لصوت "الفاء/f/ " التالي للفتحة؛ حيث أثرت هذه الفتحة القصيرة علي الصامت المجاورة فانخفضت بداية المعلم الأول للصوت اللاحق من 1072 ذبذبة/ثانية إلي 975 ذبذبة/ثانية، كما أثرت الفتحة القصيرة علي بداية المعلم الثاني للصوت اللاحق فانخفض من 2187 ذبذبة/ثانية إلى 2083 ذبذبة/ثانية.

الفتحة القصيرة المفخمة /A/ :



شكل 2 يعرض صورة طيفية للفتحة القصيرة المفخمة /A/ من خلال كلمة **النار** التي وردت في قوله تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين [البقرة/24].

(1) د. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 34.

ومن خلال رصد المدى الزمني للمدود في الصور الطيفية السابقة وفي الجداول الملحقة يمكنني مناقشة قضية الحركة والحركتين وعلاقتها بزمن المد التي تناولها علماء التجويد على النحو التالي:

زمن المد:

غلب على علماء التجويد تحديد زمن المد بالحركات، فإذا استوفى حرف المد نصيبه من المد انتقل بذلك من الحركة إلى الحرف، وهذه الخاصية ثابتة لحروف المد دون غيرها من الأصوات الجامدة "لا سيما الشديدة –الانفجارية- فإنها آنية الحدوث، وكذلك الرخوة –الاحتكاكية- فإنها وإن كانت زمانية يمتد بها الصوت مدة، لكن ذلك الامتداد لا يبلغ مقدار ألف، أي مقدار نطق حرف المد"(2).

وقد عقد الأستاذ الدكتور **غانم قدوري الحمد** مبحثا خاصًا بالمدود في كتابه القيم **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ذكر فيه أقوال علماء التجويد التي تباينت كثيرًا في تقدير زمن المد فذكر أن مقادير المد تكاد "تنحصر بين المد مقدار ألفين، أي ضعف المد الطبيعي، وبين المد مقدار خمس ألفات، وبين ذلك مراتب من المد بحسب مذهب القراء، وبحسب نوع المد ومكانه، وبحسب أسلوب القراءة من الحدر والتحقيق"(3).

ثم ذكر أن علماء التجويد قد حاولوا ابتكار وسائل لقياس مقادير المد وضبطها "فالقول أن مقدار المد ألف أو ألفان مثلًا لا يكفي لبيان الزمن الذي يحتاجه نطق المد، فلابد من إيجاد وسيلة تساعد في ضبط زمن نطق الوحدة المستعملة في قياس طول المد وهي الألف، أي زمن طق صوت الألف"(4).

ثم جمع نتائج دراسته لأقوال علماء التجويد في مسألة قياس وضبط زمن المد في وجود خمسة طرق "لقياس زمن نطق الألف الذي اتخذه علماء التجويد أساسًا لقياس مقادير المدود، وتلك الطرق هي:

1. أن تقول آ مرة أو مرتين أو أكثر، كل مرة تساوي نطق ألف.
2. العقد بالأصابع، ولعل معناه الطرق بأي من الأصابع على الإبهام، كل طرقة تقابل نطق ألف.
3. أن تعد عددًا، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة..إلخ. وقد انفرد بذكر هذه الطريقة طاش كبرى زاده، وهو موضع نظر،

---

(2) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 536.

(3) السابق، ص: 539.

(4) السابق، ص: 540.

لأن كل واحد من الأعداد المذكورة يتضمن صوت الألف إلى جانب أصوات أخرى، فكل كلمة تعادل في النطق أكثر من ألف.

4. أن تمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف.
5. أو كتابتها، أي كتابة ا وليس كتابة **ألف** فيما نرجح، وانفرد علي القاري بذكر هاتين الطريقتين"(5).

والحق أن كل هذه الطرق المذكورة لا تصمد ولو للحظات أمام البحث الموضوعي، بل هي في أغلب الأحيان حجة من لا يملك تعليلا، أو تعليل من لا يملك حجة. وقد شعر بذلك الأستاذ الدكتور **غانم قدوري الحمد** نفسه، فختم حديثه عن هذه المسألة – مسألة مقادير المدود- بما يشير من طرف خفي إلي عدم قناعته بكل تلك الطرق التي تبدو غير موضوعية، لكنه وجد لنفسه عذرًا في اعتمادها في بحثه لتعذر حصوله علي أجهزة دقيقة لرصد مقادير المدود "وإذا كان استخدام أجهزة القياس الدقيقة في ضبط مقادير المدود غير متيسر الآن، فإن الطرق السابقة التي ذكرها علماء التجويد تظل صالحة للاستخدام حتى يتيسر استخدام طرق أكثر دقة وتحديدًا لقياس مقادير المدود"(6).

والحق أنني قصدت عمدًا الإطناب في نقل جهود الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد في هذه المسألة لأؤكد أنني هنا لن أحاول مجاراته في جمع أقوال من هنا وهناك تبين القيمة الزمنية للمد، ولن أحلل مقولات لبعض علماء التجويد أو علماء الأصوات، لكنني سأبدأ من حيث انتهي؛ لأن العذر الذي وجده لنفسه والذي نقله نصًا من كتاب أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس(7) لم يعد بإمكاني أن أحتمي خلفه أو أستتر من ورائه، وعليه فقد شرعت في تحليل زمن المد في الآيات عينة الدراسة، حيث قمت بعرض الملفات الصوتية المذكورة علي تقنية برنامج HTK والذي قام بدوره بتحديد الأزمان التي استغرقها كل فونيم ورد في قاعدة البيانات بالميللي ثانية، ثم قمت بمراجعتها واعتمدها ضمن المواصفات التقنية لشركة RDI ، وعن طريق رصد نتائج تلك الجداول يمكن دراسة الأسباب التي قد تؤدي إلى زيادة أو نقصان المدى الزمني للفونيم، وذلك على النحو التالي:

---

(5) السابق، ص: 541.

(6) السابق، ص: 541.

(7) انظر: د. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص: 159.

تفاوت مقادير المدود:

أولًا: الشيخ الدكتور محمد أيوب:

م	رمز الفونيم	م الزمن	م	رمز الفونيم	م الزمن
1	i	1180.	9	A4	1.786
2	A	0.123	10	a4	2.000
3	u	0.135	11	i4	2.020
4	a	0.138	12	u4	2.041
5	a2	0.305	13	i6	2.996
6	i2	0.309	14	a6	3.578
7	u2	0.291	15	A6	???
8	A2	0.293			

جدول 1 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن بعد الصوت المهموس	متوسط الزمن بعد الصوت المجهور
/a/	0.113	0.113
/i/	0.121	0.122
/u/	0.115	0.138
/a2/	0.293	0.299
/i2/	0.269	0.291
/u2/	0.25	0.291
/a4/	2.004	1.87
/i4/	1.979	2.091
/u4/	2.091	2.043
/a6/	_____	3.578
/i6/	_____	2.996
/u6/	_____	_____

جدول 2 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن قبل الصوت المهموس	متوسط الزمن قبل الصوت المجهور
/a/	1140.	0.162
/i/	0.105	0.125
/u/	0.140	60.16
/a2/	0.292	0.304
/i2/	0.284	0.294
/u2/	0.298	0.286
/a4/	______	______
/i4/	______	______
/u4/	______	______
/a6/	______	3.578
/i6/	______	2.996
/u6/	______	______

جدول 3 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 114 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 162 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 105 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 125 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 140 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 166 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 292 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 304 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 3578 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 284 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 294 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2996 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 298 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 384 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

نتائج الجداول:

1. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
2. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون حتي كادت أن تصل إلى ضعف المد الطبيعي (402 ميللي ثانية) مع الأخذ في الاعتبار أن المشايخ عينة الدراسة التزموا جميعًا بوجه قصره على حركتين.

3. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
4. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.
5. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 114 ميللي ثانية) أصغر من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 162 ميللي ثانية).

اختبار T Test

لكي يتحقق الباحث من منطقية نتائج مخرجات الجداول السابقة عمد إلى إجراء اختبار الثقة المسمى بـ T Test، وهو اختبار لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطين، ويهدف الاختبار إلى التأكيد عما إذا كانت نتائج الجداول عشوائية أم أنها تعبر عن فروق ذات دلالة إحصائية.

حالاته:

الأولى : مقارنة متوسط عينة بمتوسط مجتمع (One Sample T Test)
الثانية : مقارنة متوسطي مجموعتين مترابطتين (Paired – Samples T Test)
الثالثة : مقارنة متوسطي عينتين مستقلتين (Independent Samples T Test)

والحالات الثلاث موجودة في برنامج SPSS في القائمة Analysis ومنها نختار Comare Means لنحصل على حالات اختبار (t) سالفة الذكر.

في الحالة الأولى والثانية يتم مقارنة القيمة الناتجة في العمود (sig.(2-tailed- بمستوى الدلالة (α =0.05) الذي يمثل مستوى الشك، بمعنى أننا نثق في قرارنا المتخذ بنسبة 95% ونشك بنسبة 5%، فإذا كانت القيمة الناتجة تحت (sig.2-tailed والتي تمثل P-Value أصغر من قيمة 0.05= α التي ارتضيناها دلَّ ذلك على وجود فروق ذات دلالة إحصائية، أما إذا كانت أكبر من قيمة مستوى الدلالة فلا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

وفي الحالة الثالثة تتضمن نتائج اختبار (t) قيما من أهمها: النسبة الفائية F ودلالتها الإحصائية sig، والتي تحدد مدى تجانس العينتين عن طريق اختبار ليفن لتجانس التباين Levene`s Test for Equality of Variances، ثم قيمة (t) ودرجات الحرية ومستوى دلالة (t) وقد حسبت مرتين، الأولى في حالة افتراض تساوي التباين Equal Variances assumed والثانية في حالة افتراض عدم تساوي التباين Equal Variances not assumed.

نتائج الاختبار:

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

م	الافتراض	النتيجة	نسبة الثقة
1	تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة	قبول	0.05%
2	تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص	قبول	0.05%
3	تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة	رفض	0.05%
4	تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص	رفض	0.05%
5	زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي	قبول	0.05%
6	عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان	قبول	0.05%
7	تأثير التفخيم على زمن صوت المد	رفض	0.05%
8	عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي	قبول	0.04%

ثانيًا: الشيخ الدكتور عبد الله بصفر:

م	رمز الفونيم	م الزمن	م	رمز الفونيم	م الزمن
1	i	1010.	8	A2	0.267
2	A	0.103	9	u4	1.001
3	a	0.104	10	i4	1.091
4	u	0.106	11	a4	1.140
5	I2	0.220	12	A4	1.335
6	u2	0.235	13	i6	2.416
7	a2	0.258	14	a6	2.422

جدول 4 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن بعد الصوت المهموس	متوسط الزمن بعد الصوت المجهور
/a/	0.100	0.101
/i/	0.104	0.106
/u/	0.105	0.106
/a2/	0.267	0. 259
/i2/	0.210	0.243
/u2/	0.221	0.235
/a4/	1.118	1.126
/i4/	1.101	1.080
/u4/	1.062	1.068
/a6/	_____	2.424
/i6/	_____	2.425
/u6/	_____	_____

جدول 5 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن قبل الصوت المهموس	متوسط الزمن قبل الصوت المجهور
/a/	0.094	0.108
/i/	5090.	1070.
/u/	2110.	0120.
/a2/	0.251	0.272
/i2/	330.4	10.22
/u2/	2020.	2390.
/a4/	______	0.985
/i4/	______	1.061
/u4/	______	0.865
/a6/	______	722.4
/i6/	______	162.4
/u6/	______	______

جدول 6 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 94 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 108 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 95 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 107 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 112 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 120 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 251 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 272 ميللي ثانية.

خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2427 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 433 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 221 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2416 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 202 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 239 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

نتائج الجداول:

6. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
7. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون (940 ميللي ثانية) حتي تخطت مقدار المد المصل (0.875 ميللي ثانية).
8. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات

المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.

9. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.

10. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 106 ميللي ثانية) كانت مقاربة من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 105 ميللي ثانية).

اختبار T Test

نتائج الاختبار:

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

م	الافتراض	النتيجة	نسبة الثقة
1	تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة	قبول	0.05%
2	تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص	قبول	0.05%
3	تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة	رفض	0.05%
4	تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص	رفض	0.05%
5	زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي	قبول	0.05%
6	عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان	قبول	0.05%
7	تأثير التفخيم على زمن صوت المد	رفض	0.05%
8	عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي	قبول	0.04%

ثالثًا: الشيخ مشاري بن راشد:

م	رمز الفونيم	م الزمن	م	رمز الفونيم	م الزمن
1	i	1020.	8	A2	0.287
2	A	0.105	9	u4	1.007
3	a	0.106	10	i4	1.095
4	u	0.108	11	a4	1.150
5	I2	0.230	12	A4	1.346
6	u2	0.245	13	i6	2.428
7	a2	0.274	14	a6	2.437

جدول 7 يبين متوسط أزمان المدود المختلفة التي جمعت في قاعدة بيانات الدراسة

ولا تقتصر نتيجة هذا الجدول على إدراك زمن المد بأشكاله المختلفة بل تتعداه إلى إبراز العوامل التي تؤثر في تقدير زمن هذه الحركات، وذلك على النحو التالي:

تفاوت مقادير المدود:

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا سبقها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن بعد الصوت المهموس	متوسط الزمن بعد الصوت المجهور
/a/	0.099	0.100
/i/	0.106	0.106
/u/	0.106	0.105
/a2/	0.279	0.306
/i2/	0.220	0.260
/u2/	0.233	0.235
/a4/	1.131	1.196
/i4/	1.108	1.064
/u4/	1.068	1.070
/a6/	_____	2.437
/i6/	_____	2.428
/u6/	_____	_____

جدول 8 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

ويُظْهِرُ الجدول بصفة عامة عدم اختلاف المدى الزمني للحركات والمدود إذا سبقت بصامت مجهور عن مثيلاتها المسبوقة بصامت مهموس.

جدول متوسط مقادير الحركات والمدود إذا تبعها صوت مجهور أو مهموس:

الحركة	متوسط الزمن قبل الصوت المهموس	متوسط الزمن قبل الصوت المجهور
/a/	0.097	0.111
/i/	0960.	1070.
/u/	1140.	1210.
/a2/	0.261	0.282
/i2/	0.443	0.225
/u2/	2060.	2410.
/a4/	______	0.995
/i4/	______	1.066
/u4/	______	0.875
/a6/	______	2.437
/i6/	______	2.428
/u6/	______	______

جدول 9 يوضح متوسط مقادير الحركات والمدود حسب الجهر والهمس

يظهر الجدول بصفة عامة زيادة القيم الزمنية للحركات والمدود إذا أتبعت بصامت مجهور عن مثيلاتها المتبوعة بصامت مهموس ويمكن توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التالية:

- بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 97 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 111 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 96 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الكسرة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 107 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مهموس 114 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الضمة القصيرة المتبوعة بصوت مجهور 121 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 261 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 282 ميللي ثانية.

خلت أصوات العينة من صوت الفتحة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2437 ميللي ثانية.

- بلغ متوسط الكسرة الطويلة –حركتان- المسبوقة بصوت مهموس 443 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 225 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الكسرة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة – ست حركات- المتبوعة بصوت مجهور 2428 ميللي ثانية.
- بلغ متوسط الضمة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مهموس 206 ميللي ثانية، بينما بلغ متوسط الفتحة الطويلة –حركتان- المتبوعة بصوت مجهور 241 ميللي ثانية.
- خلت أصوات العينة من صوت الضمة الطويلة –ست حركات- المتبوعة بصوت مهموس أو مجهور.

نتائج الجداول:

11. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مضمومة، وذلك مع كل الحركات عدا الكسرة الطويلة /i2/.
12. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون (1040 ميللي ثانية) حتي تخطت مقدار المد المصل (0.875 ميللي ثانية).
13. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة أكبر من من قيم الحركات القصيرة المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
14. خلت العينة من المد الطبيعي المتبوع بالهمزة وذلك لأن الهمزة سبب من أسباب المد الفرعي.
15. أظهرت النتائج أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة (/a/ = 106 ميللي ثانية) كانت مقاربة من قيم الحركات المفتوحة المفخمة (/A/ = 105 ميللي ثانية).

اختبار T Test

نتائج الاختبار:

بعد عرض جداول قاعدة البيانات التي تحتوي على كل أصوات على برنامج T Test أشارت نتائج صدق الافتراضات على النحو الآتي:

م	الافتراض	النتيجة	نسبة الثقة
1	تأثير الصوت المجهور على الحركة السابقة له بالزيادة	قبول	0.05%
2	تأثير الصوت المهموس على الحركة السابقة له بالنقص	قبول	0.05%
3	تأثير الصوت المجهور على الحركة التالية له بالزيادة	رفض	0.05%
4	تأثير الصوت المهموس على الحركة التالية له بالنقص	رفض	0.05%
5	زيادة مدة المد العارض للسكون عن مدة المد الطبيعي	قبول	0.05%
6	عدم تأثير الهمزة على زمن صوت المد بالزيادة أو النقصان	قبول	0.05%
7	تأثير التفخيم على زمن صوت المد	رفض	0.05%
8	عدم اختلاف زمن مد البدل عن زمن المد الطبيعي	قبول	0.04%

نتائج الدراسة:

وختامًا فقد حاولت هذه الدراسة معالجة دور المؤثرات السياقية في تقدير المدى الزمني للفونيم حال النطق بأصوات القرآن الكريم معالجة حاسوبية، وقد خلصت إلى مجموعة من النتائج يمكن إبرازها كالتالي:

1. اعتمدت اللغة العربية بشكل أساسي على الصوائت، حيث وردت 210596 مرة، وشكلت نسبة 42.13% من قيمة الأصوات في القرآن الكريم.
2. تقارب متوسطات مد البدل مع متوسطات المد الطبيعي (292 ميللي ثانية).
3. زيادة المدة الزمنية للحركات المتبوعة بصوت مجهور عن مثيلتها المتبوعة بصوت مهموس، سواء أكانت الحركة طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت مفتوحة أم مكسورة أم مضمومة.
4. عدم تأثير الأصوات المهموسة أو المجهورة التي تأتي قبل الحركات مباشرة على تقدير زمن تلك الحركات.
5. اختلاف المدى الزمني للمد العارض للسكون عن المد الطبيعي وعن المد المتصل والمنفصل، وذلك بسبب عامل النبر الذي أدى إلى زيادة المدة الزمنية للمد العارض للسكون حتي كادت أن تصل إلى ضعف المد الطبيعي مع الأخذ في الاعتبار أن المشايخ عينة الدراسة التزموا جميعًا بوجه قصره على حركتين.
6. ظهرت متوسطات قيم الحركات القصيرة المتبوعة بهمزة والتي ظهرت بقيم أكبر من من قيم الحركات المتبوعة بصوت مهموس وأقل من قيم الحركات المتبوعة بصوت مجهور، وهذا دليل على عدم انتماء صوت الهمزة إلى أي من القسمين.
7. مع أن متوسط قيم الحركات القصيرة المفتوحة المرققة ظهرت بقيم أصغر من قيم الحركات القصيرة المفتوحة المفخمة إلا أن اختبار (T Test) لم يقر هذه النتيجية لعدم انتظامها منطقيًّا ورياضيًّا.

ثبت المراجع العربية

1. **أبو الفتح عثمان ابن جني:** سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
2. **أحمد راغب أحمد:** فونولوجيا القرآن "دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2004م.
3. **أحمد محمد قدور:** أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.
4. **أحمد مختار عمر:** دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، 2000م.
5. **إبراهيم أنيس:** الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو، ط 5 / 1975م.
6. **إبراهيم ضوة:** محاضرات في اللغة العربية والحاسب، دار الثقافة العربية، ط1، 2000م.
7. **إخوان الصفا:** رسائل إخوان الصفا، النسخة الإلكترونية، موقع الوراق.
8. **أرنست بولجرام:** في علم الأصوات الفيزيقي، ترجمة د. سعد مصلوح، ط1، 1977م.
9. **تمام حسان:** مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1394م، 1974م، ط2.
10. **جون ليونز:** اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية، 1988م.
11. **ديفيد كريستال:** التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
12. **سعد مصلوح**، دراسة السمع والكلام، القاهرة، 1980م.
13. **سلمان حسن العاني:** فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط1، 1403هـ - 1983م.
14. **صبحي عبد الحميد عبد الكريم:** النون وأحوالها في لغة العرب، مطبعة الأمانة، 1986م.
15. **عبد الرحمن أيوب:** الكلام إنتاجه وتحليله، ط جامعة الكويت، 1984 م.
16. **عبد الغفار حامد هلال:**
    - أصوات اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1988م.
    - تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، ط1، 2007م.
    - أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، ط1، دار المحمدية للطباعة 1979م.

17. **عبد الصبور شاهين:**
- المنهج الصوتي للبنية العربية، القاهرة 1977م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، 1966م.

18. **غانم قدوري الحمد:** أبحاث في علم التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.
19. **محمد علي الخولي:** الأصوات اللغوية، مكتبة الخريجي، الطبعة الأولى 1987م .
20. **محمد فتيح:** الأصوات العامة والأصوات العربية، دار الثقافة العربية، القاهرة.
21. **مصطفى زكي التوني:** النون في اللغة العربية "دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم"، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السابعة عشرة، 1416-1417هـ، 1996- 1997م.
22. **منصور بن محمد الغامدي:** الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط1، 2000م.

ثبت المراجع الأجنبية

1. ***L.Bloomfild***
   Language, London, 1979
2. ***Gleson H.,A., TR,***
   An Introduction to Descriptive Linguistics Reued, New York, 1961
3. ***Daniel Jones,***
   Cambridge University Press
4. ***Hefner,***
   General Phonetic, 1967
5. ***R.RK. Hartmann and F.C. Stark***
   Dictionary of Languagee and Linguistics, London, 1973
6. ***Potter S.***
   Language in the modern worled, Penguin, 1966
7. ***R.H. Robins***
   General Linguistics an Introductory Survey, Third Edition, 1980
8. ***E.D. Sapier***
   Language an Introduction to the studay of Speech, New York, 1921
9. ***F.D. Saussur***

Caurre in general Linguistics, New York, 1959

10. ***[Attia et al., 2008] Attia, M., Rashwan, M., Ragheb, A., Al-Badrashiny, M., Al-Basoumy, H.,***
    A Compact Arabic Lexical Semantics Language Resource Based on the Theory of Semantic Fields, LREC2008 conference http://www.lrec-conf.org/lrec2008, Marrakech-Morocco, **May 2008**.
11. ***[Ragheb, 2007] Ragheb, A.,***
    Phonetic Accompaniment and its Semantic Reflections on the Holy Qur'an; a Computational Phonological Study. (long Arabic essay), Symposium on Information Technology and Arabic & Jurisprudent Sciences, College of Computer and Information Sciences, University of Al-Imam Muhammad Ibn Sa'ud; http://www.imamu.edu.sa/ccsi/arabic/a-home.htm, Riyadh-KSA, **Mar. 2007**.
12. ***[Yaseen et al., 2006] Yaseen, M., Attia, M., Maegaard, Ragheb, A., B., .., et. al.,***
    Building Annotated Written and Spoken Arabic LR 's in NEMLAR Project, LREC2006 conference http://www.lrec-conf.org/lrec2006, Genoa-Italy, **May 2006**.
13. ***[Hifny et al., 2003, 2004] Hifny, Y., Qurany, S., Hamid, S., Rashwan, M., Attia, M., Ragheb, A.,***
    ArabTalk®; An Implementation for Arabic Text To Speech System, The proceedings of the 4th Conference on Language Engineering; CLE'2003, Sept. 2004, the Egyptian Society of Language Engineering (ESLE), and re-published also in the News Letter of Evaluation of Language Resources and Distribution Agency (ELDA), France, **May 2004** issue.

الخصائص السردية و جمالياتها في رواية «الصبار» لسحر خليفة

الدكتور فرامرز ميرزايي ـ أستاذ مشارک بجامعة بوعلى سينا
الدكتور على باقر طاهرى نيا ـ أستاذ مشارک بجامعة بوعلى سينا
روح اله مهديان طرقبه ـ طالب دكتوراه بجامعة بوعلى سينا

ملخص.
خصصت سحرخليفة، الروائية الفلسطينية الشهيرة، معظم رواياتها بقضيتها الوطنية. فهى تنتمي في سردها الروائي إلى المدرسة الواقعية بوضوح. ففي روايتها «الصبار» كتبت عن واقع الضفة بعد نكبة حزيران (1967) مناقشة فيها أبرز القضايا الفلسطينية لتلك الفترة، و هى جدلية العمل في المؤسسات الصهيونية، و ضرورة المقاطعة و الكفاح المسلح. تجلت نزعة الكاتبة الواقعية في الخصائص الأسلوبية لروايتها، منها الأوصاف و التشابيه المستمدة من الظروف الفلسطينة الراهنة. كما أن للرواية خصائص سيميائية ممتازة يساعد فهمها القارئ في إدراك الأبعاد الجمالية للنص الروائي، فدلالة العناوين و الأوجه و العيون و الأصوات و الروائح و الألوان و الأنوار، إلى جانب التناص القرآني المباشر و ذكر بعض الأمثال و الأغاني الشعبية، كل ذلك يؤدي وظائف جمالية و دلالية في نفس الوقت.

الكلمات المفتاحية: سحر خليفة، السرد الروائي، الصبار، السيميائية.

Narrative properties and its aesthetics in the novel "Al-Sabbar" (Cactus) by Sahar Khalifah.

Dr.Faramarz Mirzaei,Associate professor,BuAlisina university
Dr.alibaqer Taherinia, ,Associate professor,BuAlisina university
Roholallh mahdiyan,Phdstudent,Arabic Language andLiterature, BuAlisina university

Abstract:

The Palestinian famous novelist "Sahar Khalifah" allocated most of her novels to her national case. She belong in her narration to the realist school clearly, and sees the failure of the Palestinian resistance in the two main reasons, namely the retardation of women, and rampant ignorance in the society which is described at best naivety. Khalifah wrote in her novel "Al-Sabbar" about the reality of the west bank after the dread of June (1967), discuss the key issues of Palestinian cases in that period, which is a controversial of working in the institutions of Israel, and the need to interrupt and armed war. The writer tendency of realism demonstrated in the stylistic characteristics of the novel, including descriptions and derived from the extent of the current pushed the circumstances. As that of the novel properties of semiotics excellent help to understand the reader to grasp the dimensions of the aesthetic of the text of narration. The significance of names, faces, sounds, smells, colors, and lights along with intertexuality Quranic direct and mention some of prowerbs and folksongs, all of that performs the functions of aesthetic and tag at the same time. This paper addresses the characteristics of narrative (stylistic and semiotics) and its aesthetics in the novel "Al-Sabbar".

Keywords: Sahar Khalifah, Narrative fiction, popular, Semiotics, Realism.

مقدمة.
احتل السرد الروائي المكانة الاولى لاهتمام النقاد المعاصرين لانه أكثرالفنون الأدبيّة انتشاراً في البلدان العربيّة. فهو نص نثري تخيّلي سردي واقعي غالباً يدور حول شخصيات متورّطة في حدث مهم، لتمثيل الحياة و التجربة و اكتساب المعرفة[8] من ثم تعتبر دراسته من أكثر الدراسات النقدية الحديثة خصوبة و صعوبة و تعود خصوبتها إلى « كونها المدخل المناسب الذي يمكن من خلاله النفاذ إلى جوهر النص الروائي و غاياته و وسائله[9]»، و الى الحصول على نوع من المعرفة يمكن أن نُسمّيها «المعرفة الروائية» أو «الحكمة الروائية»[10]، الناتج عن التجربة الإنسانية العريضة التي تنشأ عن الحياة التي نعيشها ونتفاعل معها فيحكيها لنا كاتب في السرد الروائي و في خلق حياة قصصية قادرة على أن تطرح أزمات الواقع و إشكاليات الفكر و صراع الإيديولوجيات و تقديم أخطر القضايا بطريقةٍ فنيةٍ أخاذةٍ ملهمةٍ حيث الرواية تمنح القارئ فوائدَ متنوعةً لايستطيعها أيّ فنّ أدبي آخر لعذوبتها و قدرتها على الولوج في كل بابٍ. و أما صعوبتها فتنشأ من اضطراب مفهوم السرد و عدم وجود حدود قاطعة لمجالاته[11].

أهمية البحث و الهدف منه
للتحليل السردي أهميته الخاصة في فهم الأبعاد التعبيرية للرواية؛ حيث يساعد القارئ في التحليل الجمالي لها، وهو الهدف المنشود لتحليل أي نص أدبي، فمن منظار النقد الأدبي، يمكن القول بأن التحليل السردي يعد طريقة جديدة في نقد النص الروائي حلّ محل الطريقة القديمة المسماة: «تحليل عناصر الرواية». وتتكون من قسمين: الأول: «الأساليب السردية» التي ترتبط بكمية تدخّل السارد و كيفيته في استحضار الأفعال و الأقوال و الأفكار. و الثاني: «الخصائص السردية» التي تشمل الخصائص الأسلوبية مثل الوصف و التشبيه و التكرار، و الخصائص السيميائية مثل دلالة العناوين و الأوجه و العيون و الأصوات و الروائح و الألوان و الأنوار و أنواع التناص المختلفة.

---

[8] ـ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 99
[9] ـ عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 8.
[10] ــ منذر عياشي، المعرفة الروائية(التكوين والواقع)، **مجلة الموقف الادبي، العدد 307.**
[11] . عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 8.

واستخدمت سحر خليفة هذه الأساليب و الخصائص السردية بشكل فنية في رواياتها – خاصة «الصبار»- لتنقل الواقع الراهن في بلادها المحتلة بكل تفاصيله و جزئياته إلى القارئ، فجاءت بأوصاف و تشبيهات ملموسة تذهب بالمخاطب إلى الأجواء الفلسطينية بطبيعتها و حدائقها و شوارعها وأزقتها و أسواقها و سكانها و جميع محاسنها و مساوئها، إلا أن كل ذلك يسيطر عليه ظل الإحتلال الثقيل. هذه الرواية محاولة لبيان الواقع في أسلوب فني و يبدو أن الكاتبة قد نجحت في الوصول إلى هذا الغرض. فهذا البحث يهدف إلى تبيين الخصائص السردية لرواية «الصبار» و الكشف عن جمالياتها الفنية في إطار التحليل السردي.

منهج البحث

يعتمد البحث على منهج « تحليل المضمون» مستمدا بالتحليل اللغوي للنص الروايي للكشف عن الخصائص السردية له. فمن الطبيعي أن يستمد من المنهج الوصفي لبيان ما يوصل اليه من النتائج و تحليلها وشرحها و الكشف عن جماليات النص الروائي فى رواية « الصبار».

سحر خليفة روائية ناجحة

تطورت الكتابة النسوية العربية، في الآونة الأخيرة فقدمت إبداعات متميزة فى مجال الادب الروائي حيث تتسم بموقف التمرد و المطالبة بالحقوق داخل البنية الإجتماعية. ومن تلك الإبداعات التي أثارت جدلا و نقاشا على الساحتين الثقافية و الفكرية العربيتين روايات «سحر خليفة» الروائية الفلسطينية، والتي ولدت في مدينة نابلس عام 1941م. كانت تحس و هي صغيرة، بأنها و أخواتها «عبء كبير على الأسرة»[12] ثم صارت حياتها مليئة باللعب و الحركات الصاخبة و الهوايات المتنوعة: رقص و غناء و موسيقى و رسم، و قراءة القصص حيث «توجّب على عائلتها أن تقحمها في زواج تعسّفي متسرع»[13]. وبعد سنوات وقعت هزيمة 1967م. و اكتشفت خليفة أن الهزيمة السياسية ما هي إلا انعكاسا للهزيمة الحضارية.

و خلال السنوات الثلاث الأخير من زواجها، بدأت تهيئ نفسها للمستقبل الأدبي، فقامت بعدة محاولات شعرية، ثم باشرت بكتابة الرواية، و صودرت منها روايتها الأولى «بعد الهزيمة» أثناء محاولة إدخالها إلى فلسطين لتطبع

---

[12] . كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ج1، ص568 .

[13] . راجع: فيصل درّاج، و آخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، ص 160-165

داخل الأرض المحتلة[14]. و غادرت سحر زوجها عام 1972م. فدخلت جامعة بيرزيت طالبة في فرع اللغة الإنجليزية و آدابها. و أخيرا حصلت علي الدكتوراه في الأدب الأمريكي و الإنجليزي، و لها عشر روايات هي: «لم نعد جواري لكم» (1974 م) و «الصبار» (1976 م) و «عباد الشمس» (1980 م) و «مذكرات امرأة غير واقعية» (1986 م) و «باب الساحة» (1990 م) و «الميراث» (2002 م) و «صورة و أيقونة و عهد قديم» (2002 م) و «ربيع حار» (2004 م) و «أصل و فصل» (2009 م) و «حبي الأول» (2010).

1- المضمون السردي لرواية «الصبار».

«الصبار» هي أول رواية نشرتها سحر خليفة بعد الهزيمة (عام 1967م) و «تعد صرخة أدبية مغايرة في مجمل الأدب الفلسطيني[15]». ترسم رواية «الصبار» التي وقعت أحداثها في بداية السبعينيات، صورة الإنقسام السياسي الفلسطيني بين من يؤمن بالعمل المسلح سبيلا للتحرر، متمثلا في شخصية تدعى «أسامة» الذي أرسلته قيادة الخارج لتفجير باصات نقل العمال الفلسطينيين للعمل داخل إسرائيل، و بين من يؤمن بالمنهج السياسي للنضال و تكوين طبقة بروليتاريا (طبقة العمال) و تنظيمهم داخل المصانع الإسرائيلية، متمثلا في شخصية تدعى «عادل»، سليل الأسرة الإقطاعية. فهو ابن العائلة التي تعاني الفقر الآن، فاتجه للعمل في إسرائيل سرّاً، و ذلك تجنبا لردود الفعل الإجتماعية لاسيما من قبل عائلته، و كان تحاول دائما تحريض العمال للمطالبة بحقوقهم و «رفض الظلم المؤسسي[16]». هذا علما بأن الاحتلال و فرص العمل البديلة للعمال في مصانع إسرائيل، كانت من أهم أسباب انهيار مزارع عائلته. هنا يبدو عادل «ممثلاً لليسار الفلسطيني[17]». فالرواية «كشفت عن أفكار التناقض بين الانخراط و العمل في المؤسسات الصهيونية، و بين ضرورة المقاطعة و الكفاح المسلح، فكانت هذه الرواية إدانة لما يمكن تسميته القبول بالأمر الواقع الذي فرضه الاحتلال

---

[14] . روبرت كامبل، ، أعلام الأدب العربي المعاصر(سير و سير ذاتية)، بيروت: 1996، ج1، ص 563.

[15] . سحر عدنان خليفة، برنامج ركن الكتاب، راديو البلد، 13حزيران 2005.

[16] . أحمد جميل عزم، «روايات سحر خليفة ... اضطهاد المرأة الفلسطينية». http://www.awu-dam.org

[17] . المصدر السابق.

خلال السنوات الخمس التي تلت حزيران[18]»، و تنتهي «الصبار» بالمواجهة المسلحة بين الفدائيين و جيش الاحتلال.

حظيت هذه الرواية باهتمام كبير حيث لقبت سحر بـ «أم الصبار»[19]. و الرواية «توصف بأنها بانورامية، أي محاولة لنقل الواقع بشكل سردي، دون أن يفقد واقعيته أو تسجيليته، و دون أن يفقد جمالية السرد التي تجعل الواقعي أكثر خيالية من الخيال في ظل الاحتلال[20]».

2- الخصائص الأسلوبية.

الخصائص الأسلوبية هى مواصفات تقليدية موجودة في معظم النصوص الأدبية، و طبيعي أن لا يستطيع كل كاتب الخروج من جلده بتأسيس لغة كاملة جديدة؛ بل هو محكوم بالخضوع لأسلوبية اللغة التي يكتب بها، و للأدب الذي يكتب فيه[21]. فمن أهم هذه المواصفات الوصف، و التشبيه، و التكرار.

2-1- **الوصف.**

الوصف ظاهرة حتمية في السرد؛ إذ «يمكن، كما هو معروف، أن نصف دون أن نسرد، و لكن لا يمكن أبدا أن نسرد دون أن نصف[22]». للوصف علاقة حميمة بالسرد، و يصعب على القارئ فهم بعض المقاطع من الرواية لو لم يتدخل الوصف لتوضيحها. من مصاديق الوصف في كل رواية، وصف القامات، و العيون، و الوجوه،... بالإضافة إلى وصف الملابس، و المظاهر، و الحركات و السكنات. و كذلك وصف الظواهر الطبيعية كالريح، و المطر، و الشمس، و القمر، و ...، و وصف الأمكنة الحضرية كالشوارع، و الأحياء، و الساحات، و... . و لكن «كلما تدخل الوصف، توقف السرد، و توارى الحدث إلى الوراء. من أجل ذلك لا ينبغي أن يطغى الوصف على السرد، و إلا أساء إلى بنائه، و ربما أفقده بعض خصائصه فيضيعه تضييعا[23]».

---

18 . حسين المناصرة، «تناقضات الذات والآخر في روايات سحر خليفة». ص6 http://knoll.google.com 2010/1/19

19 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق. ن. ص.

20 . حسين المناصرة، المصدر السابق. ن.ص.

21 . عبد الملك مرتاض، «خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ» مجلة الفصول، المجلد التاسع، ص 208.

22 . المصدر السابق. ن. ص.

23 . المصدر السابق. ن.ص.

أما في رواية «الصبار» فاستفادت الكاتبة من الوصف لعرض مشاهد من الأرض المحتلة، خاصة مسقط رأسها «نابلس». فأكثر الأوصاف في الرواية تتعلق بمشاهد مختلفة لهذه المدينة و حياة سكانها اليومية بعد نكسة حزيران. وهكذا كانت المدينة على لسان الشخصية الرئيسية «أسامة» بعد رجوعه من مغتربه إلى نابلس: «لا شيء تغير في هذه المدينة. الدوار مازال في مكانه، لكن الأزهار نمت و استطالت. و لاشيء تغير! ... و لكن الناس لاتبدو عليهم شقاوة العيش ... و استطالت السوالف. و قصرت التنانير ... شيء ما قد تغير ... و أمام الحوانيت تتكدس البضائع الإسرائيلية، في الواجهات. و علي أبواب المتاجر. و علي الأرصفة[24]». هذا وصف واقعي عما يجري في مدينة نابلس بعد بضعة أعوام من النكسة.

فيذهب أسامة بعد ذلك إلى بيارات ضواحي المدينة و يرى أن البيارات أيضا قد تغيرت: «و كانت أشجار الحور و الدفلى تحجب البيارة عن نظره ... لكن المزارع كانت مهجورة ... و التغيير قد شمل الريف أيضا لا المدينة فحسب ... الأرض مازالت معطاءة، و الجداول مازالت رقراقة عذبة و الموسم خيراً ... لكن الأرض ما كانت تنبت إلا الأعشاب البرية. خبيزة و خرفيش و زعموط و علت ... و رأى بيارة أبوحافظ التي كانت مضرب الأمثال يوما، قاحلة جرداء ... فأسرع الخطو نحو بيارة خاله ... كانت أشجار الددونيا الصغيرة التي تزين المدخل مهملة تماماً، لم يعد لها شكلها الهندسي المنظم، أطرافها تمتد من غيرهدف، و الأعشاب البرية تغطي الممرات المتربة من حولها ...[25]». فالوصف يدل على إهمال الأرض ممهداً لحدث هام و هو ترك صاحب الأرض العناية بها، و العمل في المصانع الإسرائيلية: «فالخراب الذي امتد إلى الأرض لا بد أن يؤدى إلى ضعف النفوس و انهيار مقاومتها[26]».

يقابل هذا الوصف وصف عن مدينة «تل أبيب» حيث العمال و المواطنون من مختلف الأجناس تجمعهم خطة الصهاينة: «... و كانت الشوارع مزدحمة. و الأرصفة مغطاة بشتى أصناف البشر. شرقيون، غربيون، آسيويون، إفريقيون، أروبيون، و أمريكان. مختلف الجنسيات، مختلف العروق، مختلف الألوان. و باتوا يحملون جنسية موحدة تنتمي للشرق الأوسط ...[27]».

---

[24] . سحر عدنان خليفة، الصبار، ص 26.

[25] . المصدر السابق، ص 38.

[26] . ماجدة حمود، «الخطاب الروائي عند سحر خليفة»، مجلة الموقف الأدبي، ، العدد 272، ص36.

[27] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق. ص 47- 48.

يحاول الراوي أن ينقل لنا الواقع الفلسطيني وذلك بوصف لبيت عادل و عائلته، و فيه يسكن أبوه الإقطاعي الذي لايفعل تجاه قضيته الوطنية غير إلقاء الكلام أمام الصحفيين و الإشادة ببطولات موهومة: «... دار كبيرة، قصر ضخم من قصور الأجيال السالفة. أعمدة رخامية. سقوف معقودة. ساحة سماوية مبلطة بالحجارة الضخمة. بركة تحيط بها أشجار الليمون و أصص الفل و الجميل. و زخارف عربية على الجدران. قناديل زجاجية ملونة. و خزائن مرصعة بالصدف. لكن الزمن فتّ من عضد كل شيء ... و لم يعد هناك خدم أو حشم. فالعمال يملأون مصانع إسرائيل. و أصبح أجر العامل يضاهي أجر السيد[28]».

سيطرت على هذه الصورة الوصفية تفاصيل المكان بمعزل عن الزمان و الإنسان؛ لكن الراوي لايسترسل في هذا العزل، بل يجمع بينهم في جملة «لكن الزمان فتّ من عضد كل شيء» دون الاسترسال في هذا الجمع، إذ ينتقل الراوي إلى الحديث عن معاناة صاحب الدار بعبارات قليلة فحسب[29].

توظف الكاتبة وصف الهيآت و الوجوه و الألبسة للشخصيات للدلالة، إلى حد ما، على سلوك الشخصيات و خصائصها الذاتية و أفكارها و طبقتها الإجتماعية. فتصور لنا امرأة تقليدية من قاع المدينة، واصفة اياها بهذه الأوصاف القليلة: «امرأة في الأربعين، بدينة، في وجهها آثار الكلف. تحمل في معصميها ما لايقل عن ربع كيلو من الذهب[30]». أو تصف هيئة شحادة، الذي قد نسي قضيته الوطنية في الخدعة الإسرائيلية: «كان شحادة يرتدي جاكيت له ياقة من الفرو. و كان شعره الأجعد يحيط رأسه بشكل هالة لا يقل طول نصف قطرها عن عشرة سنتيمترات. بينما تكوم إلى جانبي خديه سالفان غليظان كشجرتي نتش صغيرتين. و كان يمسك غليونه بيده المزوقة بخاتم ذهبي ثمين و يتكلم من جانب فمه كما يفعل كبار الممثلين الأجانب[31]».

يمكن القول بأن سحر خليفة تراعي في روايتها جانب الاعتدال في وصف الأشخاص و الأمكنة، إلا حينما تطلب المشاهد و مسيرة الرواية مزيداً من الوصف، كأداة لتبيين فكرة ما. و يحمل الوصف في الرواية وظيفة جمالية، إذ يسعى وراء تقريب القارئ إلى أجواء الرواية و شخصياتها بنقل أجزاء المشاهد و مواصفاتها، نقلا دقيقا كاملا. و من الملاحظ أيضا، أن أكثر الأوصاف تتعلق بشخصيتين رئيستين، هما أسامة و عادل؛ لأنهما يتمثلان التيارين المتعاركتين في هذه الرواية. و من بين المشاهد، يتعلق أكثر

---

[28] . المصدر السابق، ص 31.

[29] . ماجدة حمود، المصدر السابق. ص37.

[30] . سحر عدنان خليفة، المصدرالسابق، ص 70.

[31] . المصدر السابق، ص 77.

الأوصاف بالمشاهد المختلفة من مدينة نابلس و شوارعها و أزقتها و مواطنيها، لتقريب القارئ إلى الأزمة الموجودة على أرض الواقع، و لبيان آثار ما حمله العدوان الصهيوني لهذه الأرض من تقميع و تدمير و تهميش، و لأنها هي المكان الأصلي للرواية و يرجع إليها جمالية المكان في النص الروائي.

2-2- **التكرار.**

الرواية عالم صغير تحاكي عالما كبيرا، و هي حياتنا، بما فيها من تكرار. فالتكرار« سمة من سمات الأعمال الأدبية الخالدة؛ و ذلك لأن المرء حين يطول حديثه عن شيء، أو قصه لحكاية، يضطر إلى تكرار بعض الألفاظ، أو بعض الأفكار، أو بعض العبارات، لأسباب مختلفة[32]». و المهم في دراسة هذه المكررات هي المفاهيم المستنبطة منها و جمالية استخدامها في الرواية.

وأما في رواية «الصبار» فتتعمد سحر خليفة التكرار لبعض العبارات و الأفكار، كأنها تريد أن تثبّت تلك المفاهيم في أذهان القرّاء. مثال ذلك بعض أقوال أسامة- و هو يمثل التيار المؤمن بالعمل المسلح سبيلا للتحرر- التي تدل على أن الأوضاع تتردى يوما بعد يوم: «و غوصي يا بلدي في الأوحال»[33]،أو تكرار ما يدل على أن الفلسطيني المناضل يدرك الموقف و يتألم منه، و لكنه لاقدرة لديه على تغيير الواقع المفروض عليه في الداخل و الخارج: «عان يا شعب مرارة العين البصيرة و اليد القصيرة»[34]، أو ما يشير إلى أن غالبية الشعب لايمكنهم استيعاب الموقف كما يجدر به: «أنتم مصابون بعدم وضوح في الرؤية»[35]، أو ما يرينا الشخصية الرئيسية متشائمة يائسة لا ترى حلا لقضيتها الوطنية: «لنقل على الأرض السلام» أو «و لنقل على الوطن السلام»[36].

ثم أقوال مكررة على لسان عادل الذي يعتقد بأن القضية لا تنحصر في الاحتلال العسكري فقط؛ بل يشمل الثقافة و الفكر و السياسة و الإجتماع و الاقتصاد و كل ما يملكه الشعب الفلسطيني من الماديات و المعنويات. فيرى وجوها مختلفة للاحتلال ويعتقد أن للمقاومة أمامه أيضا طرقا مختلفة:

---

32 . عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 210.

33 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 53، 54، 57، 60، 63، 71، 83.

34 . نفس المصدر، صص، 57، 58، 66، 144.

35 . نفس المصدر، صص، 23، 28، 57، 62، 71، 154.

36 . نفس المصدر، صص، 53، 54، 60، 149.

«للصورة أكثر من بعد واحد» أو «الاحتلال كلمة لها أكثر من معنى»[37]. فيبدو جمالية التكرارفي جدلية الموقف لدى الشخصيتين الرئيستين (أسامة و عادل)؛ فكل منهما يتمثل تيارا فكريا في المقاومة الفلسطينية أمام العدو الصهيوني: الأول يرى النجاح فى استخدام قوة السلاح لتغلب على الصهاينة و أعوانهم الداخلية، و الثاني يرى الانتصار في العمل الثقافي و التنظيم السياسي، بتشكيل منظمات سياسية و اقتصادية و اجتماعية تهدف إلى تغيير الأوضاع لصالح الفلسطينيين، دون تعرضهم لأخطار الحرب و الدمار الناتج منها.

وأحيانا يأتي التكرار للدلالة على السخرية المرة من الناس البسطاء الذين قد شغلتهم الأمور التافهة من القضايا الوطنية، كأقوال «أبي سالم»، الفلاح الأمي الساذج الذي سجنه الصهاينة و لكننا لانجد في أحاديثه و سلوكه ما يدل على كونه مناضلا يستحق الإعتقال، عن بقرة له اسمها «مسعودة» مكررا هذه العبارة: «مسعودة ولدت عجلا أبيض»، المنقولة من رسالة تسلّمها في السجن من عائلته[38]. فهذه العبارة إضافة إلى سخريتها المرة، في طيها جمالية رمزية، و ذلك يكمن في دلالة الكلمتين «مسعودة» و «أبيض» على السعادة و النور. فيمكن اعتبارها رمزا لسذاجة الإنسان القروي الفطرية و رؤيته التفاؤلية إلى كل شيء، حتى أعقد القضايا الوطنية و السياسية و أصعبها. و يمكن اعتبارها، من جانب آخر، رمزا لتردّي الأوضاع على الساحة الفلسطينية، بحيث لايشعر فيها أحد بالسعادة و الهناء إلا هؤلاء الأغبياء الذين لا يهمّهم في الحياة إلا المأكل و المشرب و التوالد؛ كما هو الحال عند «مسعودة».

قد يأتي التكرار للدلالة على التضاد الماهوي بين طرفي المحاورة كما جاء في حوارالجندي الإسرائيلي مع أسامة على الجسر. فيلحّ كل منهما على تسمية المدينة بما يحب؛ الأول يسميها «شخيم» و يكررها و أسامة يصرّ على اسم «نابلس»:

«- كنا نسكن طولكرم، و مات الوالد فانتقلت أمي إلي نابلس.
– و لماذا انتقلت أمك إلى شخيم؟
- تعجبها نابلس.
– و لماذا تعجبها شخيم؟
- نابلس تعجبها لأنها مليئة بالأقارب.

[37]. نفس المصدر، صص، 28، 37، 53، 62، 71، 75.

[38]. سحر عدنان خليفة، ، المصدر السابق، صص،107، 108، 113، 116، 147، 148، 154، 155.

– و لماذا عدت من دول البترول إلى شخيم؟
- عدت إلى نابلس لأن الوالد مات ...»[39].

فـ «شخيم» و «نابلس» تتمثلان هويتين: الصهيوني، و الفلسطيني. و المحاورة بين الشخصيتين، تبرز للقارئ جدلية الغاصب المحتل و الوطني المدافع، حتى في تسمية البلد. فكما أن الفلسطيني يدفع الإسرائيلي، كذلك «نابلس» يدفع «شخيم» و ينفيه. و هذا تناقض ذاتي لايمكن جمعه في مكان واحد، و الذي هو خير دليل على بطلان فكرة التساوم و الانفعال، و الصلح بين الغاصب و المغصوب عنه.

و في الرواية نوع آخر من التكرار المسجوع للكلمات في جمل قصيرة، يقرب الى التلاعب بالحروف و الكلمات، فيزيد في الكلام موسيقى و نوعا من الغرابة: «و كان يعلم بأنها تعلم، و كانت تعلم بأنه يعلم بعلمها»، و «هتف بتشنّج: لا أصدق. لن أصدق. لا أصدق بأنک نسيت البلد و الاحتلال»[40].

و أحيانا يرد هذا التكرار في هيئة العكس و الطباق: «لا شيء جديد، بل كل شيء جديد. الجرح هو الجرح، و لكنه يتسع كل يوم»[41]، «في سبيل الوطن تهون الحياة ... و في سبيل الحياة يهون الوطن. أنت قلت هذا. ماركس قال. أنت قلت أم ماركس قال؟ لا أعرف. المغص في رأسي. و الصداع في بطني. و قد اختلط الاثنان»[42]. فهذه العبارات تدل على شخصية عادل المتزلزلة و آرائه المتناقضة. الجملة الأولى تدل على إيثار الوطن على الحياة، و الثانية تدل على إيثار الحياة على الوطن. و في الرواية أمثلة كثيرة من هذه المفارقات الساخرة التي تجيء في هيئة المقابلة و الطباق و التكرار: «شتان ما بين عادل و عادل. هذا عادل و ذاک عادل. و كم عادل غير عادل في الدنيا»، «و دموع سعدية و آلاف السعديات و التعسيات»، «... وأنک غير مسؤول عن اعتقال حمادة و باسل و الآخرين. و لكنک مسؤول! أنت مسؤول غير مسؤول!» [43].

و فيها عبارات كثيرة و مفاهيم مكرّرة وظّفتها الكاتبة لخلق ما أرادتها من سخرية مرّة. فهذه العبارات في الواقع هي ضحك على مرارة، ليدل على النفور الشديد من الواقع المضحک المبكي حيث القارئ يحس بمرارته أثناء قراءته للرواية.

[39] نفس المصدر، ص14.

[40] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 83، 160 (أسامة).
[41] . نفس المصدر، ص 161 (أسامة).
[42] . نفس المصدر، ص 115 (عادل).
[43] . نفس المصدر، صص،93، 94، 110 (زهدي).

3-2- التشبيه.
التشبيه معروف لدى أذهان المخاطبين العاديين، و لايخلو أي أسلوب أدبي منه. «فلزوم التشبيه للكتابة الأدبية أخص الخصائص الأسلوبية لأي إبداع[44]». و التجسيم هو أهم وظيفة للتشبيه، و هذا يعني التقريب إلى الذهن؛ كأننا نشاهد ما نقرأ. قد استخدمت سحر خليفة التشبيه بمختلف أغراضه، في صور موحية؛ مثل: «و تضاعف رثاؤه و تضخم. أصبح شاملا. متشعباً. كأذرع أخطبوط لامتناهية العدد. و إفرازات حبرية تملأ رأسه بسحابات قاتمة السواد[45]». فتشبيه الهموم و المصائب بأذرع الأخطبوط، يجعلنا نحس بالضغط و القلق الذي يعاني منه عادل، و تصوير الإفرازات الحبرية التي يطلقها الأخطبوط، يساعد هذا المشهد تأثيراً و إيحاءً.

و كثيرا ما وظفت الكاتبة التشبيه للسخرية من المشبه أو تشويهه للفكاهة و بهدف التلذلذ و هربا من الجفاف في النص الروائي، مثل: «... فتمايل الجسد الأعجف بين يديه ككيس من النخالة»، و «الأولاد كالجراد. يقرطون الأخضر و اليابس»، و «أنا آكل كالحصان لأظل في قوة الحصان»، و « كان سميناً ملظلظاً كالكرة المنفوخة»، و «... الرجل الضخم الذي بدا هائجاً كثور اسباني»[46]. و لكن أكثر التشبيهات في «الصبار»، جاء لبيان حال المشبه و توضيحه أو تجسيم الموقع و عرضه عرضا فنيا. فالكاتبة تشبه الخبز الإسرائيلي الجاف بجذع شجرة الزيتون، أو تشبّه دخول الخنجر في عنق الضابط الإسرائيلي بغوص الملعقة في وعاء اللبن[47]، لتزيّن العمل بالنسبة إلى عامله، لأنه يحلو له هذا العمل.

3- الخصائص السيميائية.
نعني بالخصائص السيميائة تلك الخصائص التي تعطي دلالة خاصة للقارئ للفهم الأصح و الأجمل من النص السردي كالعناوين و الأسماء الخاصة و العبارات ذات دلالات معينة التي تدل على تداخل النص مع النصوص الأخرى الدينية و التاريخية و أمثال ذلك.

3 -1- العناوين.
من الخطأ أن نحسب العناوين في الرواية الحديثة اعتباطيا، فلكل عنوان دلالته الجمالية و الوظيفية. أول ما يستلفت الإنتباه في رواية «الصبار»، هو

---

44. عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 212.
45. سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 53.
46. سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 42، 43، 67، 68، 110.
47. نفس المصدر، صص، 61، 150.

عنوان الرواية. فالصبار نوع من النبات يستطيع أن يتحمل أقسى الظروف المناخية و أصعبها، يتكيف مع إقليمه، مستفيدا أشواكه لحماية ثماره، و هذه الخصائص منحته صلابة و شدة متميزة بين النباتات. و أيضاً «الصبار» مشتق من الصبر، فهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل «صابر». إنه «الصبر المقاوم الذي يتسلح بالأشواك كصبر الفلسطينيين، داخل الأرض المحتلة، المتشبثين فيها رغم كل الظروف[48]».

أما أسماء الشخصيات، اختارتها الكاتبة بدقة و تأمل. فأسامة مثلا، يدل في التراث العربي على الشجاعة و الهيبة، و «عادل» الذي أُطلق على شخصيتين اثنتين في الرواية، يحمل دلالة إنسانية، هو إقامة العدل بين الناس، فكلاهما يرغبان فى المساواة و العدل، مع أنهما يختلفان في سماتهم الأخلاقية و سلوكهم الإجتماعية. و «باسل» اسم ذو دلالة ثورية أُطلق على مراهق فلسطيني مشتاق إلى النضال و تحقيق البطولات، ومُنح في السجن لقباً أرْضَى ميله إلى العزة و الكرامة: «أبو العزّ؟ شيء جميل. لقد أصبحتُ واحدا منهم. ما أروع أن تكون أباً لشيء ما، ترعاه و تربيه و تحافظ عليه. و أبوالعزّ اسم جميل. أجمل من كل ما قيل و ما سيقال[49]».

فهذا نموذج من الدلالات السيميائية للأسماء و العناوين في الرواية، الذي يدل على «أن الكاتبة قد اختارت أسماء شخصياتها بعد دراسة و تمعن[50]»، و سيلاحظ قارئ الرواية أن الشخصيات «تحمل مفاتيحها لعوالمها الداخلية و مواقفها من الحياة، في أسمائها[51]».

2-3- التناص المباشر.

قد درست هذه الميزة السيميائية بجدّية في السنوات الأخيرة في الأعمال النقدية و التحليلية. حيث قيل إنه لانص إلا التناص. التناص أو تداخل النصوص أو النصوصية يقابل مصطلح Intertextuality، و هو أن يتضمن النص الأدبي نصوصا أو أفكارا سابقة عليه أو معاصرة له عن طريق الإقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، ليتشكل نص جديد واحد متكامل. يبدو أن «التناص للنصّ الإبداعي كالأوكسجين الذي لا يشم و لا يرى، و مع ذلك لاأحد من العقلاء

48 . ماجدة حمود، المصدر السابق، ن.ص.

49 . سحرعدنان خليفة، المصدر السابق، ص 96.

50 . ماجدة حمود، المصدر السابق، ن.ص.

51 . محمد معتصم، الخطاب الروائي، و القضايا الكبرى (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)، ص 13.

ينكر أن كل الأمكنة تحتويه، و أن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم[52]».

ترد هنا إشارات إلى التناص المباشر الذي مرجعه المحفوظات. فهناك تناصات قرآنية، و تناصات عن النصوص الأدبية و المأثورات الكلامية الأخرى. بل يوجد في الرواية عبارات و أساليب يكون مرجعها الأدب القديم، أو الحديث، أو الثقافة العامة و المأثورات الشعبية.

3-2-1- التناص القرآني.

مازال القرآن الكريم و مضامينه العالية من أهم روافد الأدب العربي. فالأدباء الفلسطينيين أيضا وجدوا بين المفاهيم القرآنية و بين ما يجري في بلدهم تماثلا، «فاعتمدوا على هذه المفاهيم على سبيل التناص لإثراء نصهم الأدبي»[53].

جاء تناص قرآني في بداية الرواية بشكل فني جداً: «صنوبر جرزيم، صنوبر الطور، صنوبر رام الله. صنوبر وصبار و لوز و عنب، و التين و الزيتون و طور سينين، و هذا البلد الأمين، و هذا البلد الذي لم يكن أمينا في يوم من الأيام. بل ربما كان كذلك[54]». فالعلاقة وثيقة بين حديث السارد عن النباتات و الأشجار المستوطنة التي يراها أسامة حين دخوله إلى أرض فلسطين، و بين الآية الشريفة «و التين و الزيتون». والمقارنة طريفة بين البلاد المحتلة الطافحة بالظلم و الدمار، و بين الآية الشريفة «و هذا البلد الأمين». فسحر خليفة في عبارة «بل كان كذلك» تقول بشكل ضمني، إنها منذ فتحت عينيها لم تجد هذا البلد أميناً، فربما كانت أمينا قبل ذلك! و في هذه العبارة دلالة على جمالية المفارقة الساخرة بين ما يتمناه الله تعالى لهذا البلد، و ما يجرى في أرض الواقع.

ونموذج آخر للتناص فی وصف شخصية ثرية يبني بناء في خمسة طوابق من أموال غير مشروعة؛ و حينما يسأله عامل عن كيفية حصوله على هذه الثروة «عمارة خمسة طوابق»، يستغل الرجل الثري هذه الآية الشريفة للهرب من المؤاخذة: «من شر حاسد إذا حسد[55]». و فی حوار زهدي مع نفسه تناص قرآني طريف: «... جود يا باسط. و قل أعوذ برب

---

[52] . عبد الملک مرتاض، المصدر السابق. ص 212.

[53] . رقية رستم بور ملکی، «التناص القرآني في شعر محمود درويش»، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها، العدد الثالث، خريف 1384ش. ص 31.

[54] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 7.

[55] . المصدر السابق، ص 76.

الناس. فلن يستمع إليك أمثالي من الممغوصين المصدوعين[56]». لتشير فيها الى القارئ المصري الشهير، عبد الباسط محمد عبد الصمد، الذي قد جاءت إشارات إليه و إلى صوته المدوي في الأجواء الشعبية التقليدية، في ثلاثة مواضع من الرواية على الأقل. فصوته إلى جانب صوت فريد الأطرش، و فيروز، و نداء الباعة، تشكل الصوت الغالب المتحكم على الأسواق و الشوارع الأصلية المزدحمة؛ ولكن دون مستمع!

والطرافة فى التناص القرآنى لتعبير عن الغلاء و التضخم الذي تعانيه طبقات الشعب الفلسطيني المسحوقة شُبّه بنارالله الموقدة: «و الأسعار نار الله الموقدة[57]». لتدل على مشاكل الناس اليومية في توفير حوائجهم الضرورية. ورد أيضا في الرواية إشارات إلى الآية الشريفة المعروفة بآية الكرسي، التي لها مكانة خاصة في عقائد المسلمين و تقاليدهم: «و قل لن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم. لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و لانوم له ما في السماوات و ما في الأرض ...[58]». و أوردت الكاتبة كذلك عبارات من سورة «الفيل» المباركة: «و أرسلنا عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلناهم كعصف مأكول[59]».

فجَرَى المثالان الأخيران على لسان أم أسامة، تغمغم بها حين جاء الجنود الإسرائيليون يفتشون بيتها بحثاً عن ابنها، ليدل هذا على أن مثل هذه الآيات تقرأ حينما يشعر الناس بالخوف و الخطر، و تعتقد عامة الناس بأن هذه الآيات تدفع الشر عنهم.

3-2-2- الأمثال.

المثل أداة للإقناع أو إظهار القدرات البلاغية. المثل قول موجز ينمّ عن حكمة و خبرة بالغتين. هو حصيل تجارب الأجيال المتتالية. و قد وظفت سحر خليفة الأمثال في روايتها، كلما أحست بحاجة إليها. «فجاءت في مواقعها بالغة الأثر، واضحة الدلالة، مغلقة الباب أمام احتمالات قد تتراءى للقارئ[60]». فمن هذه الأمثال ما نراه في التراث العربي القديم، مثل: «اليد الواحدة لاتصفق»، و «علقم ابن دينك و لاعسل عدوك»، و «على نفسها

---

[56] . المصدر السابق، ص 114.

[57] . المصدر السابق، ص 67.

[58] . المصدر السابق، ص 140.

[59] . المصدر السابق، ص 141.

[60] . يحيى جبر «حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة»، 2010/1/4. www.Al-Naiah.blogs

جنت براقش»[61]. و منها أمثال شعبية تستخدمها الناس باللهجة العامية: «بكره الحبل يخليك بطة»، «الفجر أهو لاح و الليل رواح»، «و إن كان غريمك القاضي تشكي همك لمين؟»،[62]. فهذه الأمثال مستقاة من الأوساط الإجتماعية التي كانت سحر خليفة تتفاعل معها، و هي تعبر عن معتقدات الشعب و تجاربها.

3-2-3- الأغاني.

من أبرز مواصفات الأغنية الشعبية أن تكون جماعية و مشتملة على ملامح الأدب الشعبي من حيث «أن فيها تاريخاً شعبياً و فيها احتفاءً بالمعتقدات و الأعراف الشعبية[63]». و الأغاني الشعبية تعبّر عن أهواء الشعب و ميوله و «تصدر في وجودها عن وجدان شعبي[64]».

نرى في رواية «الصبار» أن الأهازيج و الأغاني متصلة في معظمها بكفاح الشعب ضد قوات الاحتلال. فالأغاني التي وظفتها خليفة في روايتها، هي أهازيج أو أغنيات ثورية، يرددها الناس في نشاطاتهم ضد الاحتلال. منها هذه الأنشودة المشهورة في الأوساط الفلسطينية:

«الأليف الله اكبر / البا باب الحرية / و الجيم جبهة شعبية / و الدال ديمقراطية / و الشين شمر دراعك / عرفات رمز التضحية / و الميم ميم المحبة / و الواو وحدة عربية»[65].

و من الأغاني التي تدل علي روح المقاومة و الكفاح بين الإنتفاضيين أيضاً هذه:

«كلبش أيدي كلبش أيدي / لما اعتقلني كلبش أيدي / ولدي يا ولدي كلبش أيدي / أنا و أخوي في الزنزانة / و المدافع من حوالينا / و من أكل السجون طعمونا / عدس مغلي و سمک مطحون / كلبش أيدي كلبش أيدي»[66].

و حينما تبلغ التضحية ذروتها، تهون الأرواح و الأولاد في سبيل حرية الوطن. و سحر خليفة تورد هذه القطعة المشهورة للتعبير عن المد الثوري، و هي تجري في الرواية على لسان فلاح والآخرون ينشدون معه:

---

[61] . سحر عدنان خليفة، صص، 24، 69، 122.

[62] . نفس المصدر، صص، 37، 102، 127.

[63] . أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، ج1، ص 290.

[64] . أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، سلسلة المكتبة الثقافية ص 23.

[65] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 88.

[66] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 100.

«أوف أوف / يا جبل حيي السهل و الوادي / و حيي الشجر بسفوحها بلادي / و إن كان العدا حصدوا زرعنا / بزرع أنا في الأرض أولادي / أوف أوف»[67].

و هناك أيضاً شعارات يردّدها الأطفال و المراهقون و الرجال في كل شبر من فلسطين المحتلة؛ في الأزقة، في الشوارع، و في السجون: « المعارك مستمرة ... يا فلسطيننا يا حرّة ، ثورة ثورة حتي النصر، كلاشنكوف يا مدمر الدبابات / أربيجية يا محطم الطيارات، بلادي يا قطعة سما / اسمك علي لساني صلاة[68].

فتنقلنا خليفة بهذه الأناشيد و الأغاني إلى أجواء الإنتفاضة و تصور لنا ما يجري في ساحة المجتمع الفلسطيني تحت نير الاحتلال تصويرا واقعياً.

3-3- الروائح.

الرائحة، المنتنة منها و العبقة، لها دلالات تمنحها وظيفة سيميائية. و جمالية الروائح في الرواية تكمن في إحساس القارئ بالرائحة أثناء القراءة حتى يخيم الفضاء الروائي عليه؛ كأنه يشم الرائحة شما. «فهي أيقونة شمية؛ كما أن هناك أيقونة صوتية أو سمعية، وأيقونة لمسية، و هلم جرا...[69]». فإننا حينما نشم رائحة نتنة، نعلم أن تلك الرائحة إنما تنبعث من جيفة أو شيء قذر و كذلك الروائح العطرة و دلالاتها.

اعتمدت الكاتبة في رواية «الصبار» على سيميائية الروائح لتجسم لنا أيقونة مكتملة الجوانب من فلسطين المحتلة و مدينتها «نابلس» خاصة. فحينما يرجع أسامة إلى وطنه بعد سنوات الإغتراب، يحس بعبير الوطن قبل وصوله إلى الحدود الفلسطينية: «غمرته غمامات الصنوبر في مرتفعات العارضة الجبلية بعبير ذكّره بما ينتظره وراء الجسر ... والعبير الربيعي ينقله إلى ما وراء الجسر[70]». لكنه ما إن وصل إلى مسقط رأسه حتى صدمه الواقع المؤلم، و التخلف الذي لم يتغير خلال سنوات غيابه. فتستخدم الكاتبة، الروائح لتجسّم للقارئ الولقع المؤلم هذا: « وصفعت أنفه رائحة الرطوبة و العفونة في الأزقة المعتمة. و رائحة القذارة والنتن. خضار و فواكه فاسدة ملقاة بجوار الجدران و برميل صديء مليء بالسمك المهترئ ...»، و «صدمت أنفه رائحة العفونة و النتن»، و «رائحة العفونة

---

[67] . نفس المصدر، ص 136.

[68] . نفس المصدر، صص، 44، 88، 89، 96، 99، 100، 103.

[69] . عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 213.

[70] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص 7و 8.

اللاذعة»[71]، وهناك روائح أخرى غير رائحة القذارة و العفونة، لكنها أيضا تؤذي أسامة؛ مثل: «اتكأ [عادل] على الحائط و بدأ يتقيأ. و فاحت رائحة الكحول و العصارات الهضمية ... استدار [أسامة] برأسه محاولا الابتعاد بأنفه عن مصدر الرائحة القذرة»، أو «و رائحة الهيشة تصدع رأسه»، أو «عبير الطابون و الزبل المحروق»[72].

و الروائح العطرة في هذه الرواية تكاد تقتصر في رائحة زهر الليمون و البرتقال، التي يبدو أن لها علاقة وثيقة بأجواء فلسطين، و ربما يمكن اعتبارها رمزاً عن الوطن الحبيب المعطر: «فنفذت إلى أنفه رائحة زهر الليمون في الساحة السماوية»، و «على مشارف طولكرم تهب رائحة زهر البرتقال»[73].

فالكاتبة قد وظّفت الروائح، و المنتنة منها خاصة، توظيفا سيميائيا، بحيث أصبحت الروائح تدل على ما يجري في طبيعة الشخصيات و الأمكنة الروائية.

3-4- العيون.

للعيون دلالات سيميائية فائقة في النصوص السردية، ومنها الرواية. وجمالية استخدام العيون في الرواية ترجع إلى الحوار الذي يجري بينها؛ لأنه قد يجرى بلغة العين قبل اللسان و ربما تشير العين الى ما لا يقدرعليه اللسان. و نعلم أن «النظرة، و أداتها العين، و من ورائهما كل العوالم التي تلتعج في النفس، من التقنيات التي يركزون عليها في فن التمثيل ... فقد تكون نظرة ما، أكثر تعبيراً و أصدق دلالة من خطبة طويلة تلقى، أو كلام كثير يقال[74]». ففي رواية «الصبار» ورد العين و النظرة و ما في معناها و ما يرتبط بحالاتها، في زهاء مئة و سبعين موضع، للقيام بوظائف تعبيرية و جمالية و نفسية.

اتصفت العيون و النظرات في الرواية بمثل هذه الاوصاف: «نظرة طويلة غير مجدية»، «نظرة تحذير»، «أخذ يتملي في عيني الرجل البليدتين»، «نظرات نفاذة ... نظراتها القوية المغروزة في عينيه المغبشتين»، «و كانت نظراتهما زائغة، مليئة بالدهشة و الاستغراب»، «رمقها متفحصا»، «عينين كليلتين»، «تأمله الشيخ و هو يضيق عينيه

---

[71] . نفس المصدر، صص، 27، 70، 135.
[72] . نفس المصدر، صص، 58، 76، 150، 155.
[73] . نفس المصدر، صص، 55، 123.
[74] . عبد الملك مرتاض، المصدر السابق، ص 214.

الضعيفتين»، «و فتح عينين فارغتين مستديرتين»، «و عيناها منكستان»، «و خرج اليهودي و عيونه تقدم الشرار»، «رمقه بطرف عينه ... غض بصره»، «و بؤبؤ عينيه يختلسان النظر من تحت جفنين ثقيلتين»، «نظر إليه مستطلعا»، «عينين ذاهلتين»، «و تفحصه بنظرات قلقة ... و كانت العين الوحيدة في الوجه المشوه تنطق بالسعادة»، «و قد صُوِّبت إليه العيون ... و نظر إلى صالح مستجيرا»، «و قد أشعلوا في العيون الغضب»، « و النظر في وجه المحقق باستخفاف و شراسة»، «و التقت عيوننا في ومضة كهربائية صاعقة، عيون غزلان و رموش دبّاحة ... و عيوننا تضرب صواعق و كتيوشا»، «و تبادل الاثنان نظرة تحدّ طويلة»، «و الناس ينظرون إليه بوجوم ... و بياض العينين النادبتين يطلق رياح باردة كعصف السموم»، «عيناه تحومان في الفضاء»، «و العينان مفتوحتان على سعتهما»، «جوبه بنظرة اشمئزاز طويلة»، «رفعت عينيها. يحدجها بغيظ»، «تسترق النظر»، «و التقت عيناه بعيني باسل الساخرتين»، « تجلى القرف في عيني عادل»، «لكنها هربت بعينيها منه»، «نظراتک الوقحة»، «عيناه جاحظتان»، «يتأملها بعين لاتطرف»، «انظر هاتين العينين. فيها تمتد آفاق الغد بدون حدود».[75]

فكل صفة أو حالة مما ذكرنا لها دلالات سيميائية تعين القارئ على إدراك ما يجري في داخل الشخصيات. ولم تغفل الكاتبة عن توصيف عيون الكلب ايضا: «مازالت نظرات الإلفة تبطن عينيه[76]»، لتشير إلى وفاء الكلاب المعروفة. و مما ترتبط بالعيون و حالاتها، هو البكاء. فذِكر العيون الباكية كذلك ورد في مواضع كثيرة من الرواية، و هذه ظاهرة طبيعية في الرواية التي تصور لنا ظروف الاحتلال و الإحراق و التدمير و القتل و السجن. بحيث قد تسري البكاء في مشهدين من الرواية إلى عيون اليهود أيضاً. فالأول حين التقى السجين السوري بابنه الذي لم يره أبداً، بعد خمس سنوات من مولده، و المشهد أبكى الجنديين الإسرائيليين[77]. و الآخر هو المشهد الذي قتل فيه ضابط اسرائيلي على يد أسامة، و ما تبعه من صياح

---

[75] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 15، 17، 22، 23، 28، 32، 41، 51، 55، 65، 67، 78، 81، 97، 99، 101، 102، 105، 118، 121، 133، 136، 138، 139، 140، 141، 163، 164، 165، 166، 168، 172، 174.

[76] . نفس المصدر، ص 40.

[77] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، ص 124.

زوجته و ابنته و بكائهما[78]. و التعمق في سيميائية العيون في أية رواية يطلب بحثا مبسوطا، لامجال هنا لإيفائه حقه.

5-3- الوجه و ملامحه.

الوجه جامع للجبهة، و العينين، و الحاجبين، و الصدغين، و الشفتين، و الخدين، والأنف، و الذقن. و هو ذو خصوصية سيميائية عجيبة؛ فملامح الوجه تمثل السرور و الحزن والغضب و الشباب و الشيخوخة في الشخصيات، و تضع أمامنا أيقونة من أحوال الأشخاص و ما يجري في ضمائرهم. و الوظيفة التي يؤديها الوجه في النص السردي، شبيهة بوظيفة العيون و دلالتها السيميائية، لأن العين هي من أجزاءالوجه بل أهمها.

فنجد في «الصبار» وجوها مختلفة الحالات و مختلفة الدلالات، تعبر عن أحاسيس الشخصيات و مواقفهن تجاه الأحداث و القضايا. فمنها الوجوه الغاضبة و القلقة و العبوسة، و منها الوجوه الضاحكة الوضاحة. و نظرا إلى أن الرواية تتناول مأساة النكسة و ما تبعها من الانكسار، فالوجوه أيضا في معظم المشاهد متحيرة، مقطبة، عبوسة، حزينة: « لم يبك عادل، لكنه كان حزيناً شاحباً، محروق الوجه»، «جباههم مقطبة»، «التفت و العبوس يملأ وجهه الملطخ بالشحم»، «يرقب الجمع بوجه جف منه كل تعبير»، «و كانت الحياة قد بدأت تغادر وجه الرجل»، «اتخذت سحنته هيئة ديک حبش مستوفز»، «و قد على الوجوم وجوههم»، «و قد بدت على وجهه علامات الدهشة و المفاجأة»، «و تقلصت عضلات الوجه المكرشمة»، «و علامات الاستفهام مرسومة على وجوههم»، «لوى فمه بحيرة»، «يدان تخبئان وجها مذعوراً لصبية شقراء»، «و الرعب مرسوم على وجهها»[79].

قد مرّ في سيميائية العيون، الحديث عن البكاء؛ فهنا في سيميائية الوجوه و ملامحها، ترد إشارة إلى الابتسام و الضحک. و لكن ما يلفت الانتباه في هذه الرواية هو أن الابتسامات و الضحكات أيضاً لا يدل على الفرح و السرور و الانبساط في كثير من الأحيان؛ بل قد يكون التبسم أو الضحک من شدة الحيرة، أو اليأس، أو السأم والملال:

«فابتسم بسخرية»، «ابتسم أبوصابر ابتسامة صفراء»، «ابتسم أسامة بفتور»، «و ابتسم بشماتة ... ابتسم زهدي ببرود»، «ابتسم باشمئزاز»،

---

[78] . نفس المصدر، ص 133.

72. نفس المصدر، صص، 29، 43، 46، 47، 51، 78، 92، 94، 95، 97، 105، 108، 136، 146.

«تكلف زهدي ضحكة»، «أطلق ضحكة عصبية»، «ارتسمت ابتسامة هازئة على شفتي الوالد ... قهقه الوالد بسخرية»، «و ابتسم بمرارة»[80].

تدل حالات و سمات أخرى في الوجوه، إلى حد بعيد على مشاعر الشخصيات وأحوالهم النفسية بألفاظ قليلة. فالوجه أيقونة تصور ما يجري في باطن الشخصيات كالحزن الشديد: او الخجل: « وجهها الناحل تكسوه حمرة الانفعال»[81]، او محاولة فاشلة لكتمان الغضب: «احمرّ وجهه. خبأ انفعاله بضحكة صبيانية»[82]، أو الفرح الكثير: «تهلل وجه السوري»، «و رسم ابتسامة تجارية»[83].

6-3- الأصوات.

إن أصوات الشخصيات بجميع صفاتها الغليظة و اللطيفة، تعد من أجزاء العمل السردي التي لها وظيفة خاصة و دلالات سيميائية. فالصوت إلى جانب العين و ملامح الوجه في كل شخصية روائية، يعرض تصويرا عن الشخصية و خصائصها أمام القارئ.

يجدر الإشارة هنا إلى أن «الوجه، والنظر، و الصوت، خصائص ثلاث لم - يرد ذكرها غالباً، إلا تمهيداً لبناء حوار جار بين شخصية و أخرى[84]» وهذا ماحدث بالفعل في رواية الصبار: «و كانت تصيح: ياكلاب، يا كلاب ...»، «وصاح الجندي بحدة: امش»، «صاح بغضب: لأني فلسطيني»، «وهمس أبو محمد في أذنه: سيجمركونها»، «و صاح فجأة كمن يتقيأ: و أين الصمود؟ ... قهقه السائق بسخرية: للذين قبضوا ثمنه»، « و صاح مجهشا فجأة: أقنعني ...»، «صاح العمال بصوت واحد: يا عادل ... صاح الصبي لاهثاً: عادل»، « و همس مواسيا: شد حيلک يا أبوصابر»، « يهتف بلهجة منتصرة: شيش بيش»، «هتف بتشنج: لاأصدق»، «و هتف إحداهن بصوت حاد: أليف الله اكبر»، «صاح هادراً: ماذا قلت يا شلومو؟»، «فصاح بغضب: لست المسيح و حق الإله»[85].

---

80 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 73، 79، 83، 90، 93، 158، 166، 174.

81 . نفس المصدر، ص 34.

82 . نفس المصدر، ص 65.

83 . نفس المصدر، صص، 117، 131.

84 . مرتاض، عبد الملک، المصدر السابق، ص 217.

85 . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 12، 16، 19، 22، 46، 47، 58، 76، 83، 89، 94، 95.

فالقارئ يجد أن الصياح هو النوع الغالب بين أصوات الشخصيات، حيث أفعال من مادة «صاح» و «صرخ» و «هتف» تكرر أكثر من 120 مرة في الرواية، بينما الكلام بالهمس لم يرد أكثر من عشرة مرات. ذلك لأن الإحتلال ليس إلا التشاجر و التصادم و الجلب و الضوضاء، و لأن الظروف الراهنة تكون بحيث لايجدي الهمس و الكلام العادي شيئاً، و كل ما بقي للفلسطينيين، هو الصراخ و الصياح و الهتاف. و هذا الصياح أكثر ما يسمع من أسامة؛ ثم عادل و زهدي و أبو الرعد الذي يدل سيميائية اسمه أيضاً، على الصوت الهادر المرعب.

أما الصمت أيضاً كنقطة مقابلة للكلام أو الصياح، فله وظيفة و دلالة. وأحياناً لا يدل الكلام على ما يدل عليه الصمت: « و ردد الشيخ بعد فترة صمت و كأنه يستفيق من حلم عميق»، «و لم يجبه الشيخ، بل استغرق في الصمت»، «و التفت عادل بعد دقائق صمت إلى الرجل»، «و سكت [عادل] و ماعاد بالإمكان إخراجه عن دائرة صمته ... مشوا بصمت»، «كان عادل يواصل سيره بصمت و شرود»، «والتزم الصمت»، «لم يجبه الرجل بل ظل صامتاً»، «فتناولها الشاب من يده بصمت»، «يصاب بنوبات حنين صامت»، «استمر صامتاً»، «لزم الصمت هو الآخر»، «و هما يتبعانه بصمت»، «و مشى صامتا»[86].

شخصية عادل، هو الذي يلجأ إلى الصمت أكثر من الشخصيات الأخرى. فواقع أمره شيء لايستطيع التفوّه به، خوفا من رد فعل عائلته و أبيه خاصة. فهو الذي قد ترك المزرعة و أصبح عاملا في مصانع إسرائيل. مع أنه يؤمن بلزوم تغيير الظروف الراهنة.

3-7- الألوان.

للألوان أيضاً دلالات في عملية معرفة الإنسان، فكل لون يرمز إلى سيميائية في الأعمال السردية أيضاً. ففي رواية «الصبار» يمكن تقسيم الألوان إلى ثلاثة: الأبيض و ما شاكله من الأنوار و الأضواء، و الأسود و ما في حكمه مثل الظلمة؛ و الألوان الأخرى.

أما اللون الأبيض و الأنوار و الأضواء فقد تكرر أكثر من خمس و سبعين مرة في الرواية. منها ثماني مرات تختص باللون الأبيض مباشرة، عشرين مرة تختص بالشمس و القمر و النجوم، أكثر من خمس و عشرين مرة تختص بالمصابيح و أضواء المدينة، و البقية تنقسم بين الأضواء و الأنوار الأخرى. فالنور في هذه التشكيلة اللونية، يتكرر أكثر من أي لون آخر. و قد

---

[86] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 40، 41، 50، 66، 67،97، 106، 111، 116، 117، 120، 160، 176.

نعتت هذه الأنوار بأوصاف مختلفة تبعاً للمواقف التي تعبر عنها؛ فالنور إما خافت، أو لامع، أو مرتجف، أو ساطع، أو متراقص و[87] ... . للدلالة على الفضاء الروائي المتناسب مع الحيز الروائي.

اما اللون الأسود و ما في حكمه فتردد في الرواية زهاء ست و أربعين مرة؛ ثلاثة عشر منها تختص باللون الأسود مباشرة، تسعة عشر مرة تختص بالظلام و ما شابهه من الليل و الدياجير و الأماكن المعتمة، و مابقي منها، ترتبط بلون الدخان و الغبار و الغيم وأمثال ذلك. و الكاتبة توظف هذه الألوان توظيفاً دلالياً، و يبدو أن السواد و الظلام و ما في حكمه أكثر ما ترد في النص يأتى للتهجين، أو الذم، أو التشاؤم: «الأزقة الضيقة المعتمة»، «و القرشين اللي معي لليوم الأسود»، «و الليل مازال أسود»، «تملأ رأسه بسحابات قاتمة السواد»، «كانت الغيوم الرمادية تتدفق من جهة الغرب»، «و كان الظلام منتشراً»، «و الدار الكبير يعلوها الغبار»، «نوارة الدار تبكي. دموع، مرض، غبار»، «سطل زبالة يسيل منه ماء أسود بلون القزحة»، و كان الظلام قد خيم علي المدينة ... و الرجال قد لاذوا ببيوتهم خوفا مما تحمله الظلمة من مفاجئات»، «وقفوا في الزوايا المعتمة كالفئران»، «يلقون بي في ظلام رهيب»، «و الجدّة المتلفعة بالسواد»، «تأملت هيكله المعتم»، «الغبار ... الضباب ...»[88].

وأما الألوان الأخرى فللأحمر الحصة الكبرى. فورد الأحمر و مشتقاته خمس عشرة مرة، منها ما ترتبط بالوجه و الانفعالات النفسية التي تبدو آثارها على الوجه، مثل الخجل أو الغضب: «فاحمر وجهه»، و «طفرت الحمرة إلى وجهه»[89]، و منها ما ترتبط بالدم ، مثل: «والسائل الأحمر يغوص في تربة رملية»، «بات [القميص] ذا لون أحمر غامق»[90]. مضافاً على ذلك قد ورد كلمة «الدم» و مشتقاته أكثر من عشرة مرات ، و هذه الكلمة تدل بنفسه على اللون الأحمر: «والضابط ارتمى على الأرض مضرجاً بدمه، «و الدم يتدفق كالنافورة»، «و هذه اليد ملطخة بالدم»[91].

[87] . سحر عدنان خليفة، المصدر السابق، صص، 9، 10، 43، 58، 101، 102، 151.

[88] . نفس المصدر، صص، 27، 30، 43، 53، 56، 57، 62، 70، 71، 81، 87، 88، 101، 124، 133، 135، 148، 156، 175.

[89] . نفس المصدر، صص، 71، 159.

[90] . نفس المصدر، صص، 46، 50، 51.

[91] . نفس المصدر، صص، 102، 132، 137.

و الألوان الأخرى الواردة في النص هي: الأزرق (11مرة)، الأخضر (9مرات)، الأشقر (5 مرات)، والأصفر (مرتين). و هناک أيضاً «الرمادية» و «الحبرية» اللتان أحصيناهما ضمن اللون الأسود و أشباهه.

يبدو أن الكاتبة قد وظفت اللون توظيفا مكثفا وحسنا فی روايته للدلالة على الفضاء الروائي المخيم على النص و تصوير الواقع للقارئ وتقريبه اليه.

الخاتمة.

نستنتج مما مر، أن نجاح رواية الصبار يعود إلى استخدام سحر خليفة تقنيات سردية و فنونها فی النص الروايی استخداما حسنا. فيمكن تقسيم هذه الخصائص و التقنيات إلى قسمين:

1-الخصائص الأسلوبية التي يميز استخدامها أية رواية عن الاخرى. فمنها «الوصف» الذي استُخدِم في رواية الصبار لعرض مشاهد من الأرض المحتلة، خاصة مسقط رأسها «نابلس» و حياة سكانها اليومية تحت نير الاحتلال، و وصف الهيآت و الوجوه و الألبسة و كل شيء يتعلق بحياة الناس اليومية. فأكثر الأوصاف، من بين الأمكنة و المشاهد، يختص بنابلس بما فيه، لأنها مكان الرواية الأصلي و تهدف الكاتبة إلى تصوير واقعها المؤلم. و من بين الشخصيات يتعلق أكثر الأوصاف بشخصيتين رئيستين، هما عادل و أسامة، فجدلية المناضل و المتساوم تتجلى بوضوح بين هاتين الشخصيتين و أوصافهما و سلوكهما. و من الخصائص الأسلوبية «التكرار» بأنواعه التي تقوّي موسيقي الكلام و تضفي عليه طابعا شعرياً بعض الأحيان. فتكرار كلمة، أو عبارة، أو فكرة ما، يسبب ترسيخها في ذهن المخاطب؛ و قد يستخدم للسخرية المرة تجاه الظروف الراهنة في الأرض المحتلة. و «التشبيه» أيضا من الخصائص الأسلوبية التي استخدمها الكاتبة لبيان حال المشبه غالبا، و لتوضيحه و لتجسيم الواقع و عرضه عرضا فنيا. فأكثر التشبيهات في الرواية حسي ملموس لتجسيم الواقع و ترسيمه وليستوعبها القارئ العام.

2- الخصائص السيميائية هي قسم آخر من خصائص الرواية السردية، حيث ترتبط بدلالات الألفاظ و العبارات. فاهتم بها سحر خليفة، فصارت من أسباب

جاذبية خطابها السردي و جماله: كالتناصات المباشرة التي وظفت في النص السردي أحسن توظيف، و دلالة عنوان الرواية على الصبر و المثابرة، و دلالة أسماء الشخصيات كـ «عادل» و «أسامة» و «باسل» على مفاهيم و معان لها علاقة عميقة بسلوك الشخصيات و نفسياتها، و مثل الروائح العبقة و المنتنة التي استخدمت استخداما دلاليا متناسبا كتحسين أو تزيين أو تشويه و تقبيح، و مثل حالات العيون و أوصافها، و الوجوه و ملامحها، و الأصوات و كيفياتها التي تجسم للقارئ أحاسيس الشخصيات و مشاعرها و ما يجري في أعماق ضمائرها، و مثل الألوان بأنواعها المظلمة و المشرقة التي تدل بشكل موحية على الحزن و الفرح، أو اليأس و الأمل و ... . كل ذلك ذات دلالات سيميائية تعين الكاتبة في خلق أجواء يغرق فيها القارئ، و يشعر بأنه يرى بعينيه ما يصفه السارد، و يحس ما تحسه الشخصية الروائية.

هذه الخصائص السردية و فنونها التي مرّ ذكرها بالتفصيل كالأوصاف، و التشبيهات، و التكرار، و الخصائص السيميائية للأسماء، و الوجوه، و الأصوات، و الألوان و التناص... كل ذلك يدل على نجاح سحر خليفة في خلق أجواء فنية تقرّب النص إلى القارئ، فهذا هو سرّ المكانة المتميزة التى حازتها الرواية لدى الناقدين و القراء فى الأوساط الروائية العربية.

المصادر و المراجع.

1- الأسطة،عادل، «سحر خليفة و الدوران في الدائرة نفسها (قراءة لرواية الميراث)». جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. فبراير 2005 http://najah.edu

2- جابر، عناية، «سحر خليفة: أدبي واقعي». جريدة السفير الفلسطينية، 2008/5/23 http://assafir.com

3- جبر، يحيي، *أبحاث و دراسات في الأدب الشعبي*، الدار الوطنية، نابلس: 2006، ط1.

4- جبر، يحيي، و حمد، عبير، «حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة». جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2009/6/2 http://www.Al-Naiah.blogs

5- جميل عزم، أحمد، «روايات سحر خليفة ... اضطهاد المرأة الفلسطينية». مجلة الحرية الفلسطينية، العدد 285، 2010/3/11 http://www.awu-dam.org

6- حمود، ماجدة، «الخطاب الروائي عند سحر خليفة»، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 272، كانون الأول 1993.

7- دراج، فيصل، و آخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، مؤسسة عبد الحميد، شومان: 1999، ط1.

8- رشدي صالح، أحمد، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية: 1971، ج1.

9- زيتوني، لطيف، 2002، معجم مصطلحات نقد الرواية، الطبعة الأولي، مكتبة لبنان ناشرون- دارالنهار للنشر، بيروت-لبنان

10- عدنان خليفة، سحر، برنامج ركن الكتاب، راديو البلد، 13 حزيران 2005.

11- عدنان خليفة، سحر، الصبار، منشورات دار الآداب، بيروت: 1999، ط2.

12- العنتيل، فوزي، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف بمصر: 1965.

13- عياشي،منذر، 1996، المعرفة الروائية(التكوين والواقع)، مجلة الموقف الادبي، العدد 307،دمشق، اتحاد الكتاب العرب، تشرين الثاني http://www.awu-dam.org

14- عيسي، راشد، «حوار مع سحر خليفة»، 2005/2/29 http://www.damascus.org

15- قاسم فرهود، كمال، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، حيفا: 1998، ج1.

16- القاسم، نبيه، «مذكرات امرأة غير واقعية، رواية سحر خليفة التي تجاهلها النقاد». 2006 www.nabih_alkasem.com

17- كامبل، روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر (سير و سير ذاتية)، بيروت: 1996، ج1.

18- الكردي، عبد الرحيم، السرد في الرواية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة: 2006.

19- مرتاض، عبد الملك، «خصائص الخطاب السردي لدي نجيب محفوظ»، مجلة الفصول، المجد التاسع، العدد الرابع، فبراير 1991.

20- مرسي، أحمد، الأغنية الشعبية، سلسلة المكتبة الثقافية (200)، الهيأة المصرية: 1970.

21- معتصم، محمد، الخطاب الروائي و القضايا الكبري (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)، الدار البيضاء: 1991.

22- المناصرة، حسين، «تناقضات الذات و الآخر في روايات سحر خليفة». http://knoll.google.com 2009/11/2

نظرية (الصفر) ونتائج تطبيقها على النحو العربي

د. سناء حميد البياتي

ما هو الصفر في اللغة:

اللغة إنجاز إنساني ميز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات ومكنه من أدائها لما يمتاز به دماغ الإنسان من قدرات هائلة، وتعد اللغة من أكثر إنجازات دماغ الإنسان تعقيدا ، وعند تحليل أية لغة من لغات البشر نجدها تتألف من مجاميع من الجمل ، والجملة هي ما تعبر عن فكرة تامة ، والأفكار تنشأ في دماغ الإنسان وفي دماغ الإنسان يتم تأسيس الجمل المعبرة عن تلك الأفكار نطقا أو كتابة، وفي الدماغ يتم تنظيم العلاقات والربط بين الأشياء التي تحتوي عليها الفكرة، وتعد مرحلة التنظيم التي يتم بها إنجاز الجمل وتحويل الفكرة التي تحتوي على أشياء متعددة إلى جملة تعبر عن أشيائها بكلمات مرتبطة بعضها مع بعض بعلاقات معنوية منظمة ، هذه المرحلة التنظيمية التي تسبق ولادة الجمل كافة هي مرحلة (الصفر) في اللغة ومقرها في دماغ الإنسان .

فالصفر في اللغة هو المرحلة الماثلة ما بين انبثاق الأفكار والجمل المعبرة عنها ، وبعبارة أخرى هو مرحلة تأسيس الجمل في الدماغ على وفق نظام معين مستقر فيه, وهذا النظام يرثه الإنسان كما يرث نظما متعددة لإنجاز فعالياته المختلفة ، وسأفصّل الحديث عن قواعد هذا النظام ، الذي يشغله الإنسان عندما تتهيأ له ظروف التشغيل . وكما أن الصفر في الرياضيات هو مرحلة بدء الأعداد وانطلاقها ، وهو مرحلة تتوسط ما بين الأعداد الموجبة والأعداد السالبة كذلك الصفر في اللغة هو مرحلة البدء لإنجاز الجمل أو لإنتاجها لأنه مرحلة التنظيم والتأسيس التي تسبق ولادة الجمل بجميع أنواعها ، وهو مرحلة تتوسط ما بين انبثاق الأفكار والجمل المعبرة عنها ، وكما كان اكتشاف الصفر حدثا علميا مهما في مجال الرياضيات كذلك الأمر بالنسبة لاكتشاف الصفر في مجال اللغة

.

البحث عن الحقيقة سبب الاكتشاف :

عندما تعمقت بالدراسة النحوية في مرحلة الماجستير وكان ذلك في أوائل الثمانينات وبعد أن استوعبت منهج النحو العربي التقليدي، لم اقتنع بكل ما جاء في ذلك المنهج القائم على (نظرية العامل) ذات الأصول الفلسفية ، كما لم أقتنع بالنظريات الحديثة رغم فوائدها ، وأخذت أبحث عن الحقيقة العلمية ، أي أبحث عن الأساس العلمي السليم الذي أبني عليه صرح منهج نحوي جديد يقوم على المعاني لأن اللغة هي وسيلة التعبير عن المعاني والأفكار ، وأبحث عن القواعد الرئيسة التي أنطلق منها لبناء المنهج الجديد ، ولما كان الكلام إنجازا إنسانيا له مستقر في دماغ الإنسان والجملة هي ما عبرت عن فكرة تامة لذلك حاولت أن أتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنجاز الجملة وحاولت أن أدخل في معمل إنتاج الجمل في دماغي أي جعلت دماغي مختبرا لما أريد الوصول إليه ، وما أريد معرفته هو كيفية إنجاز الجملة في الدماغ كي أبدأ بوضع القواعد للمنهج الجديد من المنبع الذي تنبع منه جميع أنواع الجمل ، وبعد القراءات الكثيرة والتفكير العميق الذي شحذ ذهني وجعلني في حالة من التحسس تفوق الحد الطبيعي تمكنت ـ بفضل الله ـ من اكتشاف النظام الذي يعمل بموجبه الدماغ لإنجاز الجمل والذي يمثل مرحلة (الصفر) في اللغة، فبدأت منها أي من مرحلة الصفر في إقامة المنهج النحوي الجديد .

نظام مرحلة (الصفر) في اللغة :
ذكرت أن مرحلة الصفر في اللغة تكمن ما بين الفكرة والجملة المعبرة عنها ، ويمكن القول أن الفكرة بعد انبثاقها وبعد أن يتخذ الدماغ قرارا بالتعبير عنها باللغة تدخل في مرحلة الصفر أي في معمل إنتاج الجمل ، وقد اكتشفت أن معمل إنتاج الجمل في الدماغ مكوّن من ثلاثة أقسام ونظام عمل كل قسم كما يأتي :

القسم الأول :
يتم فيه تحديد المعنى العام للفكرة فيما إذا كانت إخبارية مثبتة أو منفية أو استفهامية أو شرطية أو غيرها ، وتحديد المعنى للفكرة أما أن يكون بدون أداة وتلك هي الفكرة الإخبارية المثبتة أويكون تحديد المعنى العام للفكرة بأداة وتلك للفكرة الاستفهامية والمنفية والشرطية وغيرها مما يتم تحديد معناها العام بأداة أو بطريقة معينة في الإنجاز بحيث يتميز المعنى العام للفكرة .

القسم الثاني :

في هذا القسم توجد مديرية الربط بين أجزاء الفكرة ، ويتم في هذا القسم تحديد العلاقات المعنوية بين أجزاء الفكرة التي سبق أن تحدد معناها العام وهذه المديرية تعمل بنظام هرمي للربط ، وليس في اللغة عموما أكثر من أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة تربط أجزاء الفكرة واحد منها معنى مركزي رابط عليه تبنى الجملة وهو (الإسناد) وثلاثة معان ذهنية أخرى ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهي : (التخصيص) و (الإضافة) و (التوضيح) - ويمكن تسمية رابط الإضافة (النسبة) وروابط التوضيح (الإتباع) - ويشكل الإسناد رأس الهرم في النظام الهرمي الذي يعمل بموجبه هذا القسم من الدماغ لربط أجزاء الفكرة ، وطرق الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة وهذه تدخل في نطاق قواعدها الخاصة بها.

القسم الثالث :

يتم فيه تحديد الكلمات المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم ، وهذا القسم من الدماغ يخزن الكلمات باستمرار، فيتم اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن الأشياء التي سبق أن ارتبطت بالمعاني الذهنية المذكورة سابقا .

فتخرج الفكرة من هذا المعمل وقد أصبحت جملة ذات معنى عام ومؤلفة من كلمات مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات معنوية منظمة .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن قانون الفروق الذي تعمل به كل اللغات لأمن اللبس ولإيصال الأفكار بوضوح يجعل تحديد المعنى العام للفكرة يتم إما بأداة (كالفكرة الاستفهامية والفكرة الشرطية) أو بدون أداة (الفكرة الإخبارية المثبتة) وتتباين الأدوات بتباين المعاني العامة ، فللنفي أدواته وللاستفهام أدواته وللشرط أدواته وإذا اشتركت أداة واحدة لأكثر من معنى عام ففي نظم الجملة وتأليفها أو طريقة أدائها ما يميز المعنى العام لإحداها عن الأخرى كالفرق الملاحظ في طريقة نظم الجملة وأدائها بين الجملة الاستفهامية والجملة الشرطية حينما تشتركان بأداة واحدة ، في مثل هاتين الجملتين : من يقرأ ؟ من يقرأ يستفد .

ولتوضيح كيفية تأسيس الجمل (الخبرية المثبتة) في الدماغ قبل ميلادها وهي النوع الأول نحاول أن نتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق فكرة معينة وقبل التعبير عنها بجملة ، ولنأخذ مثلا هذه الجملة (الكتاب مفيد) نحس أولا أن الفكرة انبثقت ولكنها ضبابية إلى حد ما- وهكذا كل الأفكار تنشأ ضبابية ولكنها تحتوي على مجموعة أشياء بصورة مفاهيم وهذه الأشياء هي أجزاء الفكرة أو أركانها - وعندما يتخذ الدماغ قرارا بالتعبير عن الفكرة باللغة تدخل

الفكرة في معمل إنتاج الجمل حيث يبدأ بتأسيس الجملة ويتم التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة ثم تنتقل إلى مديرية الربط حيث يتم تحديد العلاقة بين الشيئين أو الركنين اللذين يشكلان فحوى الفكرة وهما : مفهوم الكتاب ومفهوم الفائدة فيتم الربط بينهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) حيث يسند أحد المفهومين إلى الآخر وطريقة الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة .

وفي المرحلة اللاحقة يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في قسم من الدماغ ، فتتحدد كلمة (الكتاب) دون غيرها ويتم اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة مثل (المقال ، الموضوع ، الصحيفة ، المجلة ....الخ) وتتحدد كلمة (مفيد) دون غيرها من الكلمات ويتم اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة مثل (نافع ، نظيف ، قيّم ...الخ) ولكن لم يقع الاختيار على هاتين الكلمتين إلا بعد أن تحددت العلاقة بينهما وربطهما معنى ذهني هو (الإسناد) أي إسناد الفائدة للكتاب ، وهكذا هي المراحل حتى تولد هذه الجملة الخبرية المثبتة المؤلفة من المسند إليه (الكتاب) والمسند (مفيد) مرتبطين بعلاقة (الإسناد).

أن طريقة الإشارة إلى هذا المعنى الذهني الرابط بين الكلمتين (الإسناد) تختلف من لغة إلى أخرى والعربية اتخذت من العلامات الإعرابية وسيلة للإشارة إلى المعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة .

ومثال آخر لمتابعة ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنتاج الجملة نحاول أن نتحسس كيفية تأسيس هذه الجملة: (قرأ محمد قصة خيالية) نحس أولا أن الفكرة نشأت وانبثقت من منطقة أو مركز انبثاق الأفكار وهي فكرة إخبارية مثبتة ولكنها ضبابية إلى حد ما و تحتوي على عدة أشياء أو أجزاء وعندما يقرر الدماغ التعبير عن هذه الفكرة باللغة تدخل الفكرة في معمل إنتاج الجمل حيث يبدأ بتأسيس الجملة (ومن هنا يبدأ علم النحو) فيبدأ التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة ثم تنتقل إلى مديرية الربط بين أجزاء الفكرة فيتم الربط بين شيئين أو جزأين من أجزائها بعد إدراك العلاقة بينهما فيربطهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) فالإسناد هوالرابط المعنوي المركزي الذي تبنى عليه الجملة وترتبط به بقية المعاني الذهنية الرابطة ، لذلك هو يشكل (رأس الهرم) بالنسبة للمعاني الذهنية الأخرى المرتبطة به ، وكلما يتحدد الرابط بين جزأين ينتقل الجزءان إلى المرحلة اللاحقة أي تحديد الكلمة المرتبطة بالكلمة الأخرى واختيارها ، فيتحدد الفعل (قرأ) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الدماغ وتتحدد كلمة (محمد) من بين عدد كبير من الأسماء المخزونة في الدماغ فيولد الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين أما المعنى الذهني الآخر الذي يربط الجزء الثالث فهو

(التخصيص) الذي يخصص القراءة ويحددها بأنها قراءة (قصة) وليس كتابا أو مقالا أو شعرا وأخيرا رابط (التوضيح) الذي يحدد صفة القصة بأنها(قصة خيالية) وليست مؤثرة أو مسلية أو حزينة ، ويرتبط الموضِّح بالموضَّح ارتباط التابع بمتبوعه يلتصق به ولا ينفصل عنه وليس له كيان مستقل بذاته سواء أتأخر عن متبوعه كما في العربية أم تقدم عليه كما في الإنكليزية .
إن عملية اختيار الكلمات تأتي عقب عملية الربط بزمن غير ملحوظ فما أن يتم الربط بين جزأين بمعنى ذهني حتى ينتقل الإيعاز إلى خزّان الكلمات فيتم اختيار المناسب من الكلمات (دلالياً وصرفياً وصوتياً).

إن المعاني الذهنية الرئيسة الرابطة في كل أنواع الجمل لا تزيد على أربعة معان ذهنية هي : (الإسناد) وهو المعنى المركزي الذي يشكل رأس الهرم وعليه تبنى الجملة ، وهو يربط ما بين المسند والمسند إليه .
والمعاني الثلاثة الأخرى التي ترتبط به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة هي : (التخصيص) و (الإضافة) و(التوضيح). أما (التخصيص) فهو الذي يربط المفعولات بأنواعها كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، فكلها لتخصيص الإسناد وتضييق إطلاقه وعمومه ، ولكن كل نوع من المفاعيل يتخذ اتجاها في التخصيص غير الاتجاه الذي يتخذه المفعول الآخر ، فبينما يخصص (المفعول به) الإسناد بما وقع عليه فعل الفاعل مثل (شرب الطفل الحليب) تجد (المفعول فيه) يخصص الإسناد باتجاه زمن حدوث الفعل (المسند) مثل : (سافر الرجل مساءً) أو (شرب الطفل الحليب صباحا).
وهكذا فإن (التخصيص) رابط معنوي رئيس كبير يتفرع باتجاهات متعددة وكلها ترتبط بالإسناد مباشرةً والإسناد هو الرابط المعنوي المركزي الذي يشكل رأس الهرم .
وأما (الإضافة) ويمكن تسميتها بـ(النسبة) فهي تعمل على ربط المضاف بالمضاف إليه من حيث نسبة أحدهما إلى الآخر ، وكلاهما (المضاف والمضاف إليه) يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مثل : (ثوب الطفل نظيف) فالمعنى الذي يربط (الطفل) بـ(ثوب) هو (النسبة) أي نسبة الثوب إلى الطفل التي أدت إلى إضافة إحدى الكلمتين إلى الأخرى ولا ننسى أن إحدى الكلمتين هي مسند إليه (ثوب) لذلك فان الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد (بالمسند إليه) مباشرة ، وقد ترتبط بالإسناد بطريقة غير مباشرة مثل : (يحفظ الطلاب شعر المتنبي) فنسبة الشعر إلى المتنبي ربطت بين هاتين الكلمتين بإضافة إحداهما إلى الأخرى ، ولا ننسى أن كلمة (شعر) مرتبطة بالإسناد- بالمسند يحفظ - بمعنى ذهني هو (التخصيص) حيث خصصت كلمة (شعر) ما وقع عليه فعل الفاعل ، لذا فإن الإضافة ارتبطت بالإسناد بطريقة غير مباشرة .

والملاحظ أن النسبة التي تربط المضاف بالمضاف إليه في هذا النوع من الإضافة أي الإضافة بدون أداة تجعلهما بمثابة كلمة واحدة تعبران عن شيء واحد فـ(ثوب الطفل) كلمتان في الشكل ولكنهما تعبران عن شيء واحد وليس شيئين. ولذلك فهما لا ينفصلان عن بعضهما وإذا ما تغيرت مواقع الكلمات يتقدمان معاً أو يتأخران معاً .

وهناك نوع ثان من الإضافة وهي بوساطة الأدوات المسماة في العربية بحروف الجر ، والمجرور هو مضاف إليه تمت إضافته بوساطة الأدوات حيث لا يمكن معه الإضافة المباشرة مثل : (ذهب الطالب إلى المدرسة) .

وأما (التوضيح أو الإتباع) فهو يعمل على ربط إحدى الكلمات بالأخرى لغرض توضيحها فيجعلها تابعة لها ومرتبطة بها ولا وظيفة لها من غير متبوعها كالصفة التي ترتبط بالموصوف فتوضحه وكلاهما الصفة والموصوف يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالارتباط المباشر، مثل (الرجل المهذب محترم) فكلمة المهذب ارتبطت بـ(الرجل) أي بالمسند إليه ، والارتباط غير المباشر، مثل (قابلت رجلا مهذبا) فكلمة (مهذبا) ارتبطت بـ (رجلا) لتوضيحها باتجاه الوصف وكلمة (رجلا) مرتبطة بالإسناد حيث خصصت ما وقعت عليه المقابلة لذلك فالارتباط هنا غير مباشر .

والملاحظ أن المعاني الذهنية الرابطة التي تتعلق بالإسناد كلها تتجه نحو تضييق العموم وتقييد الإطلاق في الإسناد وتحديد الفكرة تحديداً كاملا .

وهكذا فان كلمات الجملة مرتبطة بعضها ببعض بشبكة من العلاقات المعنوية تبدأ من رأس الهرم (الإسناد) وتتفرع باتجاهات معنوية متعددة .

فالإسناد يربط المسند بالمسند إليه وهو رأس الهرم والمعاني الثلاثة الرئيسة المرتبطة بالإسناد هي :

التخصيص : يربط المفعولات كافة بالإسناد وكذلك يربط الحال والتمييز والمستثنى والمخصوص وكل له جهة في التخصيص.

الإضافة أو النسبة: تربط المضاف بالمضاف إليه وهي نوعان : إضافة بدون أداة وإضافة بوساطة الأدوات أي بوساطة أدوات الإضافة المسماة بحروف الجر .

التوضيح أو الإتباع : يربط الصفة والتوكيد والبيان .

ولنلاحظ المعاني الذهنية أي المعاني النحوية التي ربطت أجزاء هذه الجملة : (يعبد الإنسان العاقل خالق الكون) .

1. الإسناد : الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و (الإنسان العاقل) وربطهما ببعضهما .

2. التوضيح أو الإتباع: الذي حدد العلاقة بين (الإنسان) و(العاقل) وربطهما ببعضهما .
3. التخصيص : الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و(خالق الكون) وربطهما ببعضهما .
4. الإضافة : التي حددت العلاقة بين (خالق) و(الكون) وربطتهما ببعضهما .

وقد تؤسَس بعض الجمل على بعض هذه المعاني الذهنية الرابطة كالإسناد والتخصيص . نحو (كتب الرجل رسالة) أو الإسناد والتخصيص والتوضيح نحو :(كتب الرجل رسالة مؤثرة) أو الإسناد والإضافة ، نحو: (رسالة الرجل مؤثرة) وفي كل الأحوال لابد من الإسناد (رأس الهرم) عند تأسيس أغلب الجمل وتنظيم العلاقات بين أجزائها.

أما الجمل التي يتحدد معناها العام بالأدوات مثل الجمل الاستفهامية والجمل المنفية والجمل الشرطية فتحديد المعنى العام الذي يهيمن على جو الفكرة بأداة معينة هو المرحلة الأولى في تأسيسها وهذا ما يميزها عن الجمل التي يتحدد معناها العام بدون أداة ، فيتم تحديد المعنى العام بالأدوات كأدوات الاستفهام وأدوات النفي وترتبط الأداة بأحد أجزاء الجملة وهو – أي الجزء الذي ارتبطت به الأداة – واقع ضمن شبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي ، كهذه الجملة :

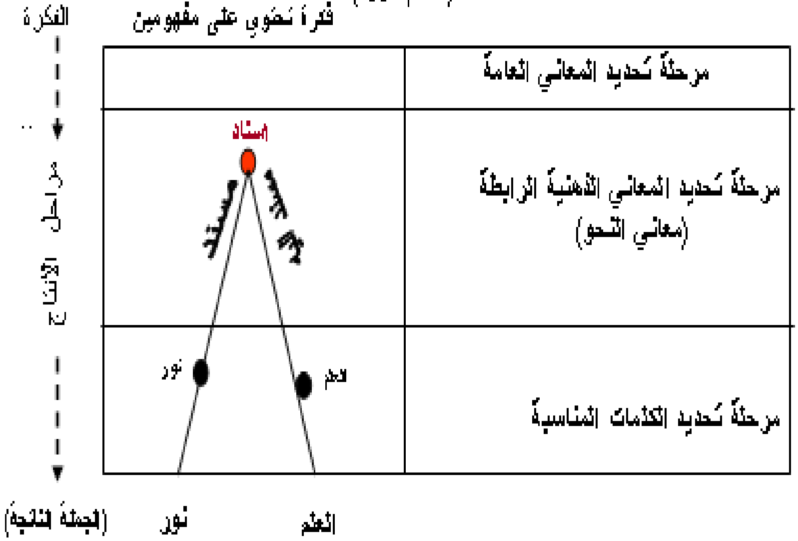
(هل فهم الطلاب الدرس؟) فالاستفهام هو المعنى العام الذي يحتضن الفكرة وقد جاءت الأداة (هل) لتعبر عن هذا الجو العام للفكرة ، وقد ارتبطت (هل) بشبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي وهيمنت على الجملة من خلال ارتباطها بالمسند (فهم) إذ تحددت العلاقات بين الأشياء وارتبطت بمعان ذهنية بتنظيم هرمي شكله (الإسناد) رأس الهرم الذي ربط المسند إليه (الطلاب) بالمسند (فهم) والمعنى الذهني الآخر (التخصيص باتجاه المفعول) الذي ربط الدرس بالإسناد ، وهكذا يهيمن الاستفهام على الجملة ويختص بالجزء المرتبط به .

ويمكن ملاحظة مراحل إنتاج الجملة والتنظيم الهرمي للربط من خلال الرسم التوضيحي الآتي:

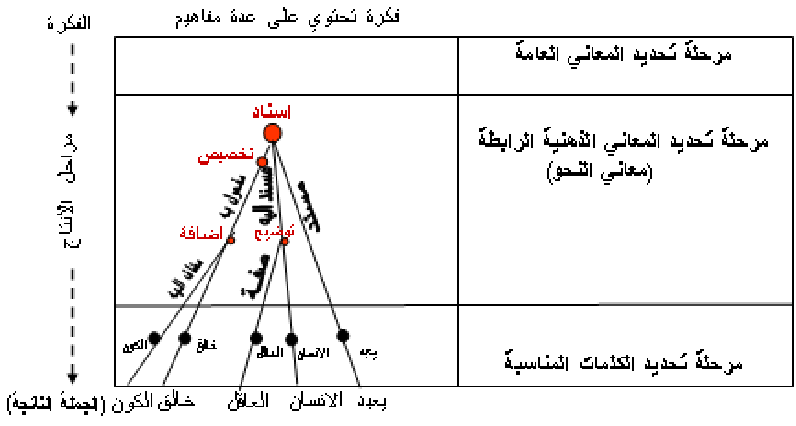
مخطط لمراحل انتاج الجمل والتنظيم الهرمي للربط

1 – مخطط لمراحل انتاج الجملة الخبرية المثبتة (ذات المعنى العام بدون أداة)

(العلم نور)

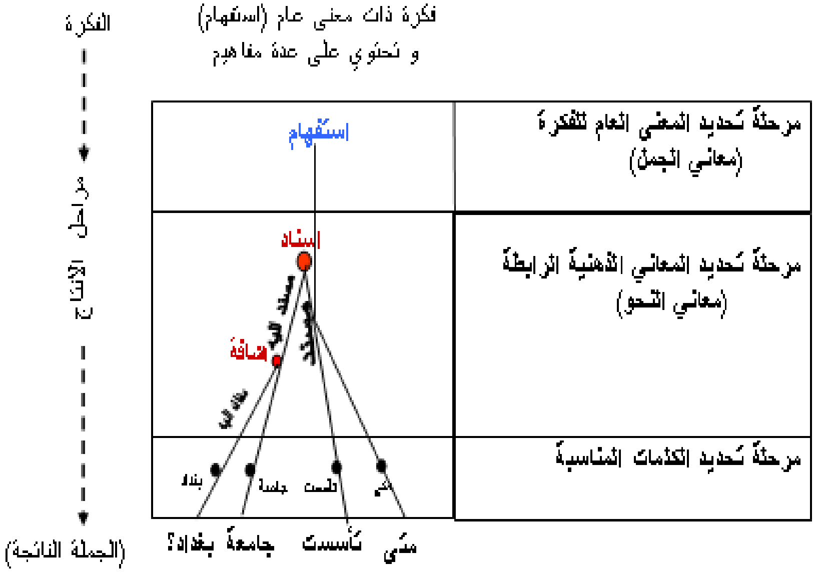


(يعبد الانسان العاقل خالق الكون)



2- مخطط لمراحل انتاج الجمل ذات المعاني العامة (بالأدوات)

متى تأسست جامعة بغداد؟



إن هذا التوضيح لكيفية تأسيس الجملة في دماغ الإنسان والمراحل التي تمر بها الفكرة إلى أن تولد في جملة لا يعني أن هناك زمنا ملاحظا يفصل بين الفكرة والجملة المعبرة عنها فما أن تنشأ الفكرة الاستفهامية حتى تعبر عنها الأداة المناسبة، وما أن تتحدد العلاقات بين الأشياء أو الأجزاء حتى يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها فتولد الجملة بكلمات متعلقة بعضها ببعض وهكذا فان كل معنى ذهني رابط يقترن بالكلمات المناسبة ، والتعبير عن الفكرة يتم بعد انبثاقها بوقت غير ملحوظ ، أي أن الزمن المستغرق في تحويل الفكرة إلى جملة لا يكاد يلاحظ .

إن الانطلاق في دراسة نظم الجملة وتأليفها ابتداء من الدماغ هو الانطلاق العلمي الصحيح – على ما يبدو لي – خاصة بعد أن توصلت الدراسات التشريحية والدراسات المعنية بوظائف دماغ الإنسان إلى أنّ فيه مناطق خاصة باللغة وربط الكلمات ولكن مهما تبلغ دقة هذه الدراسات فإنها لن تستطيع أن تصل إلى تحديد دقيق للمعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة ولا يمكنها أن تكتشف ذلك التنظيم الهرمي المذهل الذي يعمل به الدماغ لتحديد العلاقات بين أجزاء الفكرة المعبر عنها بالكلمات وربطها ولا يمكنها أن تضع مسميات للمعاني الذهنية الرئيسة الرابطة والتي تتفرع منها الروابط كافة لأن هذا الأمر (بهذه التفاصيل الدقيقة) لا يتمكن منه إلا عالم اللغة الذي يتوصل إلى معرفة التنظيم الذي تتأسس بموجبه الجملة في الدماغ ويحدد المعاني الرئيسة الرابطة المشتركة في ربط أجزاء الجملة كافة فيضع لها المسميات حسب وظائفها اللغوية .

إن دراسة الجملة و المعاني الذهنية الرابطة بين الكلمات التي تتضمنها الجملة ودراسة الظواهر الشكلية للكلمات بعد الربط هو موضوع (علم النحو) والمعاني الذهنية الرابطة بين الأجزاء أو الأشياء التي تحتوي عليها الفكرة هي : (معاني النحو) وعند حصر معاني النحو الرئيسة التي تحدد العلاقات بين الكلمات في كل الجمل نجدها لا تزيد على (أربعة) تتخذ – في الدماغ - شكلا هرميا في تنظيم العلاقات بين الأجزاء وربطها ، فعلى (الإسناد) رأس الهرم تبنى العلاقات بين أجزاء الجملة ، ويمثل (الإسناد) الدائرة المركزية في مديرية العلاقات بين الكلمات ، أما المعاني الثلاثة الأخرى الرابطة فهي دوائر رئيسة ترتبط بالدائرة المركزية ومنها تتفرع كل العلاقات المعنوية الرابطة .

أن المعاني الرئيسة الرابطة ، تلك التي تعمل بتنظيم هرمي هي مرحلة الصفر في النحو وتشكل – على ما يبدو لي – المنطلقات الرئيسة والقواعد الأساسية المشتركة لعلم النحو في كل اللغات أي القواعد الأساسية

للنحو العمومي أو العالمي(Universal Grammar) أما القواعد الفرعية فلكل لغة خصوصيتها في تلك القواعد .

النتائج العملية لهذا الاكتشاف على المنهج النحوي:

لقد مكنني هذا الاكتشاف من وضع منهج جديد للنحو العربي اعتمدت فيه على نظرية عربية أصيلة معروفة في تراثنا باسم (نظرية النظم) التي استخلصها العلماء من كتاب (دلائل الإعجاز) للعلامة عبد القاهر الجرجاني المتوفى في القرن الخامس الهجري (ت471هـ) وفي هذا الكتاب مباحث متنوعة أغلبها لإثبات أن القرآن الكريم معجز بنظمه وهي مباحث جليلة تتعلق بمعاني النحو ، وتعد نظرية النظم من أعظم نظريات اللغة التي تقوم على المعاني ، ولكن لم يتوصل العلماء- رغم إعجابهم بهذه النظرية- إلى وضع القواعد الثابتة لها كي تصبح نظرية نحوية فاعلة يمكن الامتداد بها وتطبيقها بشكل منهجي على اللغة العربية .

لقد شكل نظام مرحلة (الصفر) الذي اكتشفته القواعد الثابتة لهذه النظرية ، وبهذا يكون المنهج الجديد منطلقا من مرحلة (الصفر) في اللغة - وهي البداية الصحيحة لأي علم من العلوم - ومعتمدا على نظرية عربية أصيلة هي (نظرية النظم) ومستفيدا من كل ما هو مناسب من نتاج العلماء الأفذاذ الأوائل ومن الآراء السديدة التي قدمها العلماء المحدثون في سعيهم نحو إصلاح النحو العربي وقد طبقت هذا المنهج على اللغة العربية في كتابي (قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم) ، وربما يصلح هذا المنهج النحوي الجديد لمعظم اللغات الإنسانية لأن المراحل التي تمر بها الفكرة والتنظيم الهرمي لربط أجزائها إنما هو في دماغ الإنسان أيا كانت لغته وإنما الاختلاف في طرق الربط وفي الكلمات .

وبذلك يكون اكتشاف نظام مرحلة (الصفر) في اللغة قد حقق الوصول إلى قواعد النحو العمومي ومنها تنطلق كل لغة لدراسة قواعدها الخاصة بها .

النتائج العملية على قواعد النحو العربي :

عندما بدأت من مرحلة الصفر في إقامة منهج جديد للنحو العربي وطبقت هذا المنهج بشيء من التفصيل على اللغة العربية في كتابي (قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم) كانت النتائج قفزةً عالية باتجاه تطوير النحو العربي والخروج به من دائرة النحو التقليدي ذي الأصول الفلسفية إلى نحو أصوله علمية .

وسأذكر هنا بعض صفات المنهج الجديد وبعض نتائج التحليل فيه :

1- إنه منهج يعنى بالمعاني وبالعلاقات المعنوية بين الكلمات ويستند إليها في التبويب وفي التعليل ، ويقيم القواعد من خلال رؤية محددة هي أن المعنى والمبنى مرتبطان ارتباطا لا انفصام له ، وأن أي تغيير في معنى الجملة يتبعه تغيير في مبناها وأي تغيير في مبنى الجملة يتبعه تغيير في معناها

2- إنه منهج ينتقل من الكل إلى الجزء أي من الجملة إلى أجزائها فمعرفة أنواع الجمل هي أول ما يعنى به المنهج الجديد ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى التفاصيل من فعل وفاعل ومفعول أو غير ذلك وتحلل الأجزاء على أنها أجزاء ضمن سياق متكامل أو جمل مترابطة تلقي بظلالها ومعناها العام على الأجزاء كافة ونتائج التحليل في هذه الحالة تختلف عن نتائج التحليل في المنهج التقليدي الذي يضيع فيه المعنى في غمرة التجزئة عند التحليل .

3- يلغي المنهج الجديد الأصول الفلسفية في النحو العربي كمنع تقديم الفاعل على فعله وبهذا يختلف تحديد نوع الجملة في هذا المنهج عن المنهج التقليدي فكل من جملة (انتصر الحق) و(الحق انتصر) فعلية و(الحق) فاعل في كلتا الجملتين سواء أكان متقدما على فعله أم متأخرا عنه وبذلك يتخلص الدرس النحوي من التعقيد المترتب على جعل الفاعل المقدم (الحق) مبتدأ و(انتصر) جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على الحق وهي في محل رفع خبر للمبتدأ وهذا هو التعقيد الذي سببته فلسفة منع تقديم المعمول على عامله أي الفاعل على فعله .

4- يلغي المنهج الجديد فكرة النسخ في النحو العربي كليا والأبواب التي جمع فيها النحو التقليدي عددا من الأفعال سميت بالأفعال الناسخة مثل باب (كان وأخواتها) وباب (ظن وأخواتها) أي الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر والأفعال التي تتعدى إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا والأفعال التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل و (أفعال المقاربة والشروع)

والأحرف الناسخة التي سميت بالأحرف المشبهة بالفعل أي (إنّ وأخواتها) - وهي لا شبه لها بالفعل إطلاقا - كل هذه الموضوعات درست بطريقة ميسرة قائمة على المعنى وعلى سبيل المثال : (كان الطفل يلعب) تعرب في المنهج الجديد كالآتي : كان يلعب : فعل ، زمنه: الماضي لوجود (كان) . الطفل : فاعل مرفوع . ولا فرق في الإعراب سواء أكانت الجملة بهذا الترتيب أم بترتيب آخر(الطفل كان يلعب) أو (كان يلعب الطفل) وإنما التقديم لغرض التركيز على الجزء المتقدم والعناية به . ولاحظ الفرق بين هذا الإعراب والإعراب التقليدي الذي يقال فيه ، كان: فعل ماض ناقص وناسخ يدخل على المبتدأ والخبر فيرفع الأول ويسمى اسمها وينصب الثاني ويسمها خبرها . الطفل : اسم كان مرفوع بالضم . يلعب : فعل مضارع مرفوع بالضم والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الطفل والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان . ويبدو لي أن المعنى قد ضاع على الطالب في خضم هذا الإعراب المعقد ، هذا فضلاً عن اختلاف الإعراب عند تغيير الترتيب .

أما (أفعال المقاربة والشروع) فهي أفعال مساعدة توجه حدوث الحدث في الفعل الرئيس نحو المقاربة أو نحو الشروع فترتبط هذه الأفعال بالفعل الرئيس لتدل على قرب حدوث الحدث فيه أو الشروع في إحداثه فلا تنفصل من حيث المعنى (كاد) عن (الفعل) في جملة : (كاد الطفل يغرق) وتعرب (كاد يغرق) : فعل قريب الحدوث لوجود (كاد) ، زمنه : الماضي . الطفل : فاعل مرفوع ، ويبقى الإعراب نفسه سواء أكانت الجملة بهذا الترتيب أم بترتيب آخر مثل : (كاد يغرق الطفل) أو (الطفل كاد يغرق) . ومثل ذلك أفعال الشروع كجملة : (بدأ الطفل يمشي) . وهكذا ففي اللغة مجموعة أفعال مساعدة قسم منها توجه (الزمن) في الفعل الرئيس وهي (كان وبعض أخواتها) وقسم منها توجه (حدوث الحدث) في الفعل الرئيس نحو المقاربة أو نحو الشروع وهي (أفعال المقاربة والشروع) .

أما الأفعال التي قيل أنها تتعدى إلى أكثر من مفعول واحد (ظن وأخواتها) تم التحليل في المنهج الجديد على أساس المعنى وجملة (ظننت الرجل مذنبا) ليس أصلها (الرجل مذنب) ثم دخلت (ظن) على المبتدأ والخبر فنسختهما وجعلتهما مفعولين لها ، لأن كل جملة لها معناها وتحليلها الخاص بها وإذا كانت جملة (الرجل مذنب) اسميه خبرية تثبت الذنب للرجل فأن جملة (ظننت الرجل مذنبا) فعلية بنيت على الظن وربما توحي بأن الرجل غير مذنب ولا يصح الربط بين الجملتين على أن الأولى أصل الثانية لأن ما يعنينا في النحو المعاني النحوية التي تربط أجزاء الجملة ذاتها وليس الألفاظ المتشابهة بين الجمل و (مذنبا) تعرب (حال) في هذه الجملة التي لا علاقة لها بالأصل

المزعوم . أما باب (الأحرف المشبهة بالفعل) وهي إن وأخواتها فوضعت كل أداة في جملتها وصار التركيز على ما تؤديه من معنى ومن دور وظيفي في الجملة وهكذا تذوب عدة أبواب في النحو قائمة على فكرة النسخ وتدرس بطريقة ميسرة قائمة على المعاني وعلى الدور الوظيفي للكلمة في الجملة.

.

5- لا يلجأ المنهج الجديد للتقدير, وأقصد به التقدير المخل بالمعنى, لأن القواعد تستخلص من معنى الجملة ومن النظم كما هو موجود فلا يفرض على النص ما ليس فيه لأجل القاعدة، فليس هناك تقدير لفعل محذوف يسبق الفاعل في مثل قوله تعالى (إذا السماء انفطرت) حيث يقدر المنهج التقليدي فعلا يسبق الفاعل أي التقدير : (إذا انفطرت السماء انفطرت) والفعل المذكور مفسر للفعل المقدر ولا يخفى ما في هذا التحليل من تعقيد وتغيير للنص وما من سبب غير أن المنهج التقليدي لا يجيز تقديم الفاعل على فعله ، ولأن أسلوب الشرط يقتضي الفعل اختلق فعلا يشبه الفعل المذكور ووضعه قبل الفاعل لملاءمة هذه القاعدة الفلسفية وهناك مواضع أخرى لجأ فيها المنهج التقليدي إلى التقدير كما في قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) حيث جزأ المنهج هذه الجملة إلى قسمين مستقلين (فنادوا) و(لات حين مناص) واضطر إلى التقدير في القسم الثاني كي تصبح جملة أصولية وقدر كلمة (الحين) بعد (لات) فصارت (ولات الحين حين مناص) وأعربت (الحين) المقدرة اسم لات و (حين مناص) خبرها وفي هذا التقدير تغيير للنظم القرآني. وليس ثمة حاجة إلى هذا التقدير حين تحلل الجملة كاملة من غير تجزئة لأن (لات) أداة نفي مختصة بالزمن و(حين مناص) مفعول فيه منفي وهذا يعني أن (لات) نفت أن يكون الزمن مناسبا للفعل السابق (فنادوا) فلا تصح التجزئة أما التحليل في المنهج الجديد فينظر إلى الجملة ككل ويحلل الأجزاء من خلال المعنى الكلي للجملة .

6- كشف المنهج الجديد عن دلالات كثيرة لأبنية الأفعال غير دلالتي (الحدث والزمن) التي اقتصر عليها المنهج التقليدي وأهم دلالة في الأفعال لم يسلط عليها الضوء هي دلالة (الحدوث) والواقع أن الفعل ليس ما دل حدث مقترن بزمن وإنما هو ما دل على (حدث وحدوث) مقترن بزمن أي أن الحدوث هو الذي يقترن بالزمن وليس الحدث ، ودلالة الحدوث هذه هي الدلالة المشتركة بين أبنية الأفعال جميعا وهي التي تتجه اتجاهات مختلفة تبعا لمعنى الجملة فاقتران (كاد) أو إحدى أخواتها بالفعل يقرب الحدث من الحدوث نحو (كاد الطفل يغرق) واقتران (كان) أو إحدى أخواتها - عدا ليس- بالفعل يوجه زمن حدوث

الحدث في الفعل إلى جهة زمنية معينة (كان الطفل يلعب) أو (أمسى المريض يتألم) وثمة دلالات أخرى خاصة بكل بناء من أبنية الأفعال العربية مما يعزز قولنا بثراء العربية وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني .

7- استطاع المنهج الجديد أن يحل مشكلة الزمن في الفعل لأن تحديد زمن الفعل لا يتم إلا من خلال الجملة ولاحظ كيف أن قواعد الزمن في المنهج التقليدي تتناقض أحيانا مع واقع زمن الفعل في الجملة فمثلا الفعل (يتألم) المسمى بالفعل المضارع الذي يدرس على أنه يدل على الزمن الحاضر هل تجده يدل على الزمن الحاضر في قولك مثلا (أحزنني أن يتألم أخي من مرضه أمس) إن زمن التألم في هذه الجملة هو الماضي وليس الحاضر ، والفعل المسمى بالفعل الماضي هل يدل على الزمن الماضي في قوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) فهذه أحداث مستقبلية وليست ماضية وإذا قلت (إذا درست نجحت) فهل يدل الفعل على الزمن الماضي ؟ إن المنهج الجديد يدرس اتجاهات الزمن في أبنية الأفعال من خلال الجمل وعندما نستنبط قواعد زمن الفعل من خلال الجمل سنجد أزمنة كثيرة ومتنوعة في لغتنا وسنجد أن المنهج التقليدي كان قاصرا في كشف الاتجاهات الزمنية المتنوعة في لغتنا .

8- عالج المنهج الجديد موضوع (المبني للمجهول) فألغى هذا الباب من النحو ودرس أفعاله على أنها أبنية:(بناء فُعل) و(بناء يُفعل) وهي تسند بطريقة خاصة إذ لا يمكن إن يكون للجملة أصل ، وأصلها جملة أخرى فيها فاعل ثم حذف الفاعل وناب عنه ما ناب ، فهذا تحليل غير واقعي وينبغي إن تعالج الجملة التي تحتوي على هذا النوع من الأبنية كما هي من خلال السياق الذي تكون فيه و من دون إرجاعها إلى أصل مفترض.

9-عالج المنهج الجديد مجموعة من الأبنية أطلق عليها تسمية (الأبنية المشتركة بين الاسمية والفعلية) وهي : بناء فاعل وبناء مفعول و أبنية المبالغة وأبنية المصادر ، و اتضح أنها ينبغي أن تعامل معاملة الأفعال في بعض استعمالاتها وهذا يعني أن أبنية الأفعال في العربية أكثر عدداً مما حددها المنهج التقليدي ، وقد حاول المنهج الجديد معالجة هذا الموضوع بالتفصيل .

10- غيّر المنهج الجديد بعض المصطلحات التي لا تدل على نوع الكلمة أو وظيفتها في الجملة كمصطلح (المبتدأ) الذي لا يدل على المعنى الوظيفي

للكلمة وإنما يشير إلى موقع الكلمة ، والكلمة في الجملة العربية لا تلتزم موقعاً بعينه فهي تتقدم أو تتأخر على حسب متطلبات المعنى لذلك اختار المنهج الجديد مصطلح (المخبر عنه) بديلاً لمصطلح (المبتدأ) ولكي يتناسب مع مصطلح (الخبر) في الجملة الاسمية المؤلفة من (خبر ومخبر عنه) ، وكذلك (حروف الجر) صارت(أدوات الإضافة) نظراً لوظيفتها في الجملة ، ودعا المنهج إلى تغيير مصطلح (المضارع) الذي لا علاقة له بأية دلالة من دلالات بناء (يفعل) .

11- بناء (افعل) أي فعل الأمر مبني على الحركة الموجودة على آخر البناء أي على الضم في (اذهبوا) وعلى الفتح في (اذهبا) وعلى الكسر في (اذهبي) ولا يصح أن يقاس على ما سمي بالفعل المضارع فيقال أنه مبني على حذف النون ويستحسن ألا نثقل على الدرس النحوي فنقول عنه انه مبني فقط .

12- العلامة الإعرابية في المنهج الجديد قرينة دلالية ، وهي في الاسم تدل على المعنى النحوي الرئيس الذي يؤديه الاسم أي إلى وظيفته في الجملة وفي العربية توزيع دقيق لهذه العلامات يدل على أن العقلية التي أنجزت هذه اللغة عقلية منظمة وفي غاية الدقة . فـ(الرفع) للمعنى المركزي أي (للإسناد) الذي تبنى عليه الجملة ما لم يطرأ عليه طارئ من المعاني العامة ، و(النصب) للمعنى الذهني المتعلق بالإسناد وهو (التخصيص) وله اتجاهات متعددة تشمل المفاعيل كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص وكذلك هو (أي النصب) للأسماء التي تقتضي التخفيف في المواضع الثقيلة و(الخفض) لمعنى (الإضافة) سواء أكانت الإضافة بدون أداة أم بوساطة أدوات الإضافة المسماة في المنهج التقليدي بحروف الجر. أما (التوضيح أو الإتباع) فالاسم فيه يماثل متبوعه رفعا ونصبا وخفضا.

وهكذا فإن العلامات الإعرابية في الأسماء إشارة إلى المعنى النحوي الذي يؤديه الاسم في الجملة . أما علامات الإعراب في الفعل وأقصد حالة الرفع أو النصب أو الجزم على بناء (يفعل) المسمى بالفعل المضارع فتدل على الفروق المعنوية للفعل داخل الجملة وهذه الفروق هي :

1- الفروق في الوظيفة: نحو (يسرني أن تنجح) يسر: مرفوع لأنه الفعل الرئيس الذي بنيت عليه الجملة , تنجح : منصوب لأنه فعل متعلق أو مرتبط بالفعل الرئيس على معنى الفاعلية
2- الفروق في الاتجاه الزمني: نحو(يسافر محمد), (لن يسافر محمد), (لم يسافر محمد).
3- الفروق في حدوث الحدث : نحو(يدرس محمد) حدوث الحدث محقق , (إن يدرس محمد ينجح) حدوث الحدث غير محقق لأنه

متعلق فهنا حدثان حدوث أحدهما متعلق بحدوث الآخر. والفرق في حدوث الحدث من حيث التحقق أو عدم التحقق يتبعه فرق الحركة

4- الفروق في الإسناد عند الاتصال بنون التوكيد : نحو(هو يقولن الحق) (هم يقولن الحق) ..الفرق في من أسند إليه الفعل يتبعه فرق في الحركة.

وقد وضحت تلك الفروق بالتفصيل مع الأمثلة في الكتاب الذي عالج موضوعات كثيرة أخرى لا مجال لذكرها هنا .

لقد توخيت أن أقدم منهجا نحويا قائما على أسس علمية لأجيال قادمة خالية الذهن مما رسخ في أذهاننا عبر القرون ، وقد أفدت كثيراً من الأحكام النحوية الصائبة التي وصلتنا عبر التراث النحوي الزاخر وقادني اتجاه الإصلاح وما قدمه المصلحون واخص منهم بالذكر العلامة الدكتور مهدي المخزومي إلى ما وصلت إليه وقد كنت حريصة على ذكر أسماء العلماء وكتبهم التي أفدت منها كما يتضح من هوامش الكتاب وذلك تعلقاً مني بالأمانة العلمية .

وبإمكان المنهج الجديد أن يستوعب الملاحظات البناءة التي يتقدم بها أصحاب العقول النيرة من ذوي الاختصاص فالكمال لله وحده، وليس عسيرا أن نضيف إليه شيئا في بعض المواضع أو نحذف منه شيئا في مواضع أخرى ما دامت القواعد والأسس التي بني عليها المنهج قواعد علمية ثابتة .

وأخيراً دعائي (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) صدق الله العظيم .

المصادر والمراجع

1. إحياء النحو, إبراهيم مصطفى, القاهرة,1959م.
2. اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية, الدكتور فاضل الساقي, المطبعة العلمية, القاهرة 1970م.
3. دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني, دار المعرفة, بيروت 1978م.
4. الفعل, زمانه وأبنيته, الدكتور فاضل السامرائي, الطبعة الثانية, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1970م.
5. في النحو العربي, قواعد وتطبيق, الدكتور مهدي المخزومي, الطبعة الأولى, مصر 1966م.
6. في النحو العربي, نقد وتوجيه, الدكتور مهدي المخزومي, الطبعة الأولى, بيروت 1963م.
7. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم, الدكتورة سناء حميد البياتي, دار وائل للنشر, عمان/ الأردن 2003م.
8. الكتاب, سيبويه, تحقيق عبد السلام محمد هارون, مصر 1973م.
9. اللغة العربية معناها ومبناها, الدكتور تمام حسان, الطبعة الثانية 1979م.
10. اللغة والفكر, عبد العزيز القوصي وجماعة, المطبعة الأمريكية بالقاهرة, 1946م.
11. اللغة والفكر, الدكتور نوري جعفر, الرباط1971م.
12. من أسرار اللغة, الدكتور إبراهيم أنيس, الطبعة الخامسة 1975م.
13. نظام الجملة العربية, سناء حميد البياتي, رسالة ماجستير, كلية الآداب/ جامعة بغداد, 1983م.

الاقتصاد و إدارة الأعمال

KNOWLEDGE MANAGEMENT IN THE ADVANCED KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية

KNOWLEDGE MANAGEMENT IN THE ADVANCED KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

Abdulrahman Al-Juboori (PhD)
College of Business Administration
Averroes University – Holland
asa_fin@yahoo.com

ABSTRACT

The claim that we lack a systematic corporate knowledge culture understanding of knowledge management in the 'advanced knowledge business organisations' [1] has crystallised into a conventional orthodoxy that is deemed to require some sort of corrective response on the part of the corporate knowledge culture.[2] Unfortunately, many of the responses that have been forthcoming unintentionally reinforce the confusion they are meant to dispel. This is true to the extent that they perpetuate the analytical fragmentation and methodological polarisation that has characterised the study of knowledge management as one of the most strategic knowledge social responsibility processes and institutions within our knowledge business society.[3]

This opening paper explores the various analytical perspectives and related methodologies that have been developed to study knowledge management, and outlines

an alternative perspective that attempts to correct the deficiencies which this exploration reveals.[4] Its aim is to provide an integrated conceptual framework of knowledge managerial processes and knowledge structures for knowledge management in their encompassing institutional milieus. It also serves to identify the central substantive themes around which the latter discussion will be undertaken.

Each of the knowledge analytical perspectives reviewed and developed in this paper focuses on knowledge management as a knowledge organisational mechanism and/or process geared to the co-ordination and control of knowledge productive activity. The need to link this organisationally focused level of analysis to wider institutional configurations of occupational structure and knowledge social responsibility in advanced knowledge business organisations are highlighted in this paper**.**

KEYWORDS:
Knowledge Organisations, Knowledge Social Responsibility, The Corporate Knowledge Technical Perspective, The Corporate Knowledge Political Perspective, The Corporate Knowledge Critical Perspective

1.0 INTRODUCTION

We can identify three major analytical perspectives that have shaped knowledge social responsibility research and analysis of knowledge management since the earlier decades of this century. These are the corporate knowledge

technical perspective, the corporate knowledge political perspective and the corporate knowledge critical perspective. Each of these has waxed and waned in intellectual popularity as the broader corporate social context in which they have been developed has resonated with the knowledge cultural values and ideological appeals they entail.

These perspectives are important to the extent that they fulfil three crucial intellectual functions for those engaged in knowledge social responsibility research on knowledge management. *First*, they provide a characterisation of subject matter that establishes a focus for knowledge analysis. *Second*, they entail preferred models of explanation to account for the phenomena itemised and described under the previous characterisation. *Third*, they legitimate certain practical interventions in the course of knowledge social responsibility in the furtherance of collective projects and deny that aura of legitimacy to competing intervention strategies. In short, they provide the knowledge analytical tools and ideological resources necessary to attain a minimally acceptable degree of intellectual coherence and operational viability.

Each of the perspectives mentioned above will be examined in the light of these three crucial intellectual functions. Initially, a general specification of each perspective will be outlined and this will be followed by a brief exposition of the work of individual researchers who are deemed to be representative of a particular perspective.

2.0 THECOPRPORATE KNOWLEDGE TECHNICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge technical perspective offers a conception of knowledge management as a rationally designed and operationalised tool for the realisation of predominantly instrumental values concerned with the systematic co-ordination of knowledge social responsibility action on a massive scale and the long-term continuity this provides.

Knowledge management is about means rather than ends; it constitutes the neutral knowledge social responsibility technology necessary to attain collective goals that are unrealisable without it. This conception of knowledge management as a formalised structure of rationally designed control systems geared to the attainment of corporate knowledge technical effectiveness in human co-ordination is based on the assumption that knowledge organisations are the functionally indispensable mechanisms that institutionalise individual values and objectives into superhuman collectivities that outlive their creators. Formal organisations guarantee the knowledge social responsibility immortality of mortal individual human beings to the extent that they facilitate long-term institutional identity, continuity and stability in an uncertain and unforgiving world. Knowledge management is characterised as the knowledge organisational machinery that both enables and protects that sense of immortality in a knowledge social responsibility where the conflict between sectional interests and the confusion it creates is endemic.

In this respect, the corporate knowledge technical perspective raises that configuration of formal structural elements through which knowledge management takes on a clear conceptual identity and wider knowledge social purpose to reach the status of paramount theoretical and practical significance.

These structural elements may be shaped into different forms along various dimensions, such as the extent of internal functional differentiation, the degree of centralised decision-making or the extensiveness of written rules and procedures. Yet the fact of empirical variation does not detract from the significance of this configuration of structural components as constituting the irreducible analytical core that provides the study of knowledge management with the minimally required degree of theoretical coherence and practical import. Without structure, the conception of knowledge management as an instrument of rational co-ordination and control loses all its theoretical power and technical utility. Explanations as to the conditions under which certain organisational types will prevail rather than others, and be more effective for task performance than alternative forms, are reduced to the status of low-level descriptive exercises bereft of that generalising capability necessary to sustain the most restricted type of prediction and control unless they are grounded in this structural model.

Given this concentrated analytical focus on the structural nature of knowledge management, the corporate knowledge technical perspective relies on a systems approach to the study of knowledge organisations. A means-oriented conception of knowledge management,

which concentrates on the structural mechanisms that ensure order and secure effective co-ordination and control over knowledge social responsibility interaction, encourages the formulation of an explanatory framework that treats knowledge organisations as knowledge social responsibility units that must fulfil certain functional needs or imperatives imposed on them by their environment. The manner in which these functional imperatives are identified and classified may vary to some degree between individual exponents of the systems approach.[5] However; the latter remain committed to an explanatory logic that accounts for the existence and persistence of knowledge management structures in terms of the contribution they make to the survival of the knowledge organisational system as a whole.

Change within the system is seen to result from the failure of the internal knowledge management structure to adapt to developments in the knowledge organisation's environment. Consequently, there is an imbalance, or disequilibrium, between the component parts of the structure, and this induces strain or tension within the system as a result of the inadequate performance of these components. Thus the pragmatic impulse behind the application of the systems approach in knowledge organisational analysis is to pinpoint those areas in which disequilibrium and consequent strain is occurring (due to faults in structural design) and help individual managers to take corrective action to restore an appropriate relationship between internal knowledge designs and external knowledge conditions.

In this sense, the overriding policy strategy or mission guiding the development of the corporate

knowledge technical perspective is the desire to enhance the effectiveness of structural design by ensuring that the dysfunctional consequences of knowledge organisational maladjustment are diagnosed and remedied as quickly as possible. This requires a detailed analysis of the demands various environmental contingencies - such as size, technological change, product differentiation, market specifications and informational needs-place upon the knowledge organisation and the extent to which these are met by established modes of internal co-ordination and control that have been adopted to fulfil these demands. The real test of an appropriate or adequate knowledge organisational design is the quality of functional fit between the internal knowledge structures through which knowledge management exercise control over the myriad of social transactions that take place within their organisation and the changing pattern of external environmental demands they are meant to meet.

The corporate knowledge technical perspective has been the dominant intellectual construction through which the knowledge social responsibility analysis of knowledge management has been undertaken. It has come under increasing pressure; however, in more recent years as interest in the complex knowledge social responsibility processes that shape, if not direct, the dynamics of knowledge organisational change has developed. Undoubtedly, the focus on structure as a formal mechanism for co-ordinating and controlling task performance on a rational and continuous basis owes much to the intellectual inheritance bequeathed by the 'classical or traditional theory of organisations'.[6] The latter aspired to provide a general theory of knowledge management that was universal in its empirical scope and

followed the logical system of deductive law-like explanation assumed to prevail in the natural sciences.[7] The realisation of a general theory of knowledge management was to be achieved through the formulation and reformulation of a continuing series of more refined conceptual frameworks through which the critical aspects of knowledge organisational structure could be identified. It was envisaged that increased conceptual refinement would also facilitate practical recommendations about the form of knowledge organisational structure that would be most appropriate regardless of situational or contextual variation.[8]

The universalistic aspirations of classical management theory have been severely criticised and rejected by contemporary researchers operating within the technical perspective.[9] Its lack of attention to empirical detail and the implications of contextual variation for structural redesign by management have also been roundly criticised.[10] Yet we should not underestimate the intellectual influence of the classical approach on modern systems approaches to management. The work of researchers such as Etzioni,[11] Thompson,[12] Lawrence and Lorsch,[13] and Pugh and Hickson[14] bears a close resemblance to the classical approach in a number of respects. *First*, knowledge organisational structure is treated as being conceptually synonymous with formal knowledge organisation. *Second*, explanations of how these structures exist and persist are framed in terms of a deterministic logic that assumes that institutionalised patterns of knowledge social responsibility relations impose themselves on knowledge organisational actors - including managers - in such a way that knowledge organisational development proceeds along a

predetermined trajectory irrespective of human volition and action. Knowledge organisational change takes place behind the backs of knowledge organisational members, who remain in a condition of relative ignorance as to the internal dynamics of the former and its source in external circumstances that are beyond the determination of knowledge organisational designers. *Third*, knowledge managers can exercise some limited control over the pace and direction of structural redesign even though they are merely responding to, and attempting to cope with, a logic of structural development that operates in an autonomous manner.[15]

Increasing dissatisfaction with the deterministic predilections of those who advocated the adoption of a corporate knowledge technical perspective in the analysis of knowledge management has led to the formulation of an alternative perspective that is grounded in a model of knowledge management as a corporate knowledge political process in which power conflicts and their temporary resolution become central to an understanding of knowledge organisational change.

3.0 THE COPRPORATE KNOWLEDGE POLITICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge political perspective promotes a view of knowledge management as a knowledge social responsibility process geared to the regulation of interest group conflict in an environment characterised by considerable uncertainty over the criteria through which effective knowledge organisational

performance is assessed. As such, it signifies a clear break with the rationalism associated with the corporate knowledge technical perspective. It re-conceptualises knowledge management as consisting of a plurality of competing groups or coalitions that often come into conflict over decisions concerning the choice of knowledge organisational designs and temporarily resolve this disagreement through the exercise of power in one form or another. In direct contrast to the deterministic bias implicit in the technical perspective, political analyses of managerial decision-making over knowledge organisational design concentrate on the continually shifting balance of interests and power within knowledge management (particularly top management or the 'dominant coalition') [16] and its impact on the way in which the agenda for decision-taking is constructed.

The shift of focus from structure to process is not accidental; it exemplifies a rejection of the static and mechanistic conception of knowledge management that is deemed to inform the work of those operating within the corporate knowledge technical perspective. The corporate knowledge political perspective offers an approach that deals with individual managers as knowledgeable human agents functioning within a dynamic situation where both knowledge organisational means and knowledge outcomes can be substantially shaped by them. The main research effort of those advocating a corporate knowledge political perspective on knowledge management has centred on the need to trace the sources of knowledge power available to various managerial knowledge coalitions, the degree of knowledge political skill with which the potential leverage they offer is utilised, and the extent to which the strategic mobilisation of knowledge power resources facilitates

manipulative control over the frame of reference within which managerial knowledge decision-making occurs. Usually, researchers operating within this approach rely upon a knowledge power-dependence model of managerial power knowledge relations in which the capacity of a particular knowledge coalition to determine the agenda of decision-making (that is, its power) is seen to be a function of its ability to minimise dependence on others within the contingent constraints presented by the particular situation in which it is operating. Thus a complex combination of situationally determined opportunities and the level of knowledge political skill exhibited in utilising the potential for control which they offer to attain preferred decisional outcomes are seen to constitute a central focus for research endeavour by advocates of the corporate knowledge political perspective.

The primary effect of the increasing popularity of the political perspective in the corporate social responsibility of knowledge management has been expressed in the substantial rethink it has initiated about the assumptions underlying the orthodox model of knowledge management as a set of rationally designed and operationalised control systems effectively ensuring the realisation of instrumental objectives. This model has been subverted by a much more explicit recognition of knowledge management organisation as a corporate knowledge political system in which institutional order and operating practices have to be continually reworked through the negotiated transactions between coalitions covering the total range of knowledge organisational personnel. While the exact nature and scope of this negotiating process is still the subject of debate, the

'pervasive pluralism'[17] of knowledge management organisation is a crucial point of theoretical reference for those who advocate a corporate knowledge political perspective and stands in sharp contrast to the emphasis on formal regularity and consistency discovered within the technical approach.

Exponents of a corporate knowledge political approach to the study of knowledge management have drawn extensively on an action frame of reference in knowledge organisational analysis.[18] The latter approaches knowledge organisational structures as continually reworked networks of knowledge social interaction in which the more stable features of formal knowledge control systems – knowledge hierarchy, knowledge rules, knowledge procedures, knowledge regulatory codes, knowledge monitoring techniques, etc. - are seen to constitute a background context that is subject to renegotiation through the routine transactions engaged in by all personnel. As a knowledge result, knowledge structure is redefined as a temporary patterning of the ebb and flow of knowledge interactional processes open to periodic reappraisal and reconstruction through negotiated agreements between knowledge participants. It loses its theoretical status as the primary factor determining knowledge social interaction and is conceptually transformed from a knowledge neutral instrument of knowledge social control into 'an emergent product of processes of negotiation and interpretation enacted by differentially placed participants within the jurisdiction of knowledge organisational rules and knowledge administrative programmes'.[19]

This reinforces the importance - both theoretical

and practical -attached to the manner in which the negotiating processes through which knowledge organisational structures are reproduced are shaped by, and in turn shape, the prevailing pattern of knowledge power relations within a knowledge organisation. The latter generates a framework of unequally distributed capacities and opportunities among organisational personnel for reconstructing the structural forms through which they order their social relationships. In this way, the 'negotiated order'[20] model of knowledge organisation admits that all knowledge participants do not enter into negotiating processes from an equal position. Rather, they enjoy differentially distributed advantages in terms of their access to and control over scarce knowledge organisational resources - such as knowledge for capital, manpower, technology, information and legitimating symbols-and the relative skill with which these are deployed to attain preferred decisional outcomes. However, it does maintain that the distribution of power, and the opportunity it affords to shape knowledge organisational design decisions, is far from being fixed and immutable. Indeed, the negotiated order model of knowledge organisation is based on the principle that knowledge power relations, and the knowledge opportunities which they provide to engage in the restructuring of knowledge organisational order, are essentially unstable and fluid structures that are always prone to degenerate as the balance of knowledge power between the plurality of interests which constitutes the corporate knowledge organisation's political system fragments and changes. The hierarchical character of power relations within and between knowledge organisations is afforded some degree of recognition. Yet, its explanatory significance is downgraded in favour of a

conception of knowledge power that concentrates on the negotiating processes through which knowledge organisational order is continually reworked and transformed.

Insofar as we can draw any direct and explicit policy recommendations from the characterisation and explanation of knowledge management structures and processes presented by the corporate knowledge political perspective, these usually take the form of emphasising the potential improvement in the political skills and techniques of managers afforded by a deeper understanding of knowledge power conflicts and their implications for effective knowledge organisational designs.[21] Increased managerial awareness of, and sensitivity to, the subtle and pervasive corporate knowledge political processes through which organisational change is negotiated is seen to facilitate the implementation of more effective forms of knowledge managerial control. This is so to the extent that they allow a more realistic appreciation of the obstacles that are likely to stand in the way of the achievement of preferred outcomes and a more grounded stock of recipes for removing them. The design, implementation and evaluation of knowledge alternative structural forms are likely to remain ineffective as long as it refuses to take sufficient cognisance of the corporate knowledge political processes in which these activities are necessarily and unavoidably embedded.

Examples of knowledge social responsibility research on knowledge management from within the corporate knowledge political perspective date back to the early 1950s - as found in Dalton's[22] pioneering study of the

constantly shifting balance of knowledge power within and between knowledge managerial cliques and its impact on knowledge organisational innovation. The series of classic case studies on the dynamics of bureaucratic change, and the crucial role of internal power struggles between knowledge managers in shaping the change process, which were carried out between the mid-1950s and the mid-1960s, also stand testimony to the knowledge social value of the corporate knowledge political perspective.[23] A later generation of researchers have further developed the analytical power and empirical utility of the corporate knowledge political perspective by focusing upon the role of 'strategic choice' in shaping knowledge organisational structures; they have also emphasised the explanatory significance of the knowledge social commitments, material interests and political power of knowledge dominant coalitions in ensuring the implementation of preferred structural designs.[24] This later work has also highlighted the critical importance of analysing movements in the broader institutional context in which particular knowledge organisational units are located and their effect on internal corporate knowledge political processes for developing a more sophisticated explanation of knowledge organisational change.

Yet, it is in relation to this area - that is, the interaction between knowledge institutional context and knowledge managerial power politics, and its implications for a more systematic understanding of the link between knowledge power relations and knowledge organisational change - that criticisms of the corporate knowledge political perspectives have been most strongly voiced.[25] These criticisms relate both to the pluralistic conception of knowledge power relations that has informed the work of

researchers working within the corporate knowledge political perspective and to the relative neglect of the institutionalised structures of knowledge power and control contained within the encompassing knowledge political economy in which specific knowledge organisational units are deemed to operate. Thus, Willmott contends that:

The pluralist perspective is still limited to the analysis of the mobilization of power resources by a variety of groups within organizations whose institutional formation is largely taken for granted. For although this highlights the significance of structural power differentials and conflicts of interests within organizations, the pluralist perspective offers little or no explanation of the distribution of power. Nor, relatedly, does it attend to the institutionalization of relations of power in the structures of work organization.[26]

It is this lack of attention to the institutional formation of knowledge intra-organisational power struggles, and its role in structuring the corporate knowledge political processes through which resources are mobilised and structural designs transformed, which has provided the catalyst for formulating a corporate knowledge critical perspective on knowledge management.

4.0 THE CORPORATE KNOWLEDGE CRITICAL PERSPECTIVE

The corporate knowledge critical perspective conceptualises knowledge management as a knowledge control mechanism that functions to fulfil the knowledge economic imperatives imposed by a capitalist mode of knowledge production and to disseminate the knowledge

social responsibility frameworks through which these structural realities can be obscured. Knowledge managerial structures and strategies are treated as the instruments through which the knowledge economic and knowledge political interests of a ruling class within a specific mode of knowledge production are advanced and protected. The dominant knowledge economic imperative that knowledge management have to realise is the need to achieve a sufficient degree of control over the knowledge production process necessary to secure the efficient extraction of surplus value and corresponding levels of profitability that it guarantees. The overriding ideological demand they have to meet is the need to maintain the subordinate position of knowledge labour within the knowledge production process so that potential or actual resistance on the part of the former is minimised and contained within accepted institutional parameters.

This characterisation of knowledge management is logically tied to a Marxist approach to knowledge organisational analysis, which attempts to link the routine knowledge organisational work in which knowledge managers are engaged to the determining structure of knowledge production relations in which it takes place. This approach does not deny the practical relevance or explanatory significance of knowledge political conflicts within knowledge management (and between knowledge management and other groups) for an understanding or knowledge organisational outcomes and their impact on the everyday lives of participants. However, it does contend that these knowledge intra-organisational political processes are subordinate to - both in analytical and practical terms - the encompassing structure of capitalist knowledge production relations in which they are

embedded and the functional imperatives that have to be met to ensure the latter survives as a viable knowledge socio-economic system.

In this way, both knowledge managerial personnel and the knowledge organisational designs they construct and maintain are treated as direct products of the knowledge socio-economic system under which they function as identifiable social groups and institutional units. The former are regarded as agents for, or bearers of, a knowledge economic logic that demands that knowledge labour is controlled and directed in the furtherance of knowledge sectional interests it would otherwise reject and overthrow. The latter provide the knowledge organisational means through which this task can be achieved in the form of material inducements, ideological appeals and administrative arrangements that prevent or contain workers' resistance and will incorporate them within a knowledge cultural and symbolic framework that literally 'mystifies' the structural realities to which they are subjected.

Such an interpretation recognises the existence of knowledge poorly integrated and inconsistent knowledge organisational designs that can be 'dysfunctional' from the viewpoint of achieving effective knowledge managerial control. Indeed, the major effort of researchers working within the critical tradition over the last few years or so has been directed towards the internal contradictions that are unavoidably contained within the strategies and structures of knowledge organisational control implemented by knowledge management.[27] In turn, these contradictory tendencies are seen to provide the source of successive waves of further managerial restructuring that

attempt to eradicate the tensions which these conflicting objectives or principles cause, but merely succeed in exacerbating the original problems they were meant to solve.[28] The most important of these contradictions is seen to reside in the simultaneous desire for control over and co-operation from labour, and the parallel implementation of structural and ideological mechanisms (such as more coercive supervisory methods and co-operative ideological appeals) which ensure that these objectives are simultaneously negated.[29]

To the extent that any clear corporate prescriptive managerial implications can be drawn from the corporate knowledge critical perspective, these are expressed in terms of developing a deeper appreciation of knowledge management's role in regulating the institutionalised conflict of interest between knowledge capital and knowledge labour, as well as an increasing awareness of the contradictory strains and pressures this imposes on individual managers.[30] The latter are seen to be exposed to increasing pressure and tension due to the extraordinary strain the single-minded pursuit of the imperative of knowledge capital accumulation places on the successful performance of their knowledge conflict-regulating role. The requirement to maintain a delicate balance between the subordination of knowledge labour through structural control and the incorporation of knowledge labour through material and ideological inducement is threatened by those technological and knowledge organisational developments generated by the logic of knowledge capital accumulation.

These pressures are thought likely to make the position of knowledge management within the class structure of knowledge capitalist society even more

difficult to sustain.[31] The logic of knowledge capital accumulation requires the limitation, if not dismantling, of any structural or ideological impediments that may result from a strategy of knowledge labour incorporation - life-time employment systems, high relative wage levels, good working conditions, consultative arrangements, paternalistic ideological appeals, etc. But it also threatens to reduce most knowledge managerial and supervisory personnel to exactly the same knowledge social and knowledge organisational status as that of subordinate knowledge labour.[32] As a result, managers become subjected to the same material deprivations and structural constraints - that is, deskilling processes - previously reserved for shop-floor workers, such as short-term employment contracts and rationalised systems of knowledge work control.[33] The impact of these developments on forms of class consciousness and action among middle knowledge managers and supervisors is a matter of some considerable debate within the critical tradition.[34] However, there seems to be general agreement that they will have a destabilising effect on any ideological and political compromises that have been concocted to cope with the severe problems created by the contradictory class location of knowledge management i.e., contemporary knowledge capitalist societies.[35] Thus, both in terms of its class location and organisational function within a capitalist mode of knowledge production, critical theorists present a view of knowledge management as an ideological mystification and institutional compromise that is unlikely to survive the technological, economic and social upheavals occasioned by the knowledge culmination of the workings of the 'inner logic' of capitalist development at the close of the twentieth century. The long-predicted end of management[36] is

confirmed through a form of intellectual analysis that is itself underwritten by a watertight historical guarantee. We find the clearest expression of the growing influence of a corporate knowledge critical perspective within the knowledge social responsibility of knowledge management in that series of theoretical analyses and empirical studies of the knowledge labour process in knowledge capitalist societies set in motion by Braverman's[37] pioneering attempt to restate the superiority of a Marxist approach to the knowledge dynamics of knowledge work organisation and control. This work has been conducted over a wide range of issues,[38] but its main theoretical and substantive significance from the viewpoint of the knowledge social responsibility of knowledge management is the marked shift in emphasis away from a functionalist analysis towards a dialectical approach, and the considerable variation, not to say contradiction, in knowledge managerial control strategies and structures this has revealed.[39]

This shift of emphasis has resulted in less attention being directed towards the formulation of an abstract and formalistic account of the structural imperatives that impose themselves on capitalist forms of work organisation and the functional role of knowledge management in fulfilling them. In its place, a view of knowledge management as a mechanism that mediates between external knowledge economic constraints and internal knowledge work designs has been developed. This knowledge mechanism, it is further maintained, consists of ideas, techniques, methods and practices related to the effective control of work performance that necessarily contain incomplete and contradictory recipes for action which produce unanticipated and unwelcome outcomes.

At the same time, this model of knowledge management as a mediating mechanism which necessarily contains complex and contradictory recipes for action is further complicated by a clearer recognition of the multifarious forms of knowledge worker resistance that are mobilised in response to the implementation of knowledge innovative control systems. A growing realisation that 'the linkage between the logic of knowledge capital accumulation and knowledge transformations of the knowledge labour process is an indirect and varying one'[40] has provided the catalyst for a fundamental reworking of a model of knowledge management that is much more voluntaristic and pluralistic in its theoretical approach than that suggested by Braverman.

Nevertheless, an unresolved theoretical tension between a structuralist view of knowledge management - as a functional knowledge mechanism ensuring the maximisation of knowledge surplus value and a dialectical interpretation highlighting the inevitable ruptures occurring between macro-level knowledge economic imperatives and micro-level knowledge control systems, remains at the conceptual core of the knowledge labour process approach.

The theoretical perspectives reviewed in this section signify the development of a knowledge social responsibility of knowledge management that is much more closely attuned to the inherent complexity and diversity of the knowledge social practices embedded within such a crucial knowledge social institution. However, an increasing awareness of, and receptiveness

to, the dynamic quality of knowledge managerial practices has not resolved a number of crucial problems that confront any attempt to construct a coherent and integrated knowledge social responsibility of knowledge management. In certain respects, these problems have been exacerbated as sociologists have moved away from the over deterministic predilections of structural analysis and welcomed the relief from abstract formalisation that a more historically oriented approach seemed to provide. These problems are discussed in the following section, while Table 1 provides a summary of the theoretical knowledge culture perspectives.

Table 1 corporate knowledge culture on knowledge management

	Subject matter	Explanatory model	Policy strategy
1. Corporate Knowledge Technical Perspective	Knowledge Rationally Perspective designed tool for the realisation of instrumental objectives	Knowledge Systems theory	Enhanced effectiveness of Knowledge Structural Design
2. Corporate Knowledge Political perspective	Knowledge Negotiated Social Process for the regulation of knowledge interest group conflict	Knowledge Action theory	Improved negotiating skills for Knowledge Practitioners
3. Corporate Knowledge Critical perspective	Knowledge Control Mechanism geared to the extraction of knowledge maximum surplus value	Knowledge Marxist theory	Liberate practitioners from distorted view of knowledge social reality

5.0 UNRESOLVED PROBLEMS FOR KNOWLEDGE BUSINESS ORGANISATIONS

Four major unresolved problems arise out of the review conducted in the previous section; *First*, the failure to develop a knowledge integrated analytical framework linking together the study of knowledge managerial behaviour, knowledge organisational structure and knowledge institutional context within one perspective. *Second*, the tendency to fall back upon either knowledge structural determination or knowledge strategic choice in the face of seemingly overwhelming evidence as to the explanatory primacy of either. *Third*, the recourse to a knowledge functionalist explanatory logic that knowledge treats managers as the knowledge agents or bearers of knowledge social forces that contend in a wider institutional arena of which they have little or no theoretical knowledge, and knowledge treats managerial processes and knowledge systems as epiphenomena of 'deep structures' that develop according to their own logic within this arena. *Fourth*, and consequent upon the previous three points, the consistent failure to recognise the unavoidable dilemmas of knowledge managerial practice and their deep-seated implications for a form of corporate social analysis which, whatever its particular theoretical bent, still remains wedded to a rational model of knowledge managerial action.

Corporate knowledge social research on knowledge management has tended to proceed in an extremely *ad hoc* and fragmented manner with, until of

late, little attempt to integrate the various levels of analysis at which it has been pursued. Thus, studies[41] of knowledge managerial work have progressed from a somewhat limited focus on task analysis and job characteristics to a 'political sociology'[42] approach that examines the key role played by certain knowledge managers in negotiating knowledge organisational order.

However, studies such as these remain trapped within a knowledge organisational setting in which there is very little, if any, attempt to relate internal knowledge political processes to the broader knowledge institutional framework that shapes them. The corporate knowledge technical analysis of knowledge organisational structure has made some belated attempt to link knowledge institutional change to redesign knowledge processes, but the relationship is theorised in terms of a set of restricted 'knowledge environmental contingencies' (such as knowledge market demand and knowledge technical pressures) which impinge on knowledge managerial behaviour without any reference to the source of the latter in macro-level developments. In short, the corporate knowledge social analysis of knowledge management is characterised by research effort conducted at a multiplicity of analytical levels, and shows little signs of achieving even a partial integration of the fragmented theoretical insights and empirical illustrations these studies reveal.

An understandable, if unfortunate, response in the face of this analytical fragmentation and empirical diversity is to fall back on a form of intellectual monotheism. This asserts the universal truth of one particular theoretical interpretation of the reality of knowledge managerial existence. It may express itself in

various philosophical and conceptual guises, but it usually boils down to a Hobson's choice between seeing knowledge managers as bearers of knowledge structural forces over which they have little or no control or viewing them as free agents relatively unconstrained by prevailing knowledge socio-economic conditions. In either case, a recourse to a knowledge functionalist explanatory logic of some kind or another usually follows, even if this is modified in certain respects by reference to an extremely restricted area of choice or to the minimum constraint introduced by a consideration of knowledge environmental factors.

The recourse to functionalism seems to be irresistible once we move from a description of, to an explanation for, those characteristics that are seen to constitute the essence of knowledge managerial existence. From the point of view of the corporate knowledge technical perspective, knowledge managers are treated as the agents for a formal or instrumental rationality focused on knowledge design faults that they may fail to appreciate and enact to its fullest extent in specific situations, but which will impose itself upon them eventually. Within the corporate knowledge political perspective, a different kind of rationality prevails - one dominated by considerations of short-term knowledge political advantage and knowledge power within the employing knowledge organisation. But it tends to reduce knowledge managers to the status of ciphers for micro-level processes of which they possess little understanding and even less control. For those operating within the corporate knowledge critical perspective, knowledge managers are best seen as merchants of morality. They act as the conduits for a knowledge economic logic that has to

be obscured, hidden and distorted in some way or another through the promulgation of various ideological mystifications.

In each case knowledge managers simply become the agents for knowledge functional imperatives that originate outside the knowledge social practice in which they are routinely engaged. As the carriers of an instrumental rationality or the public front-knowledge men for private knowledge organisational politicking or the playthings of inexorable knowledge social forces, they lose any viable claim to knowledge self-interpretation and knowledge sustainable cultural identity. This results in a denial of the unavoidable knowledge ethical and knowledge political dilemmas that knowledge managers confront in the performance of a knowledge social practice that is necessarily characterised by a considerable degree of empirical diversity, knowledge political uncertainty and knowledge moral ambiguity. An over-socialised model of knowledge management leads to a form of corporate knowledge social analysis in which the often fragmented, constrained and conservative quality of knowledge managerial conduct becomes overlaid by a theoretical gloss. This reflects these characteristics in the form of an idealised image that seems to bear little relationship to the reality it purports to represent.

Consequently, taken in isolation, none of the three analytical perspectives we have discussed exhibits a sufficient degree of theoretical and methodological sensitivity to the ambiguities of knowledge managerial practice. The *corporate knowledge technical perspective* assumes that, in the long run, knowledge managerial behaviour will be dominated by a neutral means-oriented

rationality, even if temporary deviations from this universal norm will sometimes be encountered in specific situations. Indeed, its focus on the key relationship between knowledge managerial task activity and knowledge formal structure[43] is motivated by a concern to reassert the determining force of a knowledge functionalist imperative that imposes itself on knowledge management action, but may need to be given a helping hand in cases of transient knowledge organisational pathology. The pro-active role of knowledge managers in generating and sustaining the knowledge organisational ambiguities and uncertainties they face is minimising to the point of virtual analytical extinction. It is recognised only as an obstacle that occasionally gets in the way of a more logical relationship between knowledge organisational design and knowledge environmental demands. The contribution of conflicting interests and values institutionalised within the wider knowledge society to the development of knowledge intra-organisational strains and tensions is reduced to a cluster of knowledge environmental pressures that are presumed to structure knowledge managerial decisions over knowledge organisational design. In turn, these decisions are regarded as outcomes of a procedure in which the relationship between knowledge organisational means and ends is treated as a particular example of a more general process that brings resources and objectives into rational alignment.

The inadequacies of a rational model of knowledge managerial decision-making provide the critical point of entry for those advocating a corporate knowledge political perspective on knowledge managerial behaviour and knowledge organisation. However, the conception of knowledge politics which informs this approach is

restricted to a concern with the way in which resource allocation processes are manipulated by non-rational considerations related to sectional interests and values - particularly those held by the dominant coalition within the organisation's managerial elite.[44] Knowledge politics is deemed to be synonymous with politicking. Any broader theoretical or practical concern with the general knowledge moral dilemmas and principles that may direct knowledge managerial behaviour, especially in knowledge conflict situations, is missing. As a result, the force of Anthony's argument that 'because they (knowledge managers) are concerned with social and political relationships in organisations, they have a real concern with moral relationships'[45] is completely lost within a debunking methodology that seeks to expose the sectional interests lying behind professed commitments to normative principles of justice, fairness and equality. Once more, the initial recognition of complexity and subtlety is overpowered by the search for *the* determining force necessary to explain knowledge managerial behaviour and knowledge organisation.

The reductionist tendency evident within the *corporate knowledge political perspective* neatly dovetails with the inclination of critical theorists to assume that knowledge managerial conduct is driven by an inexorable knowledge economic logic that can be resisted only at the cost of knowledge organisational destruction. The corporate knowledge intra-organisational focus of the corporate knowledge technical and corporate knowledge political perspectives is superseded by a knowledge political economy of knowledge managerial behaviour which contemptuously sweeps aside any remaining concern with the explanatory role of knowledge moral

values and knowledge commitments. In its place we find a model of the knowledge managerial organisation as a hierarchical control system in which multiple levels of knowledge managerial activity are closely conditioned by a centrally determined and co-ordinated strategy of knowledge capital accumulation. Within this model, individual managers are treated as the principal 'bearers' of the inner knowledge economic logic at work within capitalism:

when examined from this perspective, the question of whether individual managers act with the intention of securing or advancing the interest of capital, or accept this account of their work, is irrelevant . . . managerial work is seen to be primarily governed by the structure of relations of production that it 'bears'. . . . As agents of capital, managers are seen to develop and/or implement strategies and structures that ensure the productive subordination of labour to the demands of capital. Fundamentally, managerial work is thus understood to involve creating and maintaining a structure of relationships in which those who are 'in control' act in the interests of capital.[46]

Yet, this model of knowledge managerial organisation as a tightly sprung control system that programmes the thinking and conduct of individual managers at all levels receives little support from the actual empirical research carried out on the relationship - or lack of it -between corporate strategy and labour management strategy.[47] What it does reveal, however, is that the underlying commitment to a highly deterministic and rationalistic account of knowledge managerial strategy contained within the corporate knowledge critical perspective severely limits its capacity to cope with the

reality of a process shot through with inconsistency and incrementalism. Critical theorists[48] recognise the reality of inevitable contradictions and breaks within and between different forms and levels of control. Nevertheless, the theoretical framework they rely upon is based on a logic of explanation that marginalises the significance of these complexities and their implications for the kind of conceptual equipment we need for constructing more sensitive accounts of knowledge managers' efforts to knowledge organise and knowledge control productive activity.

The three perspectives discussed so far each reveal a crucial aspect of knowledge management practice. The corporate knowledge technical perspective focuses on the formal knowledge administrative structures through which knowledge managers attempt to co-ordinate knowledge organisational behaviour. The corporate knowledge political perspective highlights the knowledge social processes through which these knowledge structures are enacted; and the corporate knowledge critical perspective emphasises the wider knowledge material interests to which the latter are subordinated. However, we lack a general conceptual framework in which these important, but partial, insights can be integrated in a systematic and coherent fashion. An attempt will be made to provide such a corporate knowledge framework in the next section.

6.0 THE CORPORATE KNOWLEDGE FRAMWORK

The preceding assessment of the three corporate knowledge culture perspectives that have informed our thinking about knowledge managerial behaviour and

knowledge organisation suggests the need for a substantial reconsideration. We must look more carefully at the conceptual equipment through which we approach the theoretical, methodological and ideological issues that crystallise in the general theme of knowledge management. What we require is an approach that is sensitive to the empirical diversity and knowledge social ambiguity of those knowledge managerial practices through which collective knowledge social action becomes sufficiently structured to take on a coherent and reasonably stable institutional shape in the form of knowledge work organisations. This approach must also be able to link together the behavioural, organisational and institutional levels of knowledge analysis that are evident in the corporate knowledge culture of knowledge management. In this way, the interrelationships between knowledge managerial work, knowledge control strategies and macro-structural constraints can become more systematically theorised.

In recent years there has begun to emerge an approach that seems to provide a more promising response to these problems. This does not require an unquestioned theoretical commitment to a conception of knowledge management as a knowledge administrative structure *or* a knowledge socio-political process *or* a knowledge control mechanism. Instead, it attempts to integrate each of these analytical components within a view of knowledge management as a knowledge social practice. Over the last ten years or so this perspective on management as a social practice has emerged in the work of researchers such as Burns, Tomlinson,[49] Batstone[50] and Anthony.[51] Their work has highlighted the knowledge ethical and knowledge political dilemmas that knowledge managers necessarily

face in their struggle to cope with the inherent complexity and contradictions of knowledge work organisations. It has also served to emphasise the importance of understanding the knowledge social processes whereby these dilemmas are reflected in the makeshift, and often internally contradictory, assemblies of practices that constitute contemporary knowledge work organisations as *bricolages* of partially articulated and half-digested sets of principles or rationalities.[52] Recently, Tomiinson has provided a theoretical characterisation of management as consisting of:

The containment of separate and other contradictory practices - a matter of keeping the show on the road. Management is then seen as facing such problems as 'How can the practices of sub-agency A be made compatible with those of B?' and 'How can the decisions of C be summarised in their negative impact on D?' rather than how the practices of A, B, C, and D can be subordinated to the goals of the enterprise.[53]

In this way, knowledge management is treated as a process or activity aimed at the continual re-coupling or smoothing over of diverse and complex practices always prone to disengagement and fragmentation. It is based on the, usually contested, capacity to control the institutional mechanisms through which some degree of overall co-ordination and integration of knowledge social interaction can be secured. This implies a rather different view of knowledge work organisations to that conveyed in the more orthodox approaches we reviewed earlier in this paper. Within the practice perspective, knowledge work organisations are seen as points of intersection for a wide range of knowledge social practices that are subjected to various strategies of institutional combination and

recombination. This offers a more realistic and flexible conception than that which knowledge treats organisations as rigidly structured knowledge social units subordinated to the performance of an essential function within the economic, technical, administrative or political imperatives imposed by a particular knowledge socio-economic sector or system. It also indicates that knowledge work organisations are based on operating principles and rationales that generate both structural and processal contradictions that will be reflected within knowledge management practice. Not only will knowledge managers be called upon to secure knowledge organisational discipline and membership consent simultaneously, but they will also be internally divided, both between and within different specialisms, over how these mutually incompatible objectives are to be achieved.[54]

It may be appropriate at this point to offer a rather more formalised specification of the practice perspective which builds on recent development of the concept of knowledge social practice within social and political analysis, before moving on to its broader implications for the corporate knowledge culture of knowledge management. This can be achieved in three stages: first, by providing a general theoretical characterisation of the concept of knowledge social practice; second, by elaborating upon this basic conception in the form of a crucial distinction between primary and secondary knowledge social practices; and third, by developing this distinction in regard of knowledge management as a particular type of secondary knowledge social practice.

The concept of knowledge social practice has figured prominently in the recent contributions of a number of writers and researchers in the fields of philosophy, anthropology, sociology, organisational studies and economics. Harris provides a useful definition of the concept, which can form the starting point for further elaboration. To engage in a knowledge social practice involves:

engaging in a class of actions which are intelligible in and through the concepts which inform them, which have to be understood as directed towards ends which all members of the community of practitioners share, and is defined through the means adopted to the achievement of those ends which are to be understood as determined by the conditions under which the practice is undertaken.[55]

From this basic definition, it is possible to identify five interrelated conceptual components that together form the analytical framework for organising our thinking about knowledge management that is on offer within this chapter. Conceptualising knowledge management as an identifiable knowledge social practice requires that five distinct, but interrelated, factors are specified:

1. The class of knowledge actions in which practitioners are engaged as members of that community or practice.
2. The concepts through which certain knowledge shared aims or problems are identified in a meaningful way by practitioners as a basis for engaging in reciprocal knowledge interaction.
3. The knowledge shared aims or problems to which the practice is directed as communicated in the practitioners' conceptual vocabulary.
4. The knowledge means or resources (both "data"

material and symbolic) through which achievement of these meaningful projects is pursued.

5. The situational conditions or constraints under which these reciprocated knowledge activities, the resources they require, and the relationships they engender between practitioners, are shaped and directed.

All knowledge social situations are constituted through communities of practitioners related to each other by virtue of the concepts internal to the practices in which they are engaged and by the knowledge shared resources and conditions under which they are undertaken. However, practices have to he assembled in various ways by other practices to form distinctive and viable institutions.

The distinction between primary and secondary knowledge social practices provides further insight into the process whereby this assembly and regulation is managed. Primary knowledge social practices are aimed at transforming the environmental circumstances in which human life is carried on through the production of goods, services and the ideas that inform our conceptions of them.

Secondary knowledge social practices are directed at achieving overall integration and co-ordination of primary knowledge social practices through the design, implementation and monitoring of various judicial, political and administrative mechanisms. The latter serve to assemble the diverse and complex array of primary practices in which human populations are necessarily involved into institutional structures that exhibit a minimum degree of normative coherence, social cohesion and temporal continuity.

Considered in these terms, knowledge management can be broadly defined as that secondary knowledge social practice through which knowledge administrative regulation and control is established and maintained over those activities and relationships in which knowledge non-managerial practitioners are engaged by virtue of their membership of knowledge communities of primary knowledge productive practice. It is directed at assembling diverse and complex knowledge productive practices into institutional structures that exhibit an acceptable degree of conceptual and material coherence. This is achieved through the application of a range of knowledge physical and symbolic resources, and the implementation of various coordinating mechanisms through which incipient fragmentation and decay can be temporarily resisted. Consequently, knowledge management constitutes both a knowledge mechanism through which conflict over the possession and control of knowledge resources necessary for primary productive activity can be, at least temporarily, regulated and a process which provides a medium for struggle over the institutional arrangements through which this regulation is achieved.

This approach offers three main theoretical advantages over those discussed earlier in this paper. *First*, it provides a conceptual synthesis of three key aspects of knowledge management that have previously been isolated from each other - that is. Knowledge technique, knowledge process and knowledge mechanism. It realises this synthesis by conceptually reworking and recombining these elements within a model of knowledge management as a knowledge social unit of reciprocal interaction geared to the task of assembling knowledge productive practices

through the process of knowledge organisational structuring. Within the latter, a framework of rules, resources and supporting rationales will be constructed to provide the mechanisms by which knowledge managers strive to exert a satisfactory degree of control over and commitment from primary producers.

Second, it rejects the more orthodox treatment of knowledge management as a unitary control device that ensures the single-minded pursuit of an unambiguous knowledge technical, knowledge political or ideological imperative to which all aspects of knowledge social action, including knowledge managerial action, must be rigidly subordinated. In its place, the practice framework suggests that the task of knowledge management is to ensure a viable degree of overall co-ordination and control of diverse primary knowledge productive practices that contain very powerful centrifugal forces pushing in the direction of even greater complexity and fragmentation. It also indicates that, in pursuing this institutional containment and regulation, knowledge managerial practitioners will have to rely on a wide range of specialised mechanisms and supporting rationales to achieve their aims which may come into conflict with one another. The interests of those who own and/or control the strategic material resources and instruments necessary for primary knowledge productive activity in any knowledge society are likely to be the most influential consideration informing knowledge management's design and implementation of the various integrative mechanisms through which overall assembly and regulation may be attempted. However, knowledge managers will also be exposed to alternative sources of pressure and demands that will shape the particular knowledge mechanisms and

rationales they follow in attempting to recouple diverse primary knowledge productive practices that have become, or are in danger of becoming, disengaged. As such, they will be required to develop an acceptable, and necessarily shifting, *modus vividness* between competing rationales, each with their own internal logics and supporting justifications.

Third, the approach outlined in this section provides an integrated conceptual framework that can interrelate behavioural, organisational and institutional levels of knowledge analysis without falling prey to the deterministic knowledge functionalist analysis that alternative perspectives retreat into when faced with the complexity of knowledge managerial existence. This is achieved by focusing upon the range of regulative and co-ordinating strategies knowledge managers must rely upon to organise knowledge productive practices and the problems their usage presents to the continued integrity and viability of the institutional structures in which they are loosely grounded. In this way, knowledge managerial behaviour inevitably reflects the tension that necessarily arises between maintaining the long-term integrity and viability of the institutionalised control systems on which knowledge managers rely to achieve overall knowledge integration and the knowledge operational requirement for the application of specific devices and understandings that undermine the coherence and stability of the former. The contradiction between a bureaucratic logic that demands strict adherence to the rules of imperative co-ordination and an operational practice that requires the utilisation of devices, techniques and agreements which have no place within the former, provides the focal point for the conceptual framework we have developed in this section.

This contradiction also permits a clearer identification of the crucial role knowledge managers play in mediating between the internal pressures exerted by organisational stakeholders and the external demands issuing from coalitions located in the inter-organisational network of which their organisation is a part.

CONCLUSION

The three views of knowledge management embodied in the analytical perspectives discussed in the earlier sections of this paper - as a formal knowledge structure, a negotiated knowledge social order and a knowledge control function - can be brought together in a conception of knowledge management practice as a loosely connected set of knowledge mechanisms, knowledge processes and knowledge strategies directed at the assembly of other practices concerned with the production of knowledge goods, knowledge services and knowledge ideas that transform the environment we inhabit. The connections between these three aspects of knowledge management practice, such as they are, are most clearly revealed when transformations in the situational conditions under which knowledge productive practices are assembled and regulated erode the knowledge traditional organisational arrangements on which knowledge managers have relied. Consequently, changes to the conceptual and material circumstances under which specific types of knowledge organisational design and knowledge control are implemented by knowledge managers - such as new management philosophies, innovative production technologies and the discovery of alternative markets - are likely to provide the

catalyst for reconsidering and reworking accepted arrangements.

Thus, the periods during which substantial knowledge organisational restructuring has to be initiated by knowledge managers against a backdrop of situational change are likely to prove most revealing in terms of the underlying tensions that are released between the logic of bureaucratic control and the operational demand for coping devices that radically undermine the former. It is also at this juncture that the need for knowledge managers to maintain a proper balance between their concern for the long-term integrity and viability of knowledge organisational machinery and the knowledge immediacy of short-term pressures for workable solutions to everyday crises becomes most pressing. In this context, the difficulties that many knowledge managers often face in reconciling the conflict between an instrumental rationality, which demands strict adherence to the protection of knowledge organisational means deemed necessary for survival, and a substantive rationality, which calls for an authentic concern with the moral ends to which managerial action ought to be directed, can become acute. This also provides further illustration of the intellectual poverty and practical impotency of a conception of knowledge management that treats its practitioners as clinical technicians or as mini-Machiavelli's or as prisoners of a structural logic that they cannot recognise, much less understand. In its place, it suggests that knowledge management practice consists of a complex web of interrelationships between the technical, political and moral dimensions of knowledge managerial conduct oriented to the assembly of those recalcitrant resources that enter into knowledge productive activity.

Within this general perspective, we can develop a view of individual managers as practitioners of an art that requires the possession and application of skills enabling them to cope with the contradictory demands and pressures of resources that stubbornly resist efforts to contain them within prescribed limits.

Knowledge managers cannot avoid these uncertainties and ambiguities; indeed, the very nature of what they do expresses the contingent and paradoxical quality of human action, which simultaneously denies and attempts to cope with the seemingly intractable problems that prevent them creating and sustaining order in the face of chaos. The public rhetoric of technocratic ideology conveys a Platonic image of the knowledge manager as a rational planner and controller of a knowledge organisational machine that is infinitely adaptable to rapidly changing conditions. The private language suggests a very different picture - somebody struggling to come to terms with a reality that stubbornly refuses to conform to this organisational blueprint or to fit the universal categories and laws it specifies. It is time that the credibility gap between public image and private reality was bridged by a theoretical perspective focused on the unavoidable dilemmas managers have to contend with in their struggle to construct a workable compromise between structural constraints and human recalcitrance.

This exploration of the contribution knowledge management has made to the process of structuring is pursued in relation to a number of crucial themes that recur in the knowledge social responsibility of knowledge management. *First,* we need to achieve a better understanding of the historical development of the various

forms of knowledge organisational control managers have tried to implement in different institutional settings as a means of securing effective structuring of knowledge work performance. *Second,* we must examine the impact of these forms of control on the nature and quality of knowledge managerial work in order to realise a more rounded and sensitive appreciation of its inherent dilemmas and the manner in which they are contained. *Third,* we shall review the response this knowledge organisational work has elicited from those subjected to the mechanisms of knowledge control, and do this with particular reference to the generation and regulation of knowledge industrial conflict within the employment relationship. *Fourth,* we shall discuss the implications of the previous analysis for the location and role of knowledge managerial groups within the organisational structure of advanced knowledge business organisations. *Finally,* the insights derived from the exploration of knowledge managerial structuring conducted above will provide the basis for a more general assessment of the knowledge alternative futures knowledge managers face in a business world that is unlikely to become completely amenable to their efforts to eradicate its inherent knowledge uncertainties and perversities.

References and Notes

1. Al-Juboori, A., *Strategic Management* (Weal, Amman, 2005) pp. 141-3.
2. Al-Juboori A., *Project Management* (Al-Manahij, Amman, 2007).
3. Lowe, E.A., 'Introduction' to 'Critical Perspectives on Management Studies and Management Science', *Journal of Management Studies* Special Issue, vol. 21, No. 3, (1984).
4. Donaldson, R., *In Defence of Organisation Theory: A Reply to the Critics* (Cambridge University Press, Cambridge, 1985).
5. Massie, J., 'Management Theory', in March, J. (ed.). *The Handbook of Organizations* (Rand McNally, New York, 1995).
6. Waldo, D., *The Administrative State (Knopf*, New York, 1948); Wolin, S., *Politics and Vision* (Alien & Unwin, London, 1961); Mouzelis, N., *Organisation and Bureaucracy* (Routledge and Kegan Paul, London, 1967).
7. Lupton, T., *Management and the Social Services* (Penguin, London, 2nd edition, 2003).
8. Etzioni, A., *Modern Organisations* (Prentice-Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1994); Woodward, J., *Industrial Organisation: Theory and Practice* (Oxford University Press, London, 1995); Thompson, J.D., *Organizations in Action* (McGraw-Hill, New York, 1997).
9. Mintzberg, H., *The Nature of Managerial Work* (Harper and Row, New York, 1993).
10. Etzioni, A., *A Comparative Analysis of Complex Organizations* (Free Press, New York, 2nd edition, 1975).
11. Thompson, J.D., op. cit., (1967).
12. Lawrence, P.R. and Lorsch, J.W., *Organization and Environment* (Harvard University Press, Cambridge, Mass., 1967).
13. Pugh, D.S. and Hickson, D.J., *Organisation Structure in its Context: The Aston Programme* I, (Saxon House, Farnborough, 1976).
14. Donaldson attempts to resolve this inconsistency, but his analysis is forced back on to the deterministic explanatory logic that informs systems theory. On this point see Donaldson, R., op. cit

15. Child, J., 'Organisational structure, environment and performance'. *Sociology,* vol. 6, No. 1, (1972), pp. 2-22.
16. The phrase is taken from Burns, T., 'A comparative study of administrative structure and organisational processes in selected areas of the national health service'. *Social Science Research Council Report*, Report Number HRP 6725, (1982).
17. For a general outline of this approach see Silverman, D., *The Theory of Organisations* (Heinemann, London, 1990)
18. Elger. A., 'Industrial organizations: a processual perspective', in McKinley, J.B. (ed.). *Processing People: Cases in Organizational Behaviour* (Holt, Rinehart and Winston, New York, 1975), p. 97.
19. For a further elaboration of this model see Strauss, A., *et al.*, 'The hospital and its negotiated order', in Friedson, E. (ed.). *The Hospital in Modern Society* (Macmillan, New York, 1963).
20. Fora recent example of attempts to develop this aspect of the political model see Lee, R. and Lawrence, P., *Organisational Behaviour: Politics at Work* (Hutchinson, London, 1985).
21. Dalton, M., *Men Who Manage* (John Wiley and Son, New York, 1999).
22. Selznick, P., *TV A and the Grass Roots* (University of California Press, Berkeley, 1949); Gouldner, A., *Patterns of Industrial Bureaucracy* (Collier-Macmillan. New York, 1954); and *Wildcat Strike* (Antioch Press, New York, 1954); Blau, P., *The Dynamics of Bureaucracy* (University of Chicago Press, Chicago, 1955); Burns, T. and Stalker, G.M., *The Management of Innovation* (Tavistock, London, 1961); Crozier, M., *The Bureaucratic Phenomenon* (University of Chicago Press, Chicago. 1964).
23. Child, J., 'Organisation: a choice for man', in Child, J. (ed.), *Man and Organisation* (Alien and Unwin, London, 1993); Pettigrew, A., *The Politics of Organisational Decision-Making* (Tavistock, London, 1993), and *The Awakening Giant* (Basil Blackwell, London, 1995); Pfeffer, J., *Power in Organisations* (Pitman, Massachusetts, 1991); Kotter, J.P., *Power in Management* (Amacon, New York, 1999) and *The General Managers* (Free Press, New York, 2002).
24. Day, R.A. and Day, J.V., 'A review of the current state of negotiated order theory: an appreciation and critique'. *Sociological Quarterly,* vol. 18, No. 4, (1977), pp. 126-42;

Whitley, R., 'Organisational control and the problem of order'. *Social Science Information,* vol. 16, No. 2, (1977), pp. 169-89; Salaman, G., *Work Organisations: Resistance and Control* (Longman, London. 1979); Burrell, G. and Morgan, G., *Sociological Paradigms and Organisational Analysis* (Heinemann, London, 1979); Willmott, H.C., 'Images and ideals of managerial work: a critical examination of conceptual and empirical accounts', *Journal of Management Studies,* vol. 21, No. 3, (1984), pp. 349-68.

25. Willmott, H.C.. op. cit., p. 361.
26. Benson, J.K., 'Organisations: a dialectical view', *Administrative Science Quarterly,* vol. 22, No. 1, (1977), pp. 1-21; Salaman, G., Towards a sociology of organisational structure', *Sociological Review,* vol. 26, No. 3, (1978), pp. 519-54; Littler, C.R., *The Development of the Labour Process in Capitalist Societies* (Heinemann, London, 1982).
27. For a number of specific illustrations of this general theme see Storey, J., *Managerial Prerogative and the Question of Control* (Routledge and Kegan Paul, London, 2003).
28. This issue is dealt with at some length in Littler, C. R. and Salaman, G., *Class at Work: The Design, Allocation and Control of Jobs* (Batsford, London, 1984).
29. On this point see Fox, A., *Man Mismanagement* (Hutchinson, London, 2nd edition, 1985).
30. This highly controversial thesis concerning the 'proletarianisation' of middle and lower level management has been most fully developed in Crompton, R. and Jones, G., *White Collar Proletariat: Deskilling and Gender in Clerical Work* (Macmiilan, London, 1984).
31. A more subtle appreciation of 'managerial deskilling and reskilling' is to be found in Ray.C.A., 'Images of skill reconsidered: the conceptual deskilling of line managers', University of California press. California.1985).
32. On this point see Salaman, G., 'Managing the frontier of control', in Giddens, A. and Mackenzie, G. (eds.), *Social Class and the Division of Labour* (Cambridge University Press, Cambridge, 1982).
33. The phrase is taken from Fletcher, C., '*The end of management'*, in Child.J., op. Cit., (1993).
34. Braverman, H., *Labour and Monopoly Capital: The*

Degradation of Work in the Twentieth Century (Monthly Review Press, New York, 1974).

35. These are discussed in Thompson, P., *The Nature of Work* (Macmillan, London. 1993).
36. Recent studies that illustrate this point include Zimblast, A. (ed.), *Case Studies on the Labour Process* (Monthly Review Press, New York, 1989); Wood, S. (ed.). *The Degradation of Work* (Hutchinson, London, 1992); Knights, D. and Willmott, H.C. (eds.). *Managing the Labour Process* (Gower, London, 1996).
37. Littler, C.R., op. cit., (1982), p. 34.
38. For two recent examples of this see Stewart, R., 'The nature of , management? A problem for management education', *Journal of* ; *Management Studies,* vol. 21, No. 3, (1984), pp. 321-30; and Mintzberg, H., The organisation of political arena', *Journal of Management Studies,* vol. 22, (1985), pp. 133-54.
39. On this point see Donaldson, L., op. cit., (1985).
40. Pettigrew's recent book on ICI is an excellent example of this approach. See Pettigrew, A., op. cit., (1985).
41. Anthony, P.O., *The Foundations of Management* (Tavistock, London, 1986), p. 186.
42. Willmott, H.C., op. cit., (1984), p. 362.
43. As discovered in Winkler, J.T., 'The ghost at the bargaining table: directors and industrial relations', *British Journal of Industrial Relations,* vol. 12, No. 2, (1974), pp. 191-212; Purcell, J. and Sissons, K., 'Strategies and practice in the management of industrial relations' in Bain, G. (ed.), *Industrial Relations in Britain* (Basil Blackwell, London, 1983); Gospel, H., 'The development of management organisation in industrial relations: a historical perspective', in Thurley, K. and Woods, S. (eds.), *Industrial Relations and Management Strategy* (Cambridge University Press, Cambridge, 1983); and 'Managerial structures and strategies: an introduction', in Gospel, H. and Littler, C.R. (eds.), *Managerial Strategies and Industrial Relations* (Heinemann, London, 1983); Rose. M. and Jones, B., 'Managerial strategy and trade union response in work re-organisation schemes at establishment level', in Knights, D., Willmott, H.C. and Collinson, *D.,Job Redesign: Critical Perspectives on the Labour Process* (Gower, London, 1985).

44. This point is given particular emphasis in Storey, J., The means of management control'. *Sociology,* vol. 19, No. 2, pp. 193-212.
45. Burns, T., *The BBC* (Macmillan. London, 1977).
46. Tomlinson, J., *Unequal Struggle: British Socialism and the Capitalist Enterprise* (Methuen, London, 1992).
47. Batstone, E.. 'Management and industrial democracy' in *Industrial Democracy: International Views* (Social Science Research Council, London, 1978).
48. Anthony, P.O., op. cit., (1986).
49. The idea of the work organisation as constituting a *bricolage* of practices assembled on the basis of ambiguous and contradictory principles is developed in Burns, T., op. cit., (1982).
50. Tomlinson, J., op. cit., (1982), p. 128.
51. For a recent development of this point see Armstrong, P., 'Competition between the organisational professions and the evolution of management control strategies', in Thompson, K. (ed.), *Work, Employment and Unemployment: Perspectives on Work and Society* (Open University Press, Milton Keynes, 1984).
52. Bordieu, R., *Outline of a Theory of Practice* (Cambridge University Press, Cambridge, 1977); Giddens, A., *Central Problems in Social Theory* (Macmillan, London, 1979); Donzelot, J., *The Policing of Families* (Hutchinson, London, 1980); Parkin, F., *Marxism and Class Theory: A Bourgeois Critique* (Tavistock, London, 1979); Maclntyre, A., *After Virtue: A Study in Morai Theory* (Duckworth, London, 1981); Runciman, W.G., 'On the tendency of human societies to form varieties', *London Review of Books,* 5 June 1986, pp. 16-18; Johnston, L., *Marxism, Class Analysis and Socialist Pluralism* (Alien and Unwin, London. 1986).
53. Harris, C.C., *Fundamental Concepts and the Sociological Enterprise* (Croom Helm, London, 1980), p. 29.
54. Ibid., pp. 64-5.
55. Some managers, particularly those who have direct operational responsibility for productive activity, may find the tensions more pressing than others. It is assumed here that, to varying degrees, all managers experience them.

تحديث محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد للوحدات الصناعية العراقية

د. صباح قدوري
عميد كلية ادارة الاعمال جامعة ابن رشد هولندا

المقدمة :

في البداية أود الإشارة إلى أن، هذا البحث ذو صلة وثيقة ببحثي الموسوم بـ**"تطور النظام المحاسبي في العراق"** والمنشور في المجلة الفصلية العلمية المحكمة لجامعة ابن رشد/هولندا، العدد الأول، كانون أول/ديسمبر 2010 . وامتداد له في بعض مفرداته ومسارات معالجاته.

إن النظام المحاسبي الموحد المطبق في الوحدات الصناعية الحكومية، وضع في حينه لاحتياجات الاقتصاد الموجه أو المخطط، وفي ظل هيمنة القطاع العام في النظام المركزي لتسييرالاقتصاد، وإنتاج البيانات لخدمة الاقتصاد الكلي أكثر من الاقتصاد الجزئي، ولم يتغير ذلك النظام حتى الآن.

وفي ظل تنامي عولمة الاقتصاد، نجد اليوم بأن سياسة العراق الاقتصادية تتوجه نحو الليبرالية والانفتاح، وباتجاه تبني مبدأ اقتصاد السوق-الحر. والانتقال من تسيير الاقتصاد مركزيا إلى اللامركزية، وإلى تفعيل دور القطاع الخاص في معظم القطاعات الاقتصادية. والحالة هذه تستوجب البحث عن أدوات مالية جديدة لتوفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات الوحدات الصناعية، والمستثمرين والممولين.

وبناء على مثل هذا التحول نجد أن العلاقة بين المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف في تصميم النظام المذكور، جاءت لتركزعلى (الأول) على حساب (الثاني)، وبذلك أُهمل دور الوحدات الصناعية بوصفها المنتج الأساس للبيانات التحليلية التي تنتجها محاسبة التكاليف.

إن اهمية هذا البحث، تكمن في اتباع منهج علمي تحليلي مناسب لتحديث محاسبة التكاليف، في إطار النظام المحاسبي الموحد، المطبق حاليا في الوحدات الصناعية العراقية، لكي يصبح نظاما متكاملا، للمحاسبة المالية، ومحاسبة التكاليف، والمحاسبة المسؤولية.

فيما مشكلة البحث تتلخص في، أن محاسبة التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد في هذه المرحلة غير مجدية لأداء وظائفها في مجالات قياس التكلفة، الرقابة عليها، واتخاذ القرارات الرشيدة في الوحدات الصناعية.

وفي ضوء هذه الاشكالية ، يمكن القول بأن النظام المحاسبي الموحد بشكله الحالي، ليس أكثر من مسودة النظام المحاسبي للتكاليف. وعليه فإن الهدف من البحث سامثل هنا في ضرورة وحاجة ماستين إلى تطوير محاسبة التكاليف وتحديثها، لتكون مناسبة ومقبولة في مجال قياس التكلفة المختلفة لأغراض (تحديد أسعار الوحدات المنتجة، تثمين الانتاج والأصول باشكالها المختلفة، قياس الاداء الانتاجي ...الخ)، وفي مجال الرقابة على عناصر الكلفة، ثم يجب أن يتسع مفهوم محاسبة التكاليف لينتج المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الرشيدة على كافة المستويات الادارية، ولتكن أيضا أساسا لتلبية احتياجات المستثمرين والممولين.

أحاول هنا باختصار شديد عرض دور محاسبة التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد في مجالات قياس التكلفة، الرقابة عليها، وعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية. ثم أتبع ذلك بما وجدته ضروريا لتطوير محاسبة التكاليف وتحديثها، حتى تكتمل وتصل الى المستوى العلمي، من خلال اقتراح نموذج (موديل) للنظام المحاسبي للتكاليف.

وفي ضوء ذلكم فإنَّ معالجتي ستنقسم على المباحث الآتية:-

1- في مجال قياس التكلفة:-

اقتصر النظام المحاسبي الموحد على توزيع عناصر الاستخدامات على مراكز التكلفة حسب الانشطة، ولكنه لم يذكر أو يتعرض لعلاقة قياس التكلفة بنظريات التكاليف. هذا باستثناء ما ذكره في مجال قياس تكلفة الانتاج تحت التشغيل. وأجد أنه من الضروري تطوير سجلات ودفاتر وجداول التكاليف في إطار النظام المحاسبي الموحد، بحيث يساعد على تصنيف بنود التكاليف على أساس النوعية الى تكاليف مادية وتكاليف غير مادية أي (انتاجية وغير انتاجية)[92] ، ومن ثم الفصل بين التكاليف المباشرة وغير

---

[1] ان التميز بين التكاليف الانتاجية وغير الانتاجية على صعيد الاقتصاد الوطني لها اهميتها في مفهوم احتساب الدخل القومي. ففي الاقتصاد الاشتراكي، يدخل في

المباشرة من ناحية، والمتغيرة والثابتة من ناحية أخرى، الأمر الذي له أهمية خاصة في تحديد تكلفة الانتاج والقرارات التي يمكن أن تترتب عليه، مثل استغلال الطاقة، وتحديد الحد الادنى للأسعار في المدى القصير، ودراسة العلاقة المثلى بين التكلفة وحجم الانتاج والربح. كذلك تبرز أهميتها الخاصة أيضا، عند إعداد الميزانيات التخطيطية، وفي مجال الرقابة والتخطيط، وعرض القوائم المالية . وهذا التطوير في السجلات والدفاتر، يسهل على تطبيق أية نظرية من نظريات التكاليف عند قياس التكلفة أي (التكاليف الكلية، التكاليف الحدية، والتكاليف المتغيرة). وأكثر من ذلك يمكن قياس تكلفة الوحدة باكثر من اسلوب، وهذا في حد ذاته يعدّ انتاجا للمعلومات بما يتناسب مع الموقف المطلوب منه أو المصمم من اجله. كما ان هذا الاسلوب ، يرشد إلى تسعير المنتجات الضرورية ، وتلك التي تعدّ كمالية، وتلك التي تنتج بهدف تصديرها الى الخارج.

ومن الامور التي اثارت اهتمامي، ما يتبع حاليا في النظام المحاسبي الموحد عند توزيع عناصر الاستخدامات(الكلفة) على مراكز التكلفة، وبالاخص ما يتبع بالنسبة لمركز رقم /9 (العمليات الراسمالية)، والذي توزع عليه عناصر التكلفة المتعلقة بالمشغولات الداخلية، اي التكوين الاستثماري الذاتي، التي تنتجها الوحدة الاقتصادية للاستخدام الذاتي، فمن راي، هو:-

اولا:- ان العناصر التي توزع على هذا المركز ليست من عناصر التكلفة في شئ ،لانها تعتبر قيمة لاصول تكونها الوحدة الاقتصادية بنفسها لنفسها، وهذا لا يعتبر من الناحية النظرية من عناصر التكلفة. وقد تنبه النظام المحاسبي الموحد لتلك الحقيقة ، وامر بتوزيعه على هذا المركز تمهيدا لاضافته الى اصول الوحدة.

احتساب الدخل القومي القطاعات الانتاجية فقط، من دون الخدمية، والاخيرة لها حصتها من عملية توزيع الدخل القومي عن طريق الميزانية العامة للدولة. على عكس ما هو متبع في الدول الراسمالية ، حيث يجري احتساب الدخل القومي على اساس القطاعات الانتاجية والخدمية معا.

ثانيا:- ان ما يتبع حاليا بخصوص هذه العناصر في مركز/9 ، لا يتم التخصيص او التوزيع عمليا الا في نهاية السنة المالية. اي مرة واحدة تقريبا في السنة ، فهذا من الناحية التكاليفية لا يحقق رقابة فعالة. كما انها قد تؤدي إلى خضوع هذه العملية(توزيع الاستخدامات) لكثير من التقدير والاجتهاد، بحيث يمكن ان يكون متوسط تكلفة الوحدة في اتجاه يخالف المتوسط الفعلي او الحقيقي للتكلفة. وكما ان التوزيع على هذا المركز في نهاية الفترة المحاسبية، لا يحقق ما يمكن ان يسمى بالتوجيه من المنبع اى(من الأصل). وهذا يعتبر من الامور الهامة في مجالات التسجيل بالدفاتر[93] . كذلك اقترح ان تميز الوحدة في البداية بين المستندات المتعلقة بالانفاق على التشغيل العادي- الانتاجي- وتلك الخاصة بالتكوين الراسمالي الذاتي- اي (مركز/9) ، بحيث يمكن تجميع هذه المستندات المتميزة عن غيرها، وتخصيصها على مركز جديد احداثه تحت رقم/صفر، باسم(تكاليف الانشطة الاخرى/الاستثمارية والمالية) ، بدلا من رقم/9 ، دون ان تخضع هذه العملية لاجتهاد اوتقدير من جانب المحاسبين او المديرين، حتى تكون النتائج معبرة عن النشاط الفعلي او الحقيقي التشغيلي.

2- في مجال الرقابة على عناصر التكاليف:-

اكتفى النظام المحاسبي الموحد بالموازنة التخطيطية ، باعتبارها اداة من ادوات الرقابة على التكاليف، بل وعلى مختلف الانشطة التي تزاولها الوحدة الاقتصادية. وهذه الموازنة غالبا ما تعد ارقامها من متوسطات السنوات السابقة. وان حدث شئ من الاجتهاد او التطوير في اعدادها ، يكون على اساس تقديري او تخميني، غير مبني على اسس علمية صحيحة، أذ لم يلزم النظام اية من الوحدات الاقتصادية بضرورة اتباع اسلوب معين عند اعداد وتقدير ارقام الموازنة المذكورة. وبناء على ذلك يجد الباحث هنا الفرصة مناسبة لوضع معالجته بين أيدي المعنيين وللتوصية بعدد من المقترحات

---

[93] قارن، على محروس شادي(النظام المحاسبي الموحد) مكتبة غريب ، مصر ، القاهرة 1979 ، ص.10-16

المتعددة في هذا المضمار، وخاصة في الجانب المتعلق بعناصر التكاليف، وهي كالاتي:-

اولا:- ارى من الضرورة اهتمام الوحدات الاقتصادية بما يسمى بنظام التكاليف المحددة مقدما. وان تذكر الوحدة في ذيل الموازنة على كيفية اجراء تقديرات ارقام التكاليف. هل من خلال المتوسطات للسنوات السابقة، او بتعديل تلك المتوسطات مع شئ من التقدير، او الاستناد على معايير عملية بجانبها المادي والمالي (الكمي والقيمي). كما على الوحدة ايضا ان تحدد لنفسها فترة تصل خلالها الى نظام المعايير ، وذلك تحت اشراف المؤسسة او القطاع المختص. ولا شك ان اعتماد الموازنة التخطيطية على المعايير ، يجعلها من ادوات الرقابة الفعالة من ناحية ، ومن الادوات الاقتصادية من ناحية اخرى ، والمقبولة من طرفي الادارة والمنفذين من ناحية ثالثة[94] .

ان هذه المعايير مهما كلفت الوحدة الاقتصادية، فان العائد منها في الاجل الطويل، سوف يعطي مردودا إيجابيا أعلى من تكلفتها، وتساهم بوساطة آلياتها بطريقة فعالة في تحقيق الاستخدام الامثل للموارد الاقتصادية النادرة في المجتمع.

ثانيا:- الاهتمام بالمعايير في مجالات التكاليف، سوف يسهل بلا شك على التمييز بين العناصر المباشرة وغير المباشرة للكلفة، ومن ثم التمييز تدريجيا بعد اكتساب الخبرة لدى الوحدة في التطبيق بين العناصر المتغيرة والثابتة، وعليه فان هذه تعتبر من الموضوعات المتشابكة ، والتي تخدم بعضها بعضا، ويحقق احدهما ما يسمى بالتغذية العكسية (Feedback)للاجراء، ويرفع من كفاءته.

ثالثا:- الاهتمام بنظام محاسبة المسؤولية ، وبالاخص في مجال التكاليف. وهذا يحقق مبدأ ربط التكلفة بالمسؤول عن حدوثها. ومن ثم فان عملية الرقابة تنصب هنا على الاشخاص المسؤولين عن صرف عناصر الكلفة وليست على العناصر ذاتها. ويعتبر هذا من احدث المداخل العلمية لعملية الرقابة. وحتى يمكن تطبيق نظام فعال لمحاسبة المسؤولية، ارى ان يوفر النظام

[94]على عبد الرحمن(الموازنات التخطيطية) مكتبة الفجالة، مصر ، القاهرة 1969 ، ص. 20-25

مجموعة من الادوات والمقومات لتحقيق هذا النظام وجعله فعالا. ومن اهم هذه الادوات[95]، هي:-

1- نظام للتكاليف المحددة مقدما ، ليكون مقياسا تقاس عليه الاحداث الفعلية
2- نظام للتقارير لتحقيق الاتصال بين مختلف المستويات الادارية
3- تنظيم اداري وخرائط تنظيمية واضحة تحدد المسؤوليات والسلطات
4- دليل لمراكز المسؤولية بجانب الخرائط التنظيمية
5- نظام مدروس للحوافز يثاب (يكافاء) الكفوء ويعاقب المقصر

وتحتاج كل واحدة من هذه الادوات والمقومات الى مزيد من البحث والدراسة، حتى تضمن وجود نظام كفوء لمحاسبة المسؤولية. وان هذا الاسلوب من العرض يتماشى مع مبدأ تقسيم النظام الكبير الى انظمة فرعية او جزئية، بحيث يعتني بكل جزء، ثم يتم تجميع هذه الانظمة اوالاجزاء بما يضمن تحقيق اعلى كفاءة وفاعلية. وارى ايضا ضرورة الاهتمام بتصميم نظام مستندي خاص بخطوط المسؤولية، وذلك حتى توجه التقارير في الوقت المناسب وبالشكل المطلوب الى المسؤول عن عنصر انفاق الكلفة . وفي هذا المجال يستوجب ضرورة تقسيم عناصر التكاليف الى ما يمكن التحكم فيه (خاضع للرقابة) وما لا يمكن التحكم فيه (غير خاضع للرقابة) عند مستوى اداري معين. وحتى تكون الرقابة فعالة وموضوعية ، ارى ضرورة تحقيق الرقابة على الانفاق عند المنبع، اي مع حدوث الانفاق(الصرف)، وليس الانتظار وحتى مرور مدة معينة ، ثم تقسم التكاليف حسب مستويات المسؤولية والتحكم. وهذا يقتضي التمييز بين ما يمكن التحكم فيه وما لايمكن التحكم فيه من عناصر التكاليف عند المنبع ، اي وقت الانفاق.
ويمكن الاستفادة من الوسائل الالكترونية الحديثة في اعداد هذه التقارير الفورية، وتوجيه كل منها في قناة الاتصال المناسب، اي الى المستوى الاداري المناسب. واذا احسن تصميم انظمة التقارير، وحدد في خطوط تسييرها بوضوح، فسوف يؤدي هذا الى تكامل عملية الرقابة وتكامل في المعلومات ايضا.

رابعا:- الرقابة على التكلفة الادارية والتمويلية، غالبا ما توجه الادارة اهتمامها للرقابة على تكلفة الانتاج وتكلفة التسويق، وتجهل أو تغفل الاهتمام

---

[95] Horngren Ch.T Cost Accounting A Managerial Emphasis,4th Edition, Prentice/Hall International ,Inc., London 1977, ss.230-240

المطلوب بتكلفة النشاط الاداري، باعتبار ان هذه التكلفة تعبر عن نشاط الادارة ذاتها، التي تقوم بعملية الرقابة. فعليه ارى ضرورة توجيه المزيد من الرقابة الى عناصر بنود التكلفة الادارية، والتي حددها النظام عند توزيع عناصرالاستخدامات على مركز/8 (الخدمات الادارية والتمويلية) ، ولا سيما ان هذه التكاليف في تزايد يوما بعد يوم في الوحدات الاقتصادية. وممكن ان تحصر هذه التكاليف سنويا، تمهيدا لتوزيعها على المراكز الانتاجية على اساس التكاليف المباشرة لكل مركز تكلفة. اواعتبارها بشكل مباشر عبئا على حساب الارباح والخسائر للوحدة الاقتصادية. والاخيرة هي نظرة قاصرة لهذا البند الهام من التكلفة، وما يترتب عليه من حساب غير واقعي لاسعار المنتوجات. حيث ان الاساس المنطقي للتسعير، هو تخصيص وتوزيع جميع بنود التكاليف على وحدة المنتج النهائي، للوصول الى التكلفة الحقيقية، ومن ثم اظهار صافي حساب نتيجة التشغيل من ربح او خسارة على حقيقته ايضا.
ومن الضروري ايضا الفصل بين التكاليف الادارية والتمويلية. من ناحية يجب ان تخضع التكلفة الادارية للرقابة عند المنبع من قبل الجهات الاشرافية والرقابية على الوحدة الاقتصادية ، ولتكن المؤسسة او القطاع. كما انه من جانب اخر، يجب ان يتم تحليل التكلفة التمويلية (الفوائد على القروض والسندات وللبنوك)الى بنودها المختلفة، وذلك لامكان الرقابة على انواع القروض. ان تكلفة التمويلية تنتج من بعض العناصر المذكورة في الخصوم اي التي تحمل رقم /2 في الدليل المحاسبي للنظام، ولا تعتبر من الناحية النظرية من عناصر التكلفة. ولذلك ارى من اللازم بتوجيه مزيد من الاهتمام الى تحليل العلاقة بين هذه العناصر في الخصوم او الالتزامات، وتحميلها تحت رقم / صفر(تكاليف الانشطة الاخرى/الاستثمارية والمالية)،المقترح في الفقرة الثانية المذكورة انفا، تحت عنوان في مجال قياس التكلفة ، وما يظهر بنتيجة لها في هذا المركز، بدلا من مركز/8، واعتبارها بشكل مباشر عبئا على حساب الارباح والخسائر للوحدة الاقتصادية، حتى يمكن ترشيد سياسات الاقتراض والرقابة عليها، واقترح بان تكون مناسبا لسداد هذه القروض او تجديدها او ابرام عقد قروض جديدة...الخ.

<u>خامسا:-</u> اقترح اضافة مركز مراقبة تكاليف الشراء تحت رقم/9 الى مراكزالتكاليف الواردة في النظام، وذلك بهدف الرقابة على هذه التكاليف من المنبع، وتوزيعها على قيمة المواد والبضائع والاموال التي تشتريها الوحدة الاقتصادية ، وذلك للوصول الى التكلفة الحقيقية . وما دام موجودا في النظام مركز تحت رقم/7 بعنوان الخدمات التسويقية ، اذن لماذا لم يكن هناك مركز لمراقبة تكاليف الشراء؟!. ان هذه الاضافة تؤدي الى تغير في طبيعة الدليل

المحاسبي للنظام، وتحويله من دليل غير صفري الى دليل صفري. وبرأيي ان هذا لا يؤثر على جوهر الموضوع، بقدر ما يؤثر على عملية استخدام النظام المذكور في البرمجة الالكترونية.

سادسا:- ضرورة الاهتمام بالرقابة على مستوى الجودة للمنتوجات بالاضافة الى الرقابة على مستوى التكلفة، وذلك للتاكد من بلوغ الجودة المطلوبة عند المستوى المطلوب اوالمناسب من التكلفة. وهذا النوع من الرقابة تضمن الاجهزة التخطيطية، بان مستوى التكلفة الذي يحدث، يتحقق معه مستوى مناسب ومقبول من جودة الانتاج. حيث قد يكون تخفيض التكلفة على حساب الجودة، او ان التكلفة تكون عند نفس المستوى ، ولكن مستوى الجودة قد انخفض عما كان عليه من قبل[96]

ويتم الرقابة على مستوى الجودة عن طريق تطبيق ما يسمى بمحاسبة تكاليف النوعية. وذلك من خلال تخطيط التكاليف اللازمة لعملية الرقابة النوعية في مراحلها المختلفة ، اي(مرحلة شراء المواد والخامات والبضائع، مرحلة الانتاج، وكذلك مرحلة تسويق وتوزيع الانتاج)، ومتابعتها بما يحدث من التكاليف الفعلية ، بحيث تستطيع الوحدة الصناعية تضمين مستوى جيد للجودة في كل مرحلة من هذه المراحل.

3- في مجال اتخاذ القرارات:-

أشار النظام المحاسبي الموحد بالنص الى مجموعة من التقارير، التي تقوم الوحدة الاقتصادية باعدادها وتقديمها الى الجهات الاشرافية والرقابية المختلفة. وغالبا ما يتم اعداد هذه التقارير بشكل يرضي ادارة الوحدة الاقتصادية من ناحية ، ويرضي الجهات الاشرافية من ناحية اخرى. وينشا هذا من عدم وجود قواعد او اطار يحكم اعداد هذه التقارير، وخاصة في كيفية تصنيف التقارير في مجال محاسبة التكاليف، وعدم تصنيف الاغراض والقرارات التي تنتج او تهدف من اجلها هذه التقارير. ان تلك التقارير الاساسية التي ينتجها النظام المحاسبي الموحد، يلاحظ عليها في التطبيق العملي قلة فوائدها لاغراض الادارة الفعالة في الوحدات الاقتصادية

[96] حمد السيد الجزار"محاسبة التكاليف قياس ورقابة اتخاذ القرارات،مكتبة عين شمس،القاهرة 1975 ص. 210-220

الصناعية، لكونها تحتوي على معلومات تاريخية متاخرة. اعتماد مبدأ التكاليف التاريخية(تكلفة الشراء او تكلفة الاقتناء) ، والمعروف بان هذا المبدأ يقر بتسجيل مكونات الميزانية على اساس تكلفة الاقتناء او الانتاج، مع افتراض ثبات قوة الشراء لوحدة النقد المستخدم في القياس المحاسبي. فعليه ان هذا المبدأ ، لا يعطي صورة حقيقية على حالة الوحدة الاقتصادية، وبالتالي تكون عملية اتخاذ القرارات غير عقلانية، لاعتمادها على الاسعار التاريخية، فالعديد من عناصر القوائم المالية ينبغي اعادة تقيمها بطريقة تتماشى مع الاقتصاد التضخمي، الذي لا يزال عاليا جدا في العراق.

لذا نقترح في إطار بحثنا هذا أن يجري تحديث النظام المحاسبي الموحد ليكون نظاما متكاملا للمحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف ومحاسبة المسؤولية، ويجب ان ينتج انواعا جديدة مضافة من المعلومات والتقارير ، تفيد في مختلف القرارات.

ويمكن تصنيف المعلومات التي يعد النظام لانتاجها، الى مايلي[97].

1- معلومات تفيد في اتخاذ القرارات الداخلية، اي على مستوى الوحدة الاقتصادية. وهذه البيانات يجب ان ينتجها النظام بصفة دورية وفورية، لتسهيل عملية اتخاذ القرارات اللازمة على مستوى الوحدة الاقتصادية.

2- معلومات تفيد في اتخاذ القرارات على مستوى القطاع اي ما يسمى بالمعلومات الخارجية. وهذه يمكن ان ينتجها النظام ، ويقدمها في تقارير الى الجهات الاشرافية للتنسيق بين مختلف الوحدات الاقتصادية التي يشرف عليها القطاع، ومعرفة اي الوحدات الاقتصادية يمكن ان يعطي عائدا اعلى للاستثمار. ويجب ان تعد هذه المعلومات والتقارير طبقا لقواعد واسس موحدة ينص عليها في اطار النظام، حتى تكون المؤشرات ذات معنى، وحتى يمكن اجراء المقارنة بين مختلف الوحدات الاقتصادية، ويسهل الامر على قياس ادائها.

---

[97] قارن: تشارلزت. هورنجرن،محاسبة التكاليف، مدخل اداري، الجزء الاول، دار المريخ للنشر والانتاج الفني، الرياض 1986 ص. 25-26

3- معلومات على المستوى القومي. وتزداد اهمية هذه المعلومات في ظل الاقتصاد الموجه او المخطط. ويمكن ان ينتجها النظام المحاسبي داخل الوحدة الاقتصادية ويرفعها الى القطاع المشرف عليها، ثم يقوم القطاع بدوره ، برفع هذه المعلومات عن مختلف الوحدات التابعة له، في محاولة للتنسيق بين مختلف القطاعات على المستوى القومي، حتى يمكن ترشيد السياسات العامة الاجتماعية المتعلقة بتخطيط الانتاج، والانفاق القومي، والسياسات الضريبية، وتسعير المنتوجات المختلفة لاغراض المحلي والتصدير، ودراسة عناصر الانتاج والطاقة الانتاجية،وسياسات التمويل، والقروض والاستثمارات سواء الداخلية او الخارجية.عملية احتساب الدخل القومي،والناتج القومي الاجمالي والصافي،واعداد جداول التشابك الصناعي، كما أنها تعبر عن وضوح الايدولوجية الاقتصادية – الاجتماعية للمجتمع، وغير ذلك.(input-output)

واقترح لتحقيق هذه الاهداف ما يلي:-

1- ضرورة وضع دليل لمراكز اتخاذ القرارات، وتصنيف هذه القرارات حسب اهميتها، وحسب المستوى الاداري التابع له. ويسهل هذه الخطوة على تحديد المسؤولية، حيث غالبا ما يكون مركز المسؤولية، هي نفسها مركزا لاتخاذ قرارات معينة.

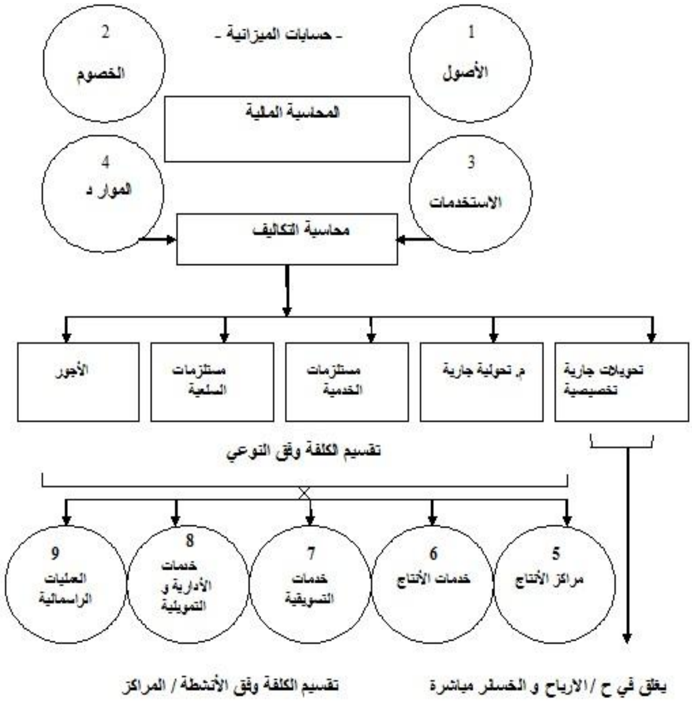
2- وضع اطار لطريقة اعداد المعلومات والبيانات المحاسبية اللازمة لا تخاذ القرارات ، والاسس التي يمكن الاستناد اليها عند اعدادها، وعرضها باشكال مختلفة(الجداول، والرسوم البيانية) للجهات المعنية، حتى لا تخضع في جانب كبير منها للتقدير والاجتهاد.ويمكن في هذا المجال الاستفادة من التحليل المالي ،والنسب المالية والمؤشرات الاقتصادية والمقارنات، والاستفادة من مفاهيم التكلفة المختلفة ، مثل، الفرص الضائعة، وتكلفة البدائل، والتكاليف التفاضلية ،والتكلفة المتغيرة... الخ .

3- ان عملية اعداد القوائم المالية تتطلب الشفافية،حتى تكون التقارير المالية قابلة للفهم، كذلك ينبغي ان يؤخذ بنظر الاعتبار الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية عند اعداد القوائم المالية والتكاليف.

وفي ادناه الرسوم التخطيطية بالنظام المحاسبي الموحد الحالي ، والاضافات المقترحة كنموذج (موديل) من قبلي، والمؤشرة باللونين الازرق والاحمر،

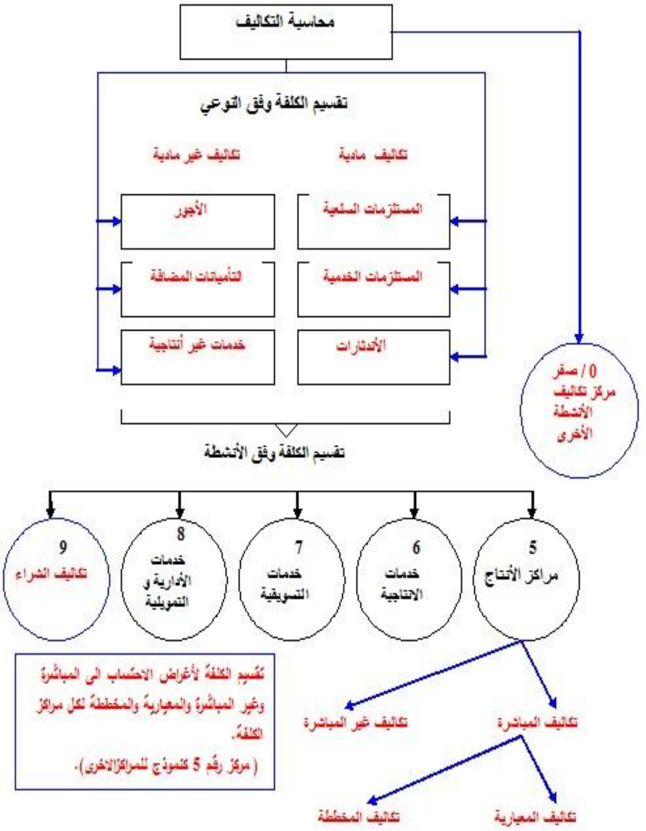
في ضوء ما جاء في البحث من معالجات وإشارات ، لتكون بمتابة جزء متمم وتوضيحي للبحث.

1- في مجال قياس التكلفة – النظام الحالي



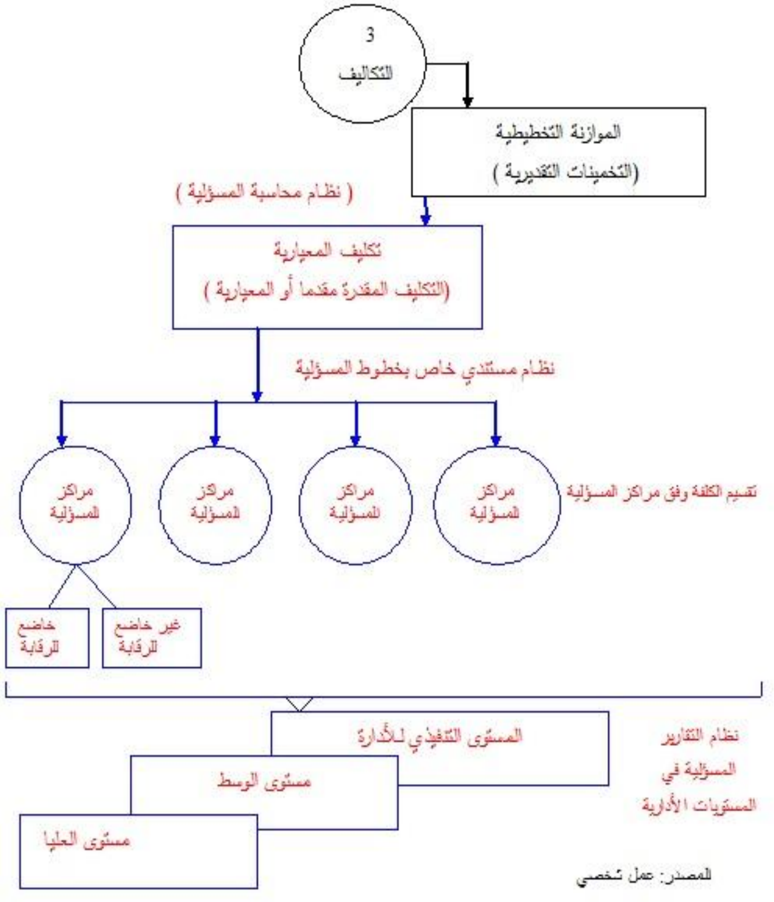
المصدر: عمل شخصي

1 – فى مجال قياس التكلفـة

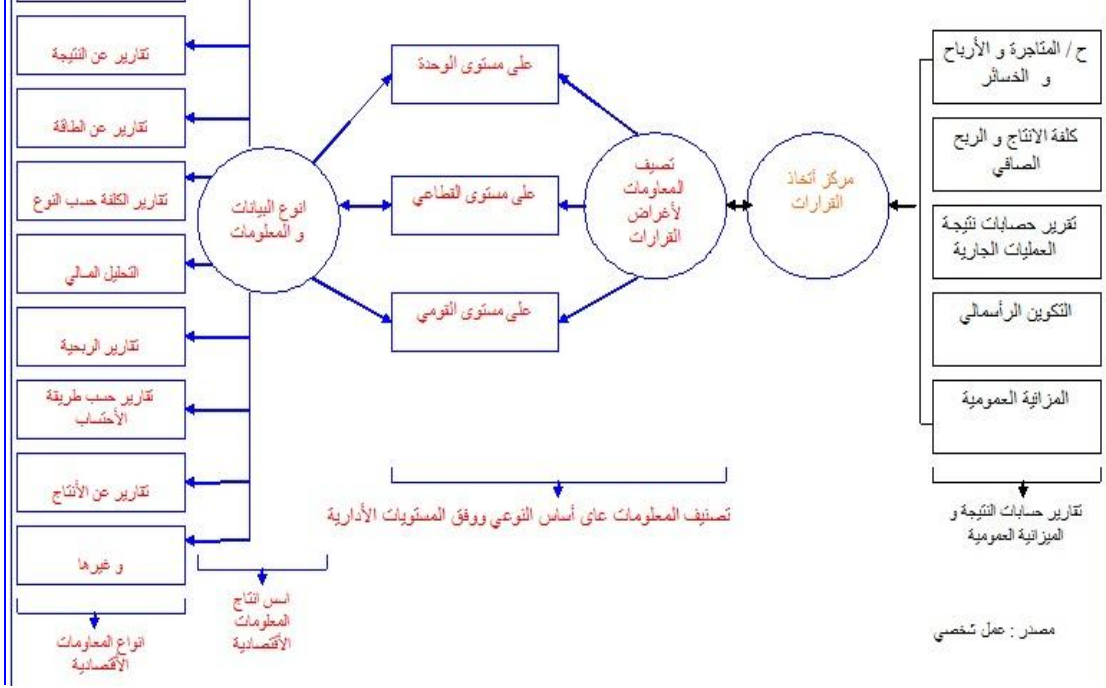


المصدر: عمل شخصي

2 – في مجال الرقابة على عناصر التكلفة



3 - في مجال اتخاذ القرارات



مصدر : عمل شخصي

الخلاصة والاستنتاجات

حدثت تغيرات عميقة وجذرية في السياسة العراقية الاقتصادية، خلال العقود الثلاثة المنصرمة.وذلك بسبب الحروب، وفرض الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي لمدة 13 سنة، و سقوط النظام السابق واحتلال العراق بعد2003، ولحد الان. واليوم تتوجه سياسة العراق الاقتصادية نحوالانفتاح وتطبيق مبأ اقتصاد السوق_الحر.الانتقال من الاقتصاد الموجه اوالمخطط ، الذي كان للقطاع الحكومي دور مميز في تسييره، حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي، الى خصخصة المؤسسات الاقتصادية، وتفعيل دور القطاع الخاص في الاقتصاد.
وقد انعكست هذه الحالة على اداء وظيفة النظام المحاسبي الموحد. واصبح هناك حاجة ضرورية الى التفكير في ايجاد ادوات فعالة اخرى للنظام، بحيث تتلائم وتستجيب لحالة اقتصاد جديد للمحاسبة.
فان تحديث محاسبة التكاليف في اطار هذا النظام، اصبح حاجة ضرورية لتلبية هذه التغيرات، وسيساهم ايضا في عملية تطوير وتحديث النظام المحاسبي الموحد في العراق، بعد اجراء الاصلاحات اللازمة والضرورية عليه، ليتواكب ويتكيف مع البيئة الجديدة ، ومعايير المحاسبة الدولية.

يرتكز المنهج الوظيفي في بيان الاسس العلمية التي يقوم عليه نمودجنا (موديل) المقترح لنظام التكاليف، على مجموعة من الطرق والمبادئ والاجراءات، لغرض التطوير والتوحيد في مفاهيم الحديثة لقياس التكلفة، الرقابة على عناصرها، وبناء قاعدة لانتاج البيانات والمعلومات اللازمة، في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية.
ويستند النموذج (الموديل) الى الفروض التالية:-

1- اعتماد تصنيف عناصر التكاليف الى اكثر من تبويب . اي على الأساس النوعي، محل انشائها(مراكز الكلفة)، على الأساس الوظيفي، وفق طريقة الاحتساب، اي اوجه التكلفة(المباشرة وغير المباشرة)، على وفق سلوك التكلفة تجاه التقلبات في مستوى النشاط (الثابتة والمتغيرة والمختلطة)، وعلى وفق فترة التكلفة(التاريخية، والمحددة مقدما).

2- انتقال من تطبيق نظام محاسبة التكاليف الفعلية المعمول به حاليا الى نظام التكاليف المحددة مقدما، بالاستناد الى معاير علمية بجانبها المادي والمالي في تقدير الكلفة. والاهتمام بتطبيق نظام محاسبة المسؤولية ، وذلك بهدف ايجاد

ادوات الرقابة الفعالة على عناصر التكاليف من ناحية ، وهي ادوات اقتصادية من ناحية اخرى، والمقبولة من طرفي الادارة والمنفذين من ناحية ثالثة.

3- ان النظام المحاسبي الموحد بعد تحديثه ، ليكون نظاما متكاملا للمحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف والمحاسبة المسؤولية، يجب ان ينتج انواعا من المعلومات والتقارير، تفيد في مختلف القرارات والمستويات الادارية، وذلك من خلال وضع دليل لمراكز اتخاذ القرارات، ومن ثم تحديد مراكز المسؤولية. وضع اطار لطريقة اعداد المعلومات والبيانات المحاسبية، والاسس التي يجب الاستناد اليها عند اعدادها وعرضها باشكال مختلفة، وبشفافية تامة،وذلك لتحقيق مستوى من جودة المعلومات اللازمة في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية.

4- ان الاجراءات المطروحة مجتمعا في النموذج(الموديل) المقترح ، ستحقق بالتاكيد اهداف متعددة، منها: تصميم نظام موحد للتكاليف على اسس العلمية، بناء قاعدة المعلومات والبيانات التكاليف،اللازمة لعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية ، تخفيض التكاليف، رفع من الكفاءة الانتاجية،العناية بالجودة والنوعية، تقيم كفاءة الادارية، تلبي احتياجات المستثمرين والممولين، تاهيل القوى البشرية المهنية والمدربة في مجال محاسبة التكاليف، وتحفزعلى مبداء التنسيق والتوافق والتوحيد مع معاير المحاسبة الدولية في هذا المجال.

Summary and conclusion

During the past three decades, changes have been profound and radical in the Iraqi economic policy. Due to war and the imposition of economic sanctions on the Iraqi people for 13 years, and the fall of the former regime and the occupation since 2003 Iraq need a massive reformations of its accounting system.

Today, Iraq's economic policy is oriented towards openness and market economy. The country has witnessed

a transition from planned economy to marked economy which has its pros and cons. Until the end of the seventies the public sector played a distinctive role in the management of the national economy, but with the course of time privatization of the public sector activated the role of the private sector in the economy.

This situation has affected the performance and function of the uniform accounting system in Iraq. It became urgent to think about finding other effective tools and implement them to the accounting system, so it fits and responds to the new structure of the national economy. It is essential to meet these changes, and implement the necessary reforms by development and modernization of a uniform accounting system in Iraq, that meets the standards of international accounting.

Based on the research, the following key points are the fundamental issues that should be investigated in order to raise the efficiency level of the Iraqi accounting system.

The model is based to the following hypotheses:

1- Adoption of the classification of cost elements based on, quality, place of origin (cost centre), types of function, calculation methods of cost (direct and indirect), behaviour and size of the activities and the their costs (fixed and variable, and mixed) and cost period (historical, specific in advance).

2 - The transition from the application of the actual cost accounting system, currently active in Iraq, into a system that specifies the costs in advance, based on scientific criteria beside the physical and financial cost estimates. Furthermore more attention towards the application of

responsibility accounting system and its tools, in order to achieve effective control over the cost components, benefit from the economic instruments, and achieve acceptance by the parties in the administration and the implementation process.

3 - The uniform accounting system should be an integrated system of the financial accounting, cost accounting and accounting responsibility. This system should be able to produce various kinds of information and reports, useful in various resolutions and administrative levels. These reports and information should also contribute to the development of guidelines to decision-making situations on all levels, such as foreign investments and local financier.

Furthermore it is essential to develop a framework for a model of the preparation of the information and accounting data, which should appear fully transparent, and be able to reach a level of quality that would contribute in the process of economic decision-making.

4 - The measures proposed of the model, will facilitate the process of, multiple objectives including:

Design a uniform system of costs on the basis of scientific studies, build a base of information and data which are necessary for the process of economic decision-making, reduce costs, raise production efficiency, pay attention to the quality level, evaluate the administrative efficiency, meet the needs of investors and financiers and furthermore the rehabilitation of the human resources department in the area of cost accounting, so it meets the level of the International Accounting Standards.

مصادر البحث

باللغة العربية:

1- حازم احمد ياسين" نظام التكاليف في المشروعات الصناعية"، دار النهضة العربية ، القاهرة 1980 .

2- عبد الحي مرعي " محاسبة التكاليف لاغراض التخطيط والرقابة" ،دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية 1980 .

3- على محروس شادي" النظام المحاسبي الموحد" ، مكتبة غريب ، القاهرة 1979 .

4- على عبد الرحمن " الموازنات التخطيطية" ، مكتبة الفجالة ، القاهرة 1969 .

5- عبد الباسط احمد رضوان" المحاسبة في منشات القطاع الاشتراكي" (النظام المحاسبي الموحد) ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل 1977 .

6- محمد احمد خليل وعمر حسنين" محاسبة التكاليف الصناعية" ، مؤسسة شباب الجامعية، الاسكندرية 1978 .

7- محمد كمال عطية" نظام محاسبة التكاليف" ، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية 1976 .

8- محمد محمد السيد الجزار " محاسبة التكاليف قياس ورقابة اتخاذ القرارات" ، مكتبة عين شمس ، القاهرة 1975 .

9- محمد توفيق بليع " محاسبة التكاليف " مطبعة الشباب ، القاهرة 1985 .

10- صباح قدوري " تحديث محاسبة التكاليف في القطاع الحكومي- العراق" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة لودز، بولندا 1985 (باللغة البولندية).

11- تشارلز. هونجرك " محاسبة التكاليف مدخل اداري " الجزء الاول ، دار المريخ للنشر والانتاج الفني ، الرياض 1986 .

باللغة الاجنبية

1- Bigg.W.W "Cost Accounts" Mac Donald & Evans, ltd , Great Britain 1972.

2- Horngren Ch.T " Cost Accounting A Managerial Emphasis 4th Edition, Prentice/Hall International, Inc; London 1975.

3- L.W.J Owler & J.L .Brown,Wheldons " Cost Accounting and Costing Methods" 30th Edition , Macdonald & Evans Limited

الفنون

الشفويات و المسرح أو تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي

فاطمة ديلمي
باحثة في المركز الوطني للبحوث
في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ الجزائر

تمهيد

إنّه من أبرز الظواهر التي ميزت الثقافة العالمية منذ نهاية القرن التاسع عشر و خلال القرن العشرين خصوصا، هي ظاهرة تقاطع الانثروبولوجي والمسرحي و هي ظاهرة تجلت من خلال التفكير في الأصول و السعي للعودة إليها عبر كثير من نشاطات الإنسان لا سيما الفنية و الإبداعية منها ، و من خلال المسرح بشكل خاص. و قد انطلقت الرحلة التي قادت إلى هذا التقاطع في بداية القرن العشرين حينما فرض المسرح الآسيوي على الغربيين التفكير ثم إعادة النظر في ماهية المسرح ، ثمّ تنامت إلى أن أثمرت مدرسة عالمية للأنثروبولوجية المسرحية لاتزال قائمة . و في هذه الدراسة سنحاول أن نفهم بواعث هذه الظاهرة و تجلياتها و آثارها.

الخلفيات الفكرية أو فشل المشروع الحداثي الغربي:

ظهر في أوربا نوع من الفكر المأزوم منذ القرن التاسع عشر، الذي بدأ يشهد فشل المشروع الحداثي في بلوغ غاياته و في تخليص الإنسان من آلامه ، وقد ازدادت حدة هذا التأزم خلال القرن العشرين بظهور فكر مناهض لذاته و رافض للعقلانية التي كفرت بالمشروع الإنساني ، سمي هذا

الاتجاه أحيانا بفكر ما بعد الحداثة[98] Postmodernité و الذي تبلور في فكر مناهض أعاد النظر في الثقافة المسرحية الغربية مستلهما الثقافات الشفوية و لم يكن هذا التقاطع بين الوعي الأنثروبولوجي و المسرحي إلا استجابة لذلك التفكير الفلسفي الأعمق الذي أعاد النظر في العديد من الأسس التي قام عليها الفكر و الحضارة الغربيان ـ اللذان مثلما اغتالا الحياة بصنع آليات الدمار اغتالا المسرح بتوفير تقنيات الإيهام و التخدير و إخفاء التناقضات ـ و على رأس هذه الأسس فكرة " المركزية الغربية " ، فظهر مثلما ذكرنا فكر مضاد لذاته و مضاد لهذه المركزية، صار ينظر إلى ثقافة الآخر و الثقافة الشرقية على الخصوص كملجأ للخلاص من أزمة الفكر تلك، على النحو الذي عبّر عنه أونتونان أرطو حينما قال " إنّ الثقافة الأوربية قد أفلست في نظري ، و أعتقد أن أوربا بتطور آلاتها اللانهائي قد خانت الثقافة الحقيقية و بدوري أريد أن أخون المفهوم الأوربي للتقدم"[99] خاصة ذلك المفهوم الهيغلي الذي يجعل التقدم و الحداثة قطيعة متجددة و مستمرة مع الماضي.

و هكذا ظهرت في الفكر الغربي فكرة " العودة إلى الأصول " في كثير من الميادين ومنها المسرح إذ ظهر مسرح الأصول ، ليبرز سعي الغرب المأزوم للبحث عن ماض مفقود .

البحث عن البديل

---

[98]ـ ثمة من دعاه حداثة ثانية "seconde modernité "، كما أنّ هناك من اعتبره امتدادا لفكر الحداثة نفسه بناء على المفهوم الذي يرى أن الحداثة هي قطيعة مستمرة و متجددة مع الماضي.

[99] - Artaud Antonin. Messages révolutionnaires. Ed Gallimard Paris 1971 .p68

لقد ظهرت بوادر الوعي الأنثروبولوجي في الثقافة الغربية منذ القرن السادس عشر، و هو وعي ترجمه نشاط الرحالة إلا أن هؤلاء مثلما يؤكد ادوارد سعيد " لم يكونوا يبحثون عن حقيقة علمية ، بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة مدهشة لكنها رغم ذلك ذات جاذبية خاصّة . و يصدق هذا بوضوح على الحجاج المتأدّبين ، بدءا بـ شاتوبريون ، الذين وجدوا في الشرق مكانا يتعاطف مع أساطيرهم و هوسهم و متطلباتهم الفردية الخاصة . و هكنا نلحظ كيف أنّ جميع الحجاج ، و خصوصا الفرنسيين ، يستغلّون الشّرق في أعمالهم من أجل أن يبرّروا ، بطريقة ملحّة مساربهم الوجوديّة "[100]

ثم تطورت علاقة الغرب بالشرق، و ظهر وعي جديد للشرق نتيجة لعوامل عدة منها:

*الشعور بإفلاس الفكر الحداثي الغربي

*الاكتشافات الحديثة في مجال التنقيب عن الآثار القديمة ، و التوصل إلى ترجمة النقوش و الألواح القديمة

*ظهور الباحث الانثبولوجي الجديد صاحب النظرة الموضوعية

هذا الوعي أدى إلى ظهور الحاجة إلى الدراسة الموضوعية، و من هنا بدأت عملية إعادة النظر في التراث الفكري و الأنثروبولوجي الذي قسم المجتمعات إلى بدائية متوحشة و متخلفة و مجتمع متطور و متمدن لأن هذا التقسيم هو الذي جعل الحداثة الغربية " تعني محق الاختلافات و...توحيد نمط العيش بحسب أنموذج الحياة الغربية ، وتعني كذلك إقحام الحضارات

---

[100] – سعيد ادوارد الاستشراق .ترجمة كمال أبو ديب . مؤسسة الأبحاث العربية . ط5 2001 . ص 175

المختلفة إقحاما باسم التنمية، في اتجاه واحد و هو اتجاه الحضارة الصناعية"[101]

فقد أثارت الأنثروبولوجيا الانتباه إلى :

*ضرورة الإقرار بالحق في الاختلاف و تثمين التعدد الثقافي و الجمالي .

*و وجود معايير أخرى للتطور ، غير المعايير المادية .

ما جعل الغرب يكتشف مجتمعات تملك نظرة مختلفة للإنسان ، و الزمن ، و التقدم ، و يفتح أعينه على حياة مختلفة يسيّرها الفكر الأسطوري والممارسة الطقوسية ، و هذا الانفتاح [102] أو " فهم ذلك السلوك غير المألوف إنما يضاهي الاعتراف به كسلوك يعبر عن أفعال إنسانية و يدل على ظواهر ثقافية و على إبداع من إبداعات العقل" [103] و هكذا وجد الأنثروبولوجي الغربي المعاصر نفسه أثناء لقائه بثقافة الآخر يبحث عن أجوبة لأزمة ثقافته مؤمنا أنّ "استعادة الزمان الأول ... وحده يستطيع تأمين التجديد الشامل للكون و تجديد الحياة و المجتمع"[104]

تقاطع الانثروبولوجي و الفني

تضافر عاملان اثنان مباشران و دفعا الإنسان الغربي باتجاه الاهتمام بالأصول بدراستها و الانتقاء منها و استلهامها في الفن:

---

[101] - التريكي رشيدة و التريكي فتحي . فلسفة الحداثة .مركز الإنماء القومي .بيروت 1992 ص13

[102] -Monique Borie .Antonin Artaud .Le théâtre et le retour aux sources .P14

[103]- ميريسا الياد .ملامح من الأسطورة.ترجمة حسيب كاسوحة .منشورات وزارة الثقافة .دمشق . 1995ص8

[104]- م ن ص 51

* الإخفاقات التي عاشها العالم و التي دلت على وجود أزمة عميقة في إفلاس مشروع الحداثة الذي كان متوقعا منه أن يجسد مبادئ العقلانية و حقوق الإنسان و التنوير و التقدم بشكل شمولي ، و الذي أدى بدلا من ذلك إلى انهيار هذه القيم ، و هو انهيار تجسد في : الحركات الكولونيالية و الاستعمارية الإمبريالية و السباقات نحو التسلح و الأنظمة الديكتاتورية، و الحروب العالمية...و التي ترتب عنها خوف من الدمار كشف عنه إلياد قائلا "نجد في زماننا الخوف الذي يهدد الإنسان بصورة متزايدة من انتهاء العالم بكارثة تسببها الأسلحة الحرارية النووية حسب شعور الغربيين ستكون تلك النهاية جذرية و حاسمة و لن يعقبها عالم جديد"[105] فكانت العودة إلى الأصول هي بحث عن ولادة أخرى لا مكان فيها للخراب و الدمار أو بتعبير آخر فإنّ "العودة إلى الأصل ...تسمح للإنسان بأن يحيا من جديد الزمان الذي تجلت فيه الأشياء و ظهرت للمرة الأولى على مسرح الوجود"[106]

* كما أنه في القرن العشرين أخذت الدراسة العلمية "للأصول" منحى آخر مغايرا بفضل نظريات التحليل النفسي ـ خاصة نظريات فرويد ـ التي خلصت إلى أن زمن الأصل أو زمن البداية هو زمن السعادة،إذ كما يذكر إلياد أنه "من الأمور ذات الدلالة أن يأتي انهيار اللغات الفنية مطابقا لانطلاقة التحليل النفسي و من الملاحظ أنّ علم نفس الأعماق زاد من الاهتمام بالأصول"[107]

و هكذا راح الفنانون يحاولون استعادة هذا الزمن الأول و هذه السعادة الضائعة و كان "الفنانون هم الأوائل من بين الناس الحديثين الذين

---

[105]- م ن ص 90
[106]- م ن ص48
[107]- م ن ص 91

أكبوا فعلا على هدم عالمهم بغية إعادة خلق عالم فني يتاح فيه للإنسان في الآن ذاته الوجودُ و التأمل و الاسترسال في الأحلام " [108]

الانثربولوجي و المسرحي:

و هكذا تأثر المسرح بهذا الجو الفكري و الفني العام و أصبح مهووسا هو الآخر بهذه الثقافة المفقودة، ثقافة الأسطوري و المقدس محاولا إيجاد حلول لأزمته و لأزمة الثقافة عموما حيث صار الاهتمام ودراسة الثقافات الشفوية و استلهامها مسرحيا يعني" العودة إلى الأصول " و لم يكن هذا التوجه اهتماما فرديا بل كان هاجسا مشتركا بين العديد من الاتجاهات المسرحية الغربية و لا سيما خلال القرن العشرين فـ "منذ بداية هذا العصر عرفت و على حد سواء كل من الفنون التشكيلية و الأدب و الموسيقى تغييرا جذريا إلى أبعد الحدود حتى بات بالإمكان الحديث عن انهيار اللغة الفنية و لقد بدأ هذا الانهيار في الرسم ثم امتد إلى الشعر فالرواية و أخيرا مس المسرح مع أونيسكو"[109] .

و هكذا اتجه بحث الغرب عن الأصول في مجال المسرح في اتجاه أساسي و هو اتجاه الأصول غير الغربية بالرجوع إلى ثقافة الآخر و ثقافات الشرق على الخصوص، فأبرز التجارب المسرحية الكبرى لسنوات الخمسينيات و الستينيات[110] و ما بعدها نظر أصحابها صوب الثقافة التي مازالت قريبة من الجذور.. ثقافة الأسطورة ،فقد رحل أرطو إلى المكسيك و غروتوفسكي إلى الهند ،و بيتر بروك إلى أفريقيا ، واتجه أوجينيو باربا نحو

[108]- م ن ص 92

[109]- م ن ص 90

[110]- لمعرفة المزيد عن هذه التجارب يمكن العودة مثلا: إلى مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي ع 1 السنة 15 تشرين الأول 1979

الشرق و أمريكا اللاتينية ، ...و على العموم رحل المسرحيون أنفسهم إلى مختلف الأماكن التي احتفظت بهذه الثقافة المفقودة و غالبا ما كانت هذه الرحلات العلمية جماعية و متعددة الجنسيات و كان هدفها الاقتراب من الممارسات الفرجوية في هذه الثقافة و إدراك تقنياتها لاستلهامها في المسرح و كان ذلك يتم عبر المساءلة و الانتقاء أي أن هذه الرحلات كان وسيلة للنظر إلى ما خلف الحواجز الثقافية و الاختلافات الظاهرية إلى مصادر الحياة التي جعلت هذه الأشكال الثقافية تستمر ،و هكذا صارت هذه الأصول و هي حية منبعا لتجديد المخيال وتنشيط الابداع و القضاء على التقاليد المسرحية الروتينية لإيجاد مسرح بديل.

<u>أشكال تجسيد هذا التقاطع :</u>

لقد عمت ظاهرة الاهتمام بالثقافات الشفوية المسماة بدائية و استلهامها مسرحيا في الولايات المتحدة الأمريكية و في أوربا بقسميها الشرقي و الغربي ، حيث ظهرت مجموعة من المسارح و الفرق التي سعت لتجديد المسرح بقطع صلته بالمعايير السائدة و باستعادة البدائي و الأسطوري الذي ظل حيا في بعض الثقافات خاصة الشرقية ، وقد بلغ التقاطع حدا صار معه الفصل بين الثقافة المسرحية الغربية و الثقافة المسرحية الشرقية غير ممكن إذ خلال القرن العشرين سحرت هذه الثقافات الشفوية المسرحيين الغربيين لدرجة تمازجت فيها مختلف المعارف وأعطت مسرحا و معرفة موحدين ،إذ ترجم ذلك التقاطع في شكل وعي معرفي و في شكل عروض فنية.

***فيما يتعلق بالوعي المعرفي**

بدأت ثمار هذا الوعي في العشريات الأولى من القرن العشرين باكتشاف الغرب للمسرح الياباني كابوكي théâtre Kabuki ، و اكتشاف آرتو للمسرح البالي‍ني théâtre balinais ، و اكتشاف بريخت للمسرح الصيني ، و كانت الرحلة طويلة متعددة المحطات

*و كانت بداية رحلة تقاطع الانتبولوجي و المسرحي عبارة عن قضية طرحت للنقاش حول ما إذا كانت هذه " المسارح غير الغربية " مسارح حقا ، وأثمر الجدل عددا كبيرا من الدراسات مثل دراسة آرتو "المسرح و قرينه" Le théâtre et son double الذي طبع سنة 1938 مجموعة مقالات نشرت في الثلاثينيات

*ثم تلت مرحلة أخرى استمرت خلالها هذه الدراسات المسرحية ذات البعد الانثربولوجي كان هدفها دراسة هذه المسارح الشرقية لخلق مسرح جديد

كتاب ." Vers un théâtre pauvre" "نحو مسرح فقير " لـ غروتوفسكي سنة 1965 في الدانمارك ثم في الولايات المتحدة 1968 تقديم بيتر بروك و قد طبع الكتاب في العديد من بلدان العالم و صار عند العديد من الباحثين خلال سنوات الستينيات و السبعينيات بمثابة الكتاب المدرسي وهو كتاب يبرز كيف يكون أداء جسد و صوت الممثل مركزا على التقنيات الشرقية

بالإضافة إلى كتاب " المسرح و الطقس " Le théâtre 1969" et le riteالذي طبع سنة 1969

و كتاب بيتر بروك "المكان الخالي " " espace vide"

وقد ظهرت في هذا الإطار مصطلحات مثل

المسرح الباحث théâtre chercheur

المسرح المختبر Théâtre Laboratoire

و في سنة 1976 ظهر مصطلح مسرح الأصول Théâtre des Sources

* في مرحلة تالية تعاظم الاهتمام بمسرح الأصول وتوّج سنة 1980 بتأسيس المدرسة العالمية للأنثربولوجية المسرحية[111] L'ISTA (International School of Théâtre Anthropology) بفضل أوجينو باربا Barba Eugenio

ومن أشهر المؤلفات التي تمثل هذا الاتجاه كتاب باربا"زورق من الورق.. عرض المبادئ العامة للأنثربولوجية المسرحية" Le Canoë de papier, traité d'anthropologie théâtrale"

إلى جانب قاموس الأنثربولوجيا المسرحية " L'Energie qui danse, l'art secret de l'acteur, un dictionnaire d'anthropologie théâtrale

الذي ألفه باربا برفقة سافاريز Savarese Nicola

*و في التسعينيات ظهرت مقاربات جديدة نذكر منها خاصة الاثنوسينولوجيا ethnoscénologie و هي فرع علمي تأسس رسميا بفضل ملتقى تأسيسي جرى سنة 1995 بإنشاء المركز العالمي للإثنوسينولوجيا Centre International d'Ethnoscénologie تحت

---

[111]. وهي ذلك العلم الذي يدرس سلوك الإنسان البيولوجي و الثقافي في حالة عرض

إشراف اليونيسكو، يقترح أدوات لملاحظة، و وصف و تحليل الممارسات الفرجوية في تعددها، بهدف فهم كيفية تشكلها و تمييز ماهو مرتبط بالمتلقي مما هو متعلق بالمؤدي، و هذا بعيدا عن كل فكر مسبق، أو ايديولوجيا جاهزة، كل ذلك بهدف حماية التعدد الثقافي . و تعد مجلة Internationale de l'Imaginaire أهم منابر لنشر هذه الدراسات.

*** فيما يخص الأعمال الفنية وقد قدمتها فرق مثل**

مسرح الحوادث الذي تأسس سنة 1952 ، و قد توجه توجها طقسيا على يد آن هالبرين القائلة " لقد عدت إلى البدايات الطقسية للفن باعتباره تجربة حادة للحياة " [112]

مسرح البيئة ظهر في منتصف الستينيات ، و من سماته أنه مسرح يمتزج بالطقوس ، و يرفض النماذج الغربية التي خلقت ـ حسب مارغريت ميد ـ انفصالا بين الفني و الطقوسي و بين الفن و الجمهور و خلقت مفهوم النخبة في الفن[113].

و قبلها و أكثرها شهرة **مسرح القسوة، المسرح الحي، المسرح الفقير، المسرح الملحمي، المسرح الأسود، مسرح الخبز و الدمى...**

و الأصول التي سعى إليها الغرب في أعمالهم المسرحية هي تلك الخصائص التي فقدتها المجتمعات المسماة :المتحضرة أو المتطورة ... و التي ظلت قائمة في المجتمعات المسماة : المتوحشة ، البدائية ، الأولية...والتي تحيل إلى نمط محدد للوجود الاجتماعي للعلاقات التواصلية فيه ذات شكل مميز و مختلف ، فمجتمعات الأصول شفوية أي أنها تستند إلى

---

[112]- مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي . ص16 .

[113]- م س ص 18.

نظام لغوي يسود فيه الصوت و هو نظام " يتفق مع الميول التجميعية ...و هو يتفق كذلك مع النظرة الكلية .كذلك يتفق مع تنظيم له صبغة إنسانية للمعرفة التي تدور حول أفعال الكائنات..."[114] و هذا ما جعل دعاة الأصول يقترحون " استعمالا للعلامات تهيمن عليه الشفوية و الجسد "[115] و هو أمر كان يعني بالنسبة إليهم نسف النص وتحطيمه وتحرير المسرح من الكلمة التي أثقلت كاهله بهدف إعادته إلى طبيعته التحررية الدائمة التجدد، و استرجاع طابعه الاحتفالي والتركيز على الحركة ولغة الجسد التي كان لها طابعا قدسيا في الثقافات البدائية التي ثمنتها الأنثربولوجيا ، كل ذلك لدمج الجمهور في خبرة جمعية وغير لفظية،و لقد أدت هذه الرؤية الجديدة للمسرح إلى تغيير نمطي إنتاجه و تلقيه ، حيث تحول المسرح إلى طقس يستند إلى ممثل مبدع و جمهور ناقد.

[114] – والترج أونج . الشفاهية و الكتابية.ترجمة حسن البنا عز الدين .سلسلة عالم المعرفة فبراير 1994.ص151

[115] –Monique Borie .Antonin Artaud .Le théâtre et le retour aux sources .p16

مصادر البحث

1 - التريكي رشيدة و التريكي فتحي . فلسفة الحداثة .مركز الإنماء القومي .بيروت 1992

[2]- سعيد ادوارد الاستشراق .ترجمة كمال أبو ديب . مؤسسة الأبحاث العربية . ط5 2001 .

3. مجلة الأقلام عدد خاص بالمسرح العالمي ع 1 السنة 15 تشرين الأول 1979

[4]- ميريسا الياد .ملامح من الأسطورة.ترجمة حسيب كاسوحة .منشورات وزارة الثقافة .دمشق . 1995

[5]- والترج أونج . الشفاهية و الكتابية.ترجمة حسن البنا عز الدين .سلسلة عالم المعرفة فبراير 1994.

[6] - Artaud Antonin. Messages révolutionnaires. Ed Gallimard Paris 1971

الديكور المسرحي بين الفكر والتقنية

الباحث
معتز عناد غزوان
مدرس/ كلية الفنون الجميلة- جامعة بغداد
2011

يعرف المسرح بأنه الصورة الفنية المثلى التي تبين الصراع الدائم بين الإنسان والمثل العليا قاعدتهم الأساسية تغطية الواقع في صيرورته التاريخية وتناقضاته والإيهام بذلك في مختلف العناصر التي تكون العمل المسرحي في شتى مظاهره واتجاهاته[116] .أما فن التصميم الداخلي أو ما يمكن الاصطلاح عليه بفن الديكور الذي يتغير تبعا للوظيفة والحيز أو الفراغ فضلا عن المساحة والفضاء لذلك علينا أن نفهم معنى فن التصميم بشكل عام قبل الانتقال إلى مفهوم فن الديكور بوصفه احد فروع فن التصميم الذي يضم التصميم الطباعي أو تصميم المطبوعات وتصميم الأقمشة والنسيج فضلا عن التصميم الصناعي وتصميم الأدوات وغيرها فالتصميم عملية تنظيم عناصر مرئية للهيئة الفنية والتصميم يرتبط بعناصر لازمة كالخط والشكل واللون والمسافة والضوء وملامس السطوح بحيث تتلاءم كلها لخدمة الشكل العام ولابد أن يحقق التصميم هدفا معينا نفعيا ويخدمه[117] .والتصميم كمصطلح فني يعد تخطيطا أولياً أو أسلوباً لخصائص رئيسية يمكن تنفيذها على الورق كتنفيذ الصور أو البناية أو الزخرفة أو التخطيط ويعني ترتيب هذه العناصر أو التفاصيل التي تصنع عملا فنيا ويكاد يكون التصميم مرادفا للتكوين أو

---

[116] – حبش – ضياء أنور / الدلالات البيئية في تصميم المنظر المسرحي العراقي ، رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد –1997–ص25 .

[117] – الشال – عبد الغني النبوي مصطلحات في الفن والتربية الفنية ، جامعة الملك سعود–الرياض 1984– ص86.

الترتيب[118]. وعرف بأنه العمل الخلاق الذي يحقق غرضه[119] . والتصميم عملية توزيع الخطوط والألوان بصورة معينة داخل شكل يتضمن درجة معينة من الانتظام والتوازن الدقيق من اجل التعبير عن الأفكار جماليا ووظيفياً[120]، وانه الابتكار الشكلي أو خلق أشياء جميلة ممتعة إذ تعتمد عملية التصميم على قدرة المصمم في الابتكار لأنه يسخر ثقافته وقدرته التحليلية في خلق عمل جديد أو تطوير عمل سابق[121]. والتصميم بشكل عام هو فن الشكل الوظيفي ولكل تصميم وظيفة وكل وظيفة لها علم وأصول وعليه فكل نوع من تصاميم الوظائف النفعية له أصول وجذور وفروع وأسرار علمية وتكنولوجية . لذلك فالتصميم ليس فنا فقط بل هو فن وعلم وإذا ما اجتمع الفن والعلم في موضوع واحد أصبح ثقافة، فالتصميم هو ثقافة و نظام إنساني أساسي وأحد الأسس الفنية لحضارتنا[122]، وهو عملية خلق وإبداع وابتكار، ذلك باستعمال عناصر مرئية بنائية كالنقطة والخط واللون والملمس وتحديدها وربطها بالأسس التصميمية كالوحدة والتكرار والتناسب لتحقيق عمل فني يتسم بالوظيفة والنفعية فضلا الوظيفية. أما مفهوم التصميم الداخلي أو فن الديكور فهو يختلف حسب طبيعة المكان وضغوط الزمان ومتطلبات وظيفة الإنسان. وطبيعة التعبير الجمالي للديكور الذي يرتبط ارتباطاً مفاهيمياً بالمسرح بوصفه احد الفنون الجميلة والتعبيرية التي تبحث عن الجمال والتأثير بالمتلقي أو المتذوق لطبيعة العرض المسرحي ولتعكس موضوع المسرحية من خلال جمال القطع المكونة للديكور في المسرحية وهنا فان الديكور في المسرح ذي وظيفة جمالية تكاد تكون قريبة للواقع المجسد من خلال سيناريو المسرحية، أما فن تصميم الديكور بمفهومه العام فهو يسعى إلى أداء جمالية وظيفية تخدم المتلقي أو ما يمكن أن يسلك سلوك المستهلك هنا، لذلك فان مصمم الديكور المسرحي يجب أن يراعي الاختلاف في

3--j.f.mills-Dictionary of arts-London 1965-p.56.

[119] - سكوت – روبرت جيلام/ أسس التصميم – ترجمة د.عبد الباقي محمد إبراهيم ومحمد محمود يوسف، دار نهضة مصر القاهرة 1968 – ص5.

[120] - الحسيني – إياد حسين عبد الله /التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم ، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد -2002-ص11.

[121] - أبو هنطش – إبراهيم /مبادئ التصميم ،دار البركة للنشر ،عمان ط3 -2000-ص28.

[122] - الغول-علي فايز/ مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودور الجامعات في تنمية المهارات الفنية جامعة اليرموك اربد 1996-ص5.

الحوائط الثابتة والمتحركة والزخارف والأبعاد وتسليط الأضواء الخافتة والقوية ودرجات الصوت وغيرها من الأمور التي تدخل في نطاق هذا الفن وغيرها. كما أن المسرح يحتاج لإمكانيات خاصة تتطلب سرعة تغير المناظر التي تعد الآن من الأساسيات في سياق القصة، فالمسرحية الآن تعتمد اعتماداً كبيراً على الديكور[123]. لذلك فان الهدف المقصود من وراء تصميم الديكور هو سد حاجات سواء كانت إنسانية أو اجتماعية معينة لان لكل تصميم وظيفة يقوم بها، وتوثر في عملية الإخراج الفني. هذه العوامل هي الخامات والأدوات الأدائية المتصلة بها وكذلك الغرض أو الوظيفة من هذا التصميم وأخير موضوع التصميم[124]. مما تقدم لابد من تعريف عام وشامل لمفهوم فن التصميم الداخلي أو تصميم الديكور بشكل عام إذ يمكن تعريفه بأنه عملية الابتكار ثم الإبداع أولاً ومن ثم التنفيذ أو الإخراج. لذلك فان تصميم الديكور لا يبحث في مشكلات معمارية بحته فقط بل يبحث أيضاً في حل تلك المشكلات ولاسيما الداخلية منها والتي تبدأ بخطوط عريضة وتنتهي بأدق التفاصيل كما انه يعالج ويجد الحلول لكافة الصعوبات التي تدخل في مجال الحركة، كذلك جعل الجو الداخلي مريحاً وهادفاً مستوفياً كافة الشروط الجمالية وأساليب المتعة[125]. لذا فان الديكور يعيد واقعية الزمان الماضي إلى زمان ومكان حاضر يفرض وجود الواقع ويجسده على حقيقته ويكشف عن دلالاته وأهدافه ولاسيما في المسرحيات التاريخية والتراثية ذات الارتباط بالزمكان الحضاري والثقافي والإنساني. فالتصميم الداخلي أو فن الديكور هو فن معالجة الفراغ أو المساحة وكافة عناصرها على نحو جمالي يساعد على العمل داخل المبني، أرضيات، حوائط ، سقوف، تجهيزات (أثاث , إضاءة)، ومجالاته (سكني , عام)، تجاري (معارض , مسارح)[126]. إن فن الديكور المسرحي هو فن إنساني مستقل عن باقي الفنون الأخرى فضلاً عن كونه احد أهم مكونات المنظر المسرحي لذلك على المصمم أن ((يختار الخامات والوسائل الأدائية التي تساعد على التعبير وكذلك الروية البصرية المتذوقة للفن بالإضافة لمهارة الصانع[127].

---

[123] - مصطفى احمد / فن صناعة – دار الفكر العربي –القاهرة ب.ت-ص9.

[124] - يونس خنفر /أسس التصميم الداخلي وتنسيق الديكور –دار مجدلاوي للنشر ، عمان 1983-ص11.

[125] - المصدر نفسه/ ص9.

[126] - يوسف-عقيل مهدي / أقنعة الحداثة –مكتب سناريا-بغداد2006-ص67

[127] - عبد الهادي – عدلي محمد /مبادئ التصميم واللون ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ،عمان، 2006-ص44.

العناصر الجمالية للديكور المسرحي :
هنالك عدة عناصر مهمة لنجاح الديكور المسرحي الذي يؤدي الوظيفة الجمالية ويكشف عن مكونات النص المسرحي ولاسيما المسرحيات ذات الطابع التاريخي والملحمي فضلاً عن المسرح الاستعراضي الذي يلعب فيه الديكور المسرحي دوراً أساسياً كبيراً يساهم في شد عين المتلقي وتفاعله مع النص أو القصة التي يعرضها الممثلون، والتعبير الصادق للقصة فضلاً عن العلاقة التي تربط الممثل وحركته من جهة، والإضاءة والديكور التي تجتمع معا لتأليف المنظر المسرحي. فالمنظر المسرحي هو البيئة التي يعيش فيها الممثل ويتحرك داخلها[128]، والديكور هو الذي يجعل المتلقي ينتقل في زمان ومكان معين يتعلق وموضوع المسرحية ونصها لذلك فهو تنظيم البيئة في النص الأدبي برؤى إبداعية ذات أفكار ومعاني محددة إلى شكل مرئي شامل لكافة العناصر البصرية للعرض المسرحي [129]. وهنا يميل المصمم المسرحي إلى التأكيد على البيئة المسرحية المطابقة للبيئة الحقيقة فقد اهتم بالأشياء الصغيرة والمكملات في البيئة المسرحية والتي أحياناً لا ترى كلها من قبل المشاهد لكنها تنفع الممثل إذ يصبح أكثر قوة وامتلاء بالحياة وتقمصا للشخصية التي يؤديها[130]. إن المصمم المسرحي هو الذي يجسد البيئة المختصرة أو المصغرة للبيئة الحقيقية سواء كانت تاريخية أو طبيعية، لذلك يصف (برخت) المصمم المسرحي بأنه الذي ((يقدم صورة عن العالم، والعالم يتغير وفق قوانين لم تكشف بعد بصورة نهائية))[131] .هنالك علاقة كبيرة وقد تكون تلقائية هي التي تجمع المصمم وتجعله يقوم بتصميمه لاشعوريا من خلال التفاعل الذي قد يصل إلى حالة من التقارب أو الاستنساخ مع البيئة في العرض المسرحي ولاسيما المناظر ذات الطبيعة التاريخية كقطع ترمز إلى الجداريات القديمة أو القطع الأثرية، على سبيل المثال وهذا

---

[128] - هوايتنغ – فرانك .م./المدخل إلى الفنون المسرحية – تر: كامل يوسف وآخرون – القاهرة – دار المعرفة مطبعة الأهرام -1970-ص331.
[129] - الكواز-عماد هادي عباس/ جماليات المنظر في الفضاءات المفتوحة العروض المسرحية العراقية –رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد2004-ص 7.

[130] - حبش – ضياء أنور/ مصدر سابق –ص 27.
[131] - برخت – برتولت / نظرية المسرح الملحي – تر:د. جميل نصيف – وزارة الثقافة والإعلام – دار الحرية للطباعة –بغداد ب.ت-ص 235

ما قام به الفنان الدكتور نجم حيدر• عندما قام بتصميم المنظر الأثري في مسرحية (حب ومرح وشباب) التي كتبها الفنان قاسم محمد وأخرجها الفنان محسن العزاوي عام 1991 إذ قام المصمم بعمل قطع كبيرة من مادة (الفلين) ونحت عليها منظر يمثل جدارية بابلية قديمة فضلاً عن وضع قطعتين منفصلتين من مادة الفلين تمثل جزء من تلك الجدارية، على جانبي الجدارية المركزية، لتجعل من المنظر المسرحي متكاملاً من حيث المضمون والفكرة والهدف فضلاً عن الوظيفة الجمالية , لقد أراد المصمم هنا إثارة ما يمكن الاصطلاح عليه بالمعادل المرئي لمفردات النص الدرامي , فالمنظر فيه فطرية الرسم ,وقيم تصويرية بسيطة، ومعالجة لونية للسطوح والوجوه، وجماليات التشكيل من خط ومساحة ,وشكل ,ولون,وملمس تخترق تخيلاتها ورموزها وستائر الضوء وأعمدته ومستوياته وألوانه وعتمته وتتفاعل مع الضوء[132],ويمكن التعرف على العناصر الجمالية للديكور المسرحي كما يأتي :

1- اللون (Coluor):

هو التأثير الفسيولوجي الناتج على شبكة العين ,فاللون ليس له أي حقيقة إلا بارتباطه بأعيننا التي تسمح بحسه وإدراكه بشرط وجود الضوء[133]. فالقاعدة الفيزيائية تقول لا يمكن إدراك اللون بدون وجود الضوء , ويعتمد اللون في قياساته على عدة عوامل وهي :

أ-صفة اللون (Hue) وهي الخاصية التي يتميز بها لون عن لون آخر , وتتغير صفة اللون عند مزجه مع لون آخر.

ب-تشبع اللون (Saturation) هو درجة نقاوة اللون وتشبعه وتتغير درجة التشبع وفقا لتسليط الضوء في الإضاءة المسرحية التي توجه بشي من التركيز على قطعة ديكور مهمة .ويميل مصممو الديكور المسرحي إلى استعمال الألوان بشكل واقعي للاقتراب من الحقيقة، فعندما اختار المصمم نجم حيدر المنظر الأثري الذي سبق وان تحدثنا عنه، وضع ألوان الحجر والرخام فضلاُ عن إكساب القطعة الأثرية شيئا من الواقعية وكأنك تنظر إلى إحدى الجداريات العراقية القديمة ، هنا نجح المصمم فضلا ًعن المنفذ في إخراج الديكور المسرحي بشكله التعبيري والقريب من الواقع .وعليه فان

• الدكتور نجم حيدر / أستاذ مساعد – كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد –ومصمم ديكور لعديد من المسرحيات في مؤسسة السينما والمسرح العراقية.

[132] - يوسف –عقيل مهدي /المصدر السابق –ص 253-254.

[133] - عبد الهادي –عدلي محمد/المصدر سابق—ص13.

اللون احد العناصر التي يمكن قياسها من خلال مناطق الضوء والظل فضلاً عن تأثير تلك المناطق في حيوية وتوهج أو عدم توهج القطع الديكورية .فالإشارة والخطوط والألوان هي الوجود الحقيقي للديكور[134].

2-الشكل (Shape) :

يعد العنصر الأساسي في العمل الفني، أما الحيز الذي يحيط بهذا العمل الفني فهو الأرضية ,والشكل والأرضية أساس كل الفنون المختلفة[135].

ويرتبط الشكل وأهميته الجمالية بقدرة المصمم على الإحساس بالجمال وتذوقه، وفي المسرحيات الاستعراضية يميل المصممون إلى التركيز على تشخيص الأشكال والتعبير عنها من خلال العلاقة المتبادلة ما بين القطع الديكورية، بوصفها شكلاً، من جهة ،والأرضية أو خلفية المسرح من جهة أخرى.

3- الملمس(Texture):

هو تعبير يدل على الخصائص السطحية للمواد، وهذه الخصائص تدرك بالملمس[136]. ويتحدد الملمس من خلال إدراك العين، ولاسيما عين الفنان المصمم بوصفه المبتكر الذي يقرب المواد والخامات المتوفرة للوصول إلى الملمس الطبيعي من خلال تصميم الديكور المسرحي، الذي يؤلف من خلاله بيئة مصغرة عن البيئة الحقيقية ولاسيما البيئة الطبيعية، ففي مسرحية (حب ومرح وشباب)التي سبق وان تحدثنا عنها ,قام المصمم بتصميم منظر يمثل غابة ذات أشجار تنتشر أغصانها وفروعها لتتشابك مع بعضها وتجعل من الملمس أساساً للإحساس بالطبيعة، اذ رسمت الأغصان على قطع الخشب، ومن ثم وضع المنفذ عدد من قطع الخشب غير المنتظمة بطريقة عشوائية وغطيت بقماش سميك ما يصطلح عليه بالعامية العراقية (بالكونية)التي تم معالجتها وتغطيسها بخليط من الجبس (البورك) والماء .وتغطي هذه الكونية جذع الشجرة الافتراضي ,وبعد جفافها يقوم المنفذ بتلوينها بألوان الجذع الحقيقة ومعالجتها ببعض الألوان المساعدة لإحداث الظل والضوء مع إعطائها ملمساً يوحي بقوة الشجرة وثباتها وكأنك تجلس قرب جذع شجرة حقيقي. أما مكونات الشجرة الخضراء فقد وضعت الأقمشة المختلفة الأحجام في خليط من البورك والماء أيضاً تضاف إلى الخليط صبغة خضراء ,ومن

---

[134] - سعد اردش/المخرج في المسرح المعاصر-عالم المعرفة –الكويت 1979-ص103.

[135] - عبد الهادي –عدلي محمد/المصدر سابق—ص53.

[136] - أبو هلطش-محمود/المصدر سابق-ص67.

ثـم تبنــى جسـور خشـبية مختلفـة الأحجـام والأطـوال لتعلـق عليهـا الأوراق المفترضة ,وبعد أن تجف نقوم بمعالجتها بمشتقات اللون الأخضر والأصفر من اجل إضفاء الملمس الحقيقي للأشجار وتأثرها بالضوء من خلال الإنارة أو الإضاءة المسرحية التي تساهم بالتالي في خلق مشهد أو منظر يتسم بالتألق والتعبير عن حقيقة البيئة وصورتها الافتراضية. من خلال هذا المشـهد يمكن إدراك دور الملمس في تحقيق الجمالية التعبيرية في المنظر المسرحي عن طريق الإحساس البصري بمكونات البيئة ومعطيات الخامة .إن من أولويات مصمم الديكور المسرحي هي مراعاة العتمة والشفافية، والنصف شفافية، من خـلال مـا يمكـن اسـتعماله مـن خامـات مكملـه للقطـع الديكوريـة كالزجـاج الاعتيادي أو الملون ,فضلاً عن الورق الشفاف أو الملون، الذي يمكن أن يصطلح عليه (الجلاتين) , التي تكون فعالة في إضافة حيوية إلى العرض المسرحي، وتعطى ملمساً بحسب موقعها في العرض , ويكون هذا الملمس مدركاً للمتلقي من خلال الإضاءة أو الإنارة المسرحية .من خلال ما تقدم فان المؤثرات البيئية في تفاعلها مع الاستعداد الإبداعي لدى الفنان هي التي تخلق الفنان المصمم, وهي عملية لاشعورية تتم تلقائياً، تتعامل مع مخزونه من الكم المعرفي، من لون وخط وكتل وفراغ وتأثيرات تراثية وتقاليد وأعراف تجتمع كلها لتكون مقترباً بين المؤثرات وعناصر التصميم[137], فالخامات والأدوات نتاج مستحدث ومستنبط من البيئة التي يعيشها الفنان والتي تندمج بها لتكون طابعا شخصيا للفنان[138].

4-الحركة (Movement):

تعد الحركة احد أهم العناصر الجمالية في العرض المسرحي ولاسيما في التحكم بالديكور ومسار حركته في العرض وانتقال الممثل بين أجزائه .وتكون حركه الممثل أو الراقص مرتبطة بالديكور , إذ أن على المصمم أن يراعي عدة قضايا مهمة توثر في تصميمه وكما يأتي:

أ-حركة الممثل والذي يقوم في أداء حركاته التمثلية ويقوم في الوقت نفسه بالتحكم بالقطع الديكورية ونقلها من هنا أو هناك حسب متطلبات المشهد.

ب – حركة الإضاءة المسرحية من خلال تسليط الضوء المباشر أو الحركة السريعة للضوء عن طريق متحكمات الضوء في المسرح والتي تودي إلى الإحساس بحركة الديكور وحيويته وتألقه في العرض المسرحي.

5-الخط :يعد الخط أحد ابرز العناصر الجمالية للمسرح فضلاً عن الزخرفة وكيفية التعامل مع الخط والزخرفة في تصميم الديكور المسرحي ,إذ على المصمم مراعاة رصانة الخط وخصوصيته وهويته فضلاً عن الزخرفة

[137] - -حبش – ضياء أنور/المصدر سابق-ص 49.

[138] - المصدر نفسه/ ص48.

بمختلف أنوعها ومرجعياتها,كل حسب موقعه بالنسبة للنص والهدف من التصميم .

التراث في تصميم الديكور المسرحي:
هو الميراث والأصل والأمر القديم ,توارثه الآخر عن الأول وقد تعني الكلمة البقية من كل شي[139] . يلعب التراث دورا كبيرا في التأثير في شخصية المصمم وتصميمه وينعكس ذلك على المسرحيات ذات الطابع التراثي أو الحضاري ولاسيما ما يرتبط بالموروث الحضاري لكل دولة , فالصينيون لهم خصوصيتهم في تصميم الديكور الخاص بمسرحياتهم ,إذ يختلفون عن الهنود أو العراقيين أو المصريين , فعندما صمم مشهدا من مسرحية تعود إلى العهود الرومانية يقوم المصمم بتصميم أعمدة وعقود مع إكسابها لونا يشبه لون المرمر والرخام , إن محاكاة التراث له دور كبير في تصميم الديكور المسرحي ولاسيما ما يتعلق بالية التنفيذ وقدرة المنفذ على التعبير أو التمثيل الحقيقي لما يريده المصمم . لذا فان المسرح فن لا يكتمل بمعزل عن الجمهور ,لذلك جاءت دلالاته التراثية في المحتوي والشكل استجابة لمتطلبات هذا الجمهور فاستعار الشيء الكثير من البيئة المحلية لخلق هذه الموازنة فيما بينهما[140] .وعليه فان المصمم المسرحي الناجح هو من يستطيع التعبير عن النص المسرحي ويجعله متألقاً ومعبراً عن عصره بأسلوب حديث ومعاصر، هو من يكون ناجحاً وبالتالي فانه سيشارك فريق العمل المسرحي نجاح عملهم .ويتميز كل مصمم عن غيره بعده قضايا وكما يأتي :
أ- أسلوب التعبير المباشر .
2-أسلوب التنفيذ وخصوصيته .
فعندما يقرا المصمم نصاً مسرحياً ليقوم بتصميم ديكورها المسرحي كأن يكون النص ((قاعة محكمة ,ذات بابين,هناك شعارات عديدة,في الوسط مقعد القاضي وبجواره هاتف على اليسار ينضب قفص الإبهام ,وفي المستوى الأدنى من مقعد القاضي مكان هيئة الادعاء العام وفي الوسط يوجد المكان المعد للمراسل الصحفي وبجانبه هاتف وفي الواجهة لافتة كتب عليها :إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ورسوله))•. وفي نص آخر ((المهرج يتجول

---

[139] – الفيروزبادي /القاموس المحيط –دار الرسالة –بيروت، ط3 1993–ص210.

[140] – حبش–ضياء أنور/مصدر سابق–ص53.

• نص مقتبس من مسرحية (المحاكمة)- للمؤلف والمخرج المسرحي أ.د. فيصل المقدادي – من كتابه الموسوم (المحاكمة ومسرحيات أخرى)- مكتبة الفتح-بغداد 2006-ص51.

في شوارع ملونة بمدينة صاخبة، يقف متأملاً أمام إعلان ضوئي كبير، يبدأ الإعلان بالتضخم حتى تتورم كل أجزاء المرأة التي كانت جزءَ مهماً في تكوينه))•. وفي نص تاريخي مسرحي ((يدخل الناس رجالاً ونساءً حاملين رايات كبيرة، وكل راية لها في قمتها رمانة كبيرة، وسفينة ضخمة مطرزة بالأضواء والأجراس يحملها أكثر من عشرة رجال))•، فكيف سيفكر المصمم؟ إن الديكور يبدو جاهزاً من خلال النص ومكوناته إذ أن الوصف الذي يترجمه المؤلف في وصفه للظاهرة والأثاث وما يحتويه المشهد المعين من أدوات ومكملات للديكور يستطيع المصمم استثمارها من خلال النص .
إن مهمة المصمم المسرحي مهمة ليست باليسيرة بل أنها رحلة لسبر أغوار النص المسرحي من اجل الوصول إلى تصميم معبر وناجح. أما الأسلوب الفني للمصمم فيظهر من خلال استفادته الفكرية والاجتماعية وكذلك على إمكانياته الجمالية والحسية ذات التأثير الفلسفي للواقع كل ذلك يتجسد في المؤثرات البيئية من خلال التراث أولاً , والتعبير الجمالي ثانياً والمؤثرات الأخرى ثالثاً[141].

• نص مقتبس من سيناريو صوري/ أ.د.صلاح القصب/ سيناريوهات صورية عزلة في الكريستال، مجلة المسرح، السليمانية، 2010، ص86.

• نص للمخرج والمؤلف المسرحي د.جواد الاسدي، ليالي احمد بن ماجد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص30.

[141] - حبش- ضياء أنور/ المصدر السابق، ص51.

المصادر والمراجع

1- أبو هنطش – إبراهيم /مبادئ التصميم –دار البركة للنشر –عمان ط3-.2000
2- الاسدي- جواد / ليالي احمد بن ماجد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، .2003
3- القصب- صلاح/ سيناريوهات صورية عزلة في الكريستال، إصدارات مجلة المسرح، السليمانية، .2010
4- برخت –برتولت /نظرية المسرح الملحمي –تر:د. جميل نصيف – وزارة الثقافة والإعلام – دار الحرية للطباعة –بغداد ب.ت.
5- حبش –ضياء أنور/الدلالات البيئية في تصميم المسرحي العراقي –رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد -.1997
6-الحسيني –إياد حسين عبدا لله/التوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم- دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد .2002
7-سعد اردش /المخرج في المسرح المعاصر-عالم المعرفة –الكويت .1979
8-سكوت-روبرت جيلام/أسس التصميم-ترجمة د,عبد الباقي محمد إبراهيم ومحمد محمود يوسف-دار نهضة مصر القاهرة .1968
9-الشال- عبد الغني النبوي /مصطلحات في الفن والتربية الفنية –جامعة الملك سعود –الرياض1984 .
10-عبد الهادي –عدلي محمد/مبادئ التصميم واللون-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع-عمان-2006 .
11-الغول-علي فايز(الدكتور)/مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودور الجامعات في تنمية المهارات الفنية –جامعة اليرموك اربد 1996 .
12-الفيروزبادي/القاموس المحيط –دار الرسالة –بيروت ط3 1993 .
13-الكواز-عماد هادي عباس /جماليات المنظر في الفضاءات المفتوحة للعروض المسرحية العراقية –رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الفنون الجملية /جامعة بغداد2004 .
14-مصطفى احمد/الديكور فن صناعة –دار الفكر العربي- القاهرة ب ت .
15-المقدادي-فيصل / المحاكمة ومسرحيات أخرى- مكتب الفتح-بغداد2006 .
16-هوايتنغ-فرانك.م./ المدخل إلى الفنون المسرحية –تر: كامل يوسف وآخرون- القاهرة – دار المعرفة مطبعة الأهرام -1970.
17-يوسف –عقيل مهدي /أقنعة الحداثة-مكتب سناريا –بغداد 2006 .
18-يونس خنفر/أسس التصميم الداخلي وتنسيق الديكور-دار مجدلاوي للنشر- عمان .1983

العلوم النفسية والتربوية

الضغوط النفسية على الأم الحامل في منطقة رام الله - فلسطين

د. عمر الريماوي
كلية العلوم التربوية- دائرة علم النفس
جامعة القدس- فلسطين

rimawiomar@yahoo.com

الملخص
هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الضغوط النفسية على الأم الحامل في منطقة رام الله- فلسطين، استخدم الباحث إستبانة مكونة من (43) فقرة، بلغت عينة الدراسة (187) امرأة من مجتمع الدراسة.
أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا لبعض متغيرات الدراسة (المستوى التعليمي، صلة قرابة بالزوج). إلا أنها كشفت عن وجود فروق دالة إحصائية في المتغيرات (العمر عند الحمل الأول، المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول، عدد مرات الحمل ، السكن مع الزوج).
وفي ضوء النتائج تمت صياغة جملة من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تخفيف الضغوط النفسية.

الكلمات المفتاحية: الضغوط النفسية، الحمل.

Abstract

This study has aimed an investigation of psychological pressure on the pregnant mother in the area of Ramallah - Palestine, the researcher used a questionnaire consisting of (43) paragraph, study sample has covered (187) women from the population.

The results showed that there was no statistically significant differences for some variables of the study (educational level, family connection to the husband). However, it revealed the existence of significant differences to the variables (age at first pregnancy, the duration between marriage and the start of the first pregnancy, number of pregnancies, live with husband .(

As a conclusion of study, results has been formulated a set of recommendations that could contribute to minimize stress .

Key words: psychological pressure, pregnancy

المقدمة

يحتل موضوع الضغوط النفسية مكانة متميزة في تراث علم النفس, ويتضح ذلك من خلال تعدد الأبحاث سواء الخاصة بعلاقة أحداث الحياة الضاغطة بالأمراض البدنية أو تلك المتعلقة بالمتغيرات النفسية والتوافق والاضطرابات العقلية.

ونظرا لأهمية دور الأم في المجتمع، وضرورة العناية بالأم الحامل، ينظر الباحث إلى أهمية هذا الموضوع وهو (الضغوط النفسية على الأم الحامل) من أجل الاهتمام النفسي والاجتماعي بالأم الحامل؛ وذلك لتوفير كافة أسباب الراحة النفسية، الاجتماعية والصحية، لطمأنينة الأم طوال فترة الحمل، وما بعدها والمحافظة على صحتها، ومساعدتها على أن تضع وضعا "طبيعيا سهلا".

تعد الضغوط النفسية من أهم سمات العصر الراهن، الذي يشهد التطورات وتغيرات سريعة في جميع مجالات الحياة، وأصبحت الضغوط النفسية تشكل جزءا من حياة الإنسان نظرا لكثرة التحديات التي يواجهها في هذا العصر، وقد تعددت آراء الباحثين حول مفهوم الضغوط إلا أنها تجتمع حول ضرورة توفير مواقف ضاغطة تتبعها استجابة من الفرد لهذه المواقف.. فيرى لازاروس أن الإنسان عندما يدرك عدم قدرته علي التوازن بين متطلبات المواقف وقدرته علي الاستجابة لهذه المتطلبات في موقف ذي أهمية، فانه يشعر بهيمنة الضغوط عليه ولكن إذا استطاع الاستجابة لتلك المتطلبات فان الضغط يكون مقبولا (نشأت 1996، ص 362).

و يرى غولد و روث (Gold & Roth, 1994) أن الإنسان يشعر بالضغط النفسي عندما يواجه مشكلات معينة لفترة طويلة من الزمن، إذ إّنه لا يتلقى خلال هذه الفترة الدعم اللازم من المقربين؛ فيشعر بأّنه متورط ولا حل أمامه للتخلص من هذا الوضع.عندها يحدث الضغط النفسي كنتيجة أخيرة عندما لا يستطيع الفرد أن يتكيف مع الضغوط النفسية التي يدرك بأنها مهددة. وتترك الضغوط النفسية لدى الشخص آثارًا مهمة في مهنته ومستوى أدائه وفي جوانب شخصيته والجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية .كما تؤثر سلبًا في التكيف النفسي الأمر الذي يعد من أهم الآثار الناتجة عن الضغوط النفسية.. (الزيودي 2007، ص194)

إن معرفة حجم الضغوط النفسية على المرأة الحامل، ومعرفة العوامل التي تؤدي إلى هذه الضغوط، تمكن الباحثين من معرفة إمكانية التخفيف من

الضغوط الاجتماعية والجسمية. كما أن توفير الاستعداد لمواجهة أية مشكلات أو طوارئ على الأم الحامل ذو أهمية بالغة.

إن الصورة العامة للمرأة الحامل هي صورة جميلة وسعيدة؛ تمر فترة الحمل بدون أي مشاكل صحية ونفسية. هذه هي الصورة العامة كما يراها أو كما يتخيلها الناس بشكل عام! أو الصورة التي يخلقها المجتمع للمرأة الحامل! فهل هذا صحيح ؟

ورد في القرآن الكريم عن المرأة الحامل ما يلي يقول الله تعالى :_ "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا **حملته أمه كرها ووضعته كرها"** " سورة الأحقاف (الآية 15).

(**حملته أمه كرها"**) أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعته كرها") أي بمشقة أيضا من الطلق وشدته. (ابن كثير د.ت).

ويقول الله تعالى : " وَ وَصيْنَا الانسنَ بِوَلِدَيْهِ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْن** وَ **فِصلُهُ** فى **عَامَيْنِ**" سورة لقمان (الآية 14)

في قوله تعالى: " **حملته أمه وهنا على وهن** " تسجيل لحقيقة قاطعة وهي أن الأم تبقى واهنة ضعيفة متعبة- والوهن هو الضعف – طيلة مدة الحمل. ويبدأ وهنها منذ بداية الحمل؛ ويتمثل في أمراض " الوحم" و"التقيؤ" ويستمر ذلك حتى تضع حملها.. ويستمر إلى ما بعد الوضع . ولم تقيد الآية الوهن بصورة من الصور بل جعلته مطلقا عاما ليشمل كل صور الوهن وحالاته وآفاقه. فهو وهن في الجسم؛ ووهن في النفس؛ ووهن في الشعور؛ ووهن في القوة؛ ووهن في العمل والأداء؛ ووهن في الخلق والسلوك؛ ووهن في الصلات والتصرفات؛ ووهن في المشاعر والأحاسيس إلى غير ذلك. (الخالدي 1989 ص174).

قد ينعكس اتجاه المرأة الحامل نحو حملها على حالتها الانفعالية. ويلاحظ أن المرأة التي تكره أن تكون حاملا أو لا ترغب في الحمل قد تكون أكثر ميلا إلى الاضطراب الانفعالي.. وان الاتجاه السالب نحو الحمل يصاحبه عادة الغثيان والتقيؤ. هذا إلى جانب أن الانفعال والاضطراب وعدم النضج الانفعالي والصراع بين الزوجين وسوء التوافق بينهما يرتبط بعدم التوافق مع الحمل وظهور بعض الضغوط الاجتماعية الجسمية عند الأم. وربما يبدو ذلك بصورة واضحة في حالات التخلص من الجنين ولذلك من الضروري الحرص على حدوث التوافق النفسي الاجتماعي بالنسبة للحامل (زهران 1981_، ص89)

من جانب آخر بين كل من راش (Rache, 1997) وماهونى (1997, Mahoney) أن البحث والدراسة في مجال أحداث الحياة والضغوط النفسية

المرتبطة بها وآثارها على الإنسان ينبغي ألا تتوقف بل ويجب أن تستمر الدراسات العلمية والنظرية.
كما أن النتائج التي تخرج بها هذه الدراسة قد تساهم بشكل إجرائي في تطوير وإعداد الكثير من البرامج والعلاجات الخاصة بالتحصين ضد الضغوط والإقلال من حدتها وخطورتها فالتصدي لدراسة موضوع ضغوط أحداث الحياة الاجتماعية لا يقف فقط عند حد عرض المؤشرات الكمية والكيفية للدراسات، وإنما الاستفادة الإجرائية منها في تصميم وإعداد البرامج الإرشادية والعلاجية والتدريبية.

الدراسات السابقة:
دراسة (Homayoun et al, 2009) الموسومة ب " الشخصية والضغوط" وكان هدف الدراسة: معرفة العلاقة بين أبعاد الشخصية والضغوط. استخدم الباحث قائمة هون للشخصية كمقياس للضغوط النفسية في الدراسة على عينة تتكون من (200) طالب جامعي وأربع جامعات تراوحت أعمارهم بين (19-23) سنة. وكانت النتائج: وجود ارتباط إيجابي بين الانطواء والضغوط، وجود ارتباط سلبي بين الانبساط والاجتهاد، وجود الضغوط أكثر لدى الإناث منها إلى الذكور.
دراسة حسين (2000) بينت أن للضغوط النفسية علاقة وثيقة بالاضطرابات السيكوماتية مثل ضغط الدم والسكر وتصلب الشرايين وعسر التنفس والقولون العصبي والصداع؛ كما أنها تؤدي إلى ضعف التركيز والذاكرة وتضاؤل القدرة على حل المشكلات والإدراك الخاطئ للمواقف والأشخاص كما أنها تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية مثل الانسحاب الاجتماعي والشك والعجز عن التوافق الاجتماعي .

قام سبحي (1998) بدراسة هدفت إلى معرفة أكثر الضغوط شيوعاً لدى موظفي البنوك بمدينة مكة المكرمة وآثارها النفسية عليهم, هدفت للتعرف فيما إذا كانت هناك فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغيرات : السن والجنسية والحالة الاجتماعيةوالخبرة والمؤهل الدراسي.
دراسة الوابلي (1995) التي تناولت مستويات الاحتراق النفسي لدى المعلمين في مكة المكرمة باستخدام مقياس ماسلاش للاحتراق النفسي على عينة مكونة من (457) معلمًا ومعلمة فقد أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق بين الذكور والإناث تعزى لمتغيرات العمر والمؤهل التعليمي.
أما دراسة بنجامين (Benjamine, 1987) أن الضغط النفسي الشديد يرتبط بعدد من الاضطرابات والأمراض؛ مثل: الذبحة الصدرية والأمراض النفسية

وآلام الظهر وارتفاع ضغط الدم والأمراض النفسجسمية الأخرى.. وأن معظم الذين يتعرضون للضغط النفسي يواجهون ظروفاً صعبة ومؤلمة ويعانون من أمراض جسمية مختلفة وأن معامل الارتباط بين الضغط النفسي والمرض الجسمي كان مرتفعاً, كما أشارت النتائج أن هناك ارتباطاً عالياً وذا دلالة بين الضغط النفسي وبين القلق والاكتئاب من جهة والأعراض الجسمية من جهة أخرى.

وقد اتفق كل من هولاهان وموس (Holahan & Moos, 1985) مع كوبازا وبوكيت (Kobasa & Puccetti ,1983) في أن هناك متغيرات نفسية واجتماعية تساعد الفرد على الاحتفاظ بصحته الجسمية والنفسية رغم تعرضه للضغوط حيث أشارا إلى أن البيئة الأسرية التي تتسم بالدفء والحب والتماسك وحرية التعبير عن الرأي والمشاعروالدعم والتشجيع أثناء التعرض للضغوط تجعل الفرد أكثر مناعة واستقرارا..

وأظهر جانيلين وبلاني (Ganellen & Blaney, 1984) أن الصلابة النفسية تتفاعل مع المساندة الاجتماعية كي تخفف من حدة وقع الضغوط على الفرد؛ كما أن المساندة الاجتماعية تقوي المصادر النفسية وتزيد من شعور الفرد بالقيمة والأهمية ومن قدرته على التحدي مما يجعله أكثر نجاحا في مواجهة الضغوط كما أشارا إلى وجود ارتباط موجب دال بين إدراك الضغوط وبين الاكتئاب إلا أن هذه العلاقة تقل مع وجود الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية اللذان يخففان من وقع الضغوط.

أكثر صلابة وفاعلية وقدرة على المواجهة وأقل اكتئابا كما أشارا إلى أن هناك فروقا بين الذكور والإناث في متغيرات الشخصية والمساندة الاجتماعية فالرجال أكثر ثقة بالنفس وأكثر صلابة من النساء، بينما النساء أكثر سعيا للمساندة الاجتماعية في مواجهة الضغوط.

ويؤكد بيك وآخرون (Beck & Others، 1983) من خلال دراستهم أن تأثيرات ضغوط الحياة على الأفراد يعود إلى فقدان المساندة الاجتماعية وأن أحداث الحياة الضاغطة ترتبط ايجابيا ببعض جوانب الشخصية مثل سمة القلق والاكتئاب. والأفراد يختلفون في سرعة تأثرهم بالضغوط الحياتية تبعا لحالتهم النفسية, حيث إن الحالة النفسية للفرد تتوسط العلاقة بين أحداث الحياة الضاغطة والاضطرابات النفسية والجسمية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أنها تعود إلى قلة الدراسات المهتمة والمختصة في هذا المجال وقلة المراكز والمؤسسات في القرى والمدن الفلسطينية المهتمة بالمرأة الحامل من الناحية النفسية . وتحددت مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال ما هي الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- التعرف إلى حجم الضغوط النفسية على الأم الحامل.
- التعرف إلى الفروق في الضغوط النفسية على الأم الحامل تبعاً لمتغيرات الدراسة.
- التوصل الى صياغة التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تساهم في المساعدة على تخفيف الضغوط النفسية على الأم الحامل.
- محاولة الإجابة على السؤال الدراسة 1- ما مدى درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

فرضيات الدراسة:

1) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول.
2) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول.
3) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل.
4) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي.
5) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى صلة قرابة بالزوج.
6) لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أنها تركز على دراسة الضغوط النفسية على الأم الحامل, وهي الفترة التي تعيشها كجزء غير قليل في حياتها. كما أنه لا يوجد دراسات كثيرة في هذا المجال وخاصة المحلية التي تتناول هذا الموضوع من أجل رفع الوعي في هذا المجال. والاستعداد لمواجهة أي مشكلات أو طوارئ على الأم الحامل.

الأداة:

بعد اطلاع الباحث على الأدبيات المتصلة بهذا الموضوع وكذلك استشارة عدد من المختصين في هذا المجال في إطارعلم النفس وأطباء الصحة الإنجابية. وكذلك قيام الباحث بإلقاء مجموعة من المحاضرات في هذا المجال. تم اعداد استبيان خاص لهذا الغرض بلغ عدد فقراته بصيغتها الأولية (46) فقرة . قدم إلى مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحية فقراته للقياس فتم حذف ثلاث فقرات منها وبذلك أصبح عدد فقرات الاستبيان بصيغته النهائية (43) وبعد أن تم التأكد من ذلك طبق الاستبيان على عينة الدراسة الحالية.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: العام 2009-2010م.
الحدود المكانية: منطقة رام الله ـ فلسطين.
الحدود البشرية: الأم الحامل (الأم التي أنجبت طفلا أو أكثر).

تعريف المصطلحات:

الضغوط النفسية: حالة نفسية تنعكس في ردود الفعل الداخلية الجسمية والنفسية والسلوكية الناشئة عن التهديد الذي يدركه الفرد عندما يتعرض للمواقف أو الأحداث الضاغطة في البيئة المحيطة السمادوني (1993).
الضغوط النفسية: عبارة عن حالة من التوتر الناشئة عن المتطلبات أو المتغيرات التي تستلزم نوعاً من إعادة التوافق عند الفرد وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية نفسية السيد عبيد (2008)

ويعرف اثكين وسكولش (Aithken & Schloss, 1994) الضغط النفسي بأنه حالة نفسية وجسدية ناتجة عن مواجهة الفرد لحوادث مزعجة تودي إلى شعوره بالتهديد.

الحمل: هو عملية حمل أنثى - واحدا أو أكثر من الأجنة في جسدها. يدوم الحمل عند البشر نحو 9 أشهر بين وقت آخر دورة طمث والولادة (38 أسبوعا بعد الإخصاب). يطلق لقب جنين علي ما تحمله المرأة من وقت الإخصاب حتى الولادة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة, اتبع الباحث المنهج الوصفي وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة وجمع معلومات عنها.. فقد تم استخدام هذا المنهج في صورته لأنه يلاءم طبيعة وأهداف الدراسة معتمداً على أسلوب الدراسة الميدانية في جمع المعلومات, ليفي بأغراضها ويحقق أهدافها واختبار صحة فرضياتها وتفسير نتائجها.

مجتمع الدراسة وعينتها

تكون المجتمع الأصلي للدراسة من جميع النساء اللاتي مررن في فترة الحمل في منطقة رام الله – فلسطين حيث تم أخذ عينة ميسرة تعتمد هذه العينة على مبدأ ما هو متاح بحيث يختار الباحث العينة حيث بلغت (187) امرأة من مجتمع الدراسة، والجدول رقم (1) يبين خصائص العينة.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة.

المتغير	المستوى	العدد	النسبة المئوية
العمر عند الحمل الأول	من 16-20 سنة	104	55.6
	21-23 سنة	55	29.4
	24-28 سنة	25	13.4
	29- 32 سنة	3	1.6
	من 33 سنة فما فوق	0	0
المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول	من 1- 3 أشهر	78	41.7
	4-12 شهر	59	31.6
	اكثرمن1 – 2سنة	41	21.9
	أكثر من2-3سنوات	7	3.7
	أكثر من 3 إلى 5سنوات	2	1.1
عدد مرات الحمل	مرة واحدة	18	9.6
	مرتان	43	23.0
	ثلاث مرات فما فوق	126	67.4
المستوى التعليمي	اقل من توجيهي	79	42.2
	توجيهي	42	22.5
	أعلى من توجيهي	66	35.3
صلة قرابة	يوجد قرابة	71	38.0

بالزوج	لا توجد قرابة	116	62.0
السكن مع الزوج	منفصل, وقريبة من عائلة زوجي	92	49.2
	مع عائلة زوجي	37	19.8
	منفصل, وبعيدة عن أهل زوجي	58	31.0

أداة الدراسة

بعد التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة وتحديد عينة الدراسة؛ قام الباحث بتطبيق الأداة على أفراد عينة الدراسة وبعد أن اكتملت عملية تجميع الاستبانات من أفراد العينة بعد إجابتهم عليها بطريقة صحيحة تبين للباحث أن عدد الاستبانات المستردة الصالحة والتي خضعت للتحليل الإحصائي: (187) استبانه فقط .

صدق الأداة

تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة والذين ابدوا بعض الملاحظات حولها, وعليها تم إخراج الاستبانة بشكلها الحالي بصورتها النهائية ومن ناحية أخرى تم التحقق من صدق الأداة أيضاً بحساب معامل الارتباط بيرسون لفقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للأداة واتضح وجود دلالة إحصائية في معظم فقرات الاستبانة ويدل على أن هناك التصاق داخلي بين الفقرات.

ثبات الدراسة

وللتحقق من ثبات الاستبانة قام الباحث بحساب الدرجة الكلية لمعامل الثبات, لمقياس الدراسة حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا وكانت الدرجة الكلية (**0.83**) وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة.

المعالجة الإحصائية

بعد جمع الاستبانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل تم ترميزها (إعطائها أرقاما معينة) وذلك تمهيدا لإدخال بياناتها إلى جهاز الحاسوب الآلي لإجراء المعالجات الإحصائية المناسبة وتحليل البيانات وفقا لأسئلة الدراسة وبياناتها, تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة واختبار (ت) (t-test), واختبار التباين الأحادي (One Way ANOVA)ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) وذلك باستخدام الرزم الإحصائية (Statistical Package For Social Sciences) (SPSS).

عرض نتائج الدراسة:

توصل إليها الباحث عن موضوع الدراسة وهو درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل وبيان أثر كل من المتغيرات من خلال استجابة أفراد العينة على أداة الدراسة, وتحليل البيانات الإحصائية التي تم الحصول عليها. وحتى يتم تحديد درجة من خلال متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة تم اعتماد الدرجات التالية:

الدرجات التي تم استخدمها لتحديد مدى متوسطها الحسابي استجابة أفراد عينة الدراسة

الدرجة	**مدى متوسطها الحسابي**
منخفضة	2.49 فأقل
متوسطة	3.49-2.5
عالية	3.5 فأعلى

عرض ومناقشة النتائج:

عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة:

ما مدى شدة الضغوط النفسية على الأم الحامل؟

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات الاستبانة التي تعبر عن الضغوط النفسية على الأم الحامل.

وتبين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (3.45) وانحراف معياري (0.45) وهذا يدل على أن درجة الضغوط النفسية على الأم الحامل جاءت بدرجة متوسطة كما وتشير النتائج أن فقرة " كان زوجي سعيد في استقبال خبر حملي " على أعلى متوسط حسابي (4.59), يليها فقرة " كنت فرحة في استقبال خبر الحملي " بمتوسط حسابي (4.42) بينما حصلت فقرة " تدخل أهل زوجي بي كان سلبيا أثناء حملي " على أقل متوسط حسابي (2.18). يعزو الباحث بان رغبة الحمل كانت أعلى عند الزوج من الأم الحامل نفسها، لذلك كانت الفرحة اقل عندها. كما أن تدخل أهل الزوج بحمل الأم الحامل يشكل ضغطا نفسيا عليها كما أوضحت النتائج.

مناقشة الفرضيات:

نتائج الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول.

لفحص الفرضية الصفرية الأولى تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (2).

جدول (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

العمر عند الحمل الأول	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
من 16-20 سنة	104	3.36	0.43
21-23 سنة	55	3.64	0.45
24-28 سنة	25	3.35	0.40
29- 32 سنة	3	3.65	0.41

يلاحظ من الجدول رقم (2) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير

العمر عند الحمل الأول, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (3).

جدول (3)
نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "F" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3.12	3	1.04	5.47	0.001
داخل المجموعات	34.79	183	0.19		
المجموع	37.92	186			

يلاحظ أن قيمة ف هي (5.47) ومستوى الدلالة هي (0.001), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير العمر عند الحمل الأول ولصالح من 29-32 سنة وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الأولى.
يعزو الباحث من أنه على الرغم من التقدم في الطب قد قلل من خطورة عمليتي الحمل والوضع بالنسبة للأم وبالنسبة للجنين بصفة عامة، إلا أن هناك بعض الدراسات ما زالت تؤكد بأنه كلما ازداد عمر الأم أثناء الحمل ازدادت احتمالات حدوث مشكلات بالنسبة للأم والجنين.
وكما يتضح من نتائج الجدول (3) على وجود فروق دالة وبهذا تتفق مع دراسة سبحي (1998) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير السن.
ولم تتفق الدراسة مع دراسة الوابلي (1995) التي أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق تعزى لمتغير العمر.

نتائج الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول.

لفحص الفرضية الصفرية الثانية تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (4).
جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول	**العدد**	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**
من 1- 3 أشهر	78	3.35	0.41
4-12 شهر	59	3.47	0.50
اكثرمن1 – 2سنة	41	3.60	0.38
أكثر من2-3سنوات	7	3.32	0.46
أكثر من 3 إلى 5سنوات	2	3.62	0.78

يلاحظ من الجدول رقم (4) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (5).

جدول (5)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

مصدر التباين	**مجموع المربعات**	**درجات الحرية**	**متوسط المربعات**	**قيمة "F" المحسوبة**	**مستوى الدلالة**
بين المجموعات	1.94	4	0.48	2.46	0.04
داخل المجموعات	35.97	182	0.19		
المجموع	37.92	186			

يلاحظ أن قيمة ف هي (2.46) ومستوى الدلالة هي (0.04), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المدة ما بين الزواج وبدء الحمل الأول ولصالح من3-5 سنوات وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الثانية.

نتائج الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل.

لفحص الفرضية الصفرية الثالثة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانة درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (6).

جدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

عدد مرات الحمل	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مرة واحدة	18	3.50	0.37
مرتان	43	3.65	0.47
ثلاث مرات فما فوق	126	3.37	0.43

يلاحظ من الجدول رقم (6) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (7).

جدول (7)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "F" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.58	2	1.29	6.71	0.002
داخل المجموعات	35.34	184	0.19		
المجموع	37.92	186			

يلاحظ أن قيمة ف هي (6.71) ومستوى الدلالة هي (0.00), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير عدد مرات الحمل ولصالح (مرتان) وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية الثالثة.
يستنتج الباحث أن عدد مرات الحمل يتأثر بالحالة الانفعالية للام أثناء الحمل باتجاهها نحو هذا الحمل، فالأم التي تشعر بالضيق من كونها حامل، تكون عرضة للاضطرابات النفسية بسبب انفعالاتها المستمرة وتفكيرها الدائم. وان نسبة الأمهات يشعرن بالسعادة في حملهن الأول اكبر من نسبة السعيدات في الحمل الثاني. وذلك لان الأم تلقى رعاية خلال الحمل الأول من جانب الزوج ومن جانب المحيطين بها، ولكنها خلال مرات الحمل التالية لا تلقى مثل هذه الرعاية، مما يجعلها تشعر بالاستياء من الحمل وقد لا تقبله ومن ثم فهي في الحمل الأول تكون اقل اضطرابا.

نتائج الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي.
لفحص الفرضية الصفرية الخامسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (8).

جدول (8)
المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

المستوى التعليمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
اقل من توجيهي	79	3.50	0.44
توجيهي	42	3.31	0.46
أعلى من توجيهي	66	3.46	0.44

يلاحظ من الجدول رقم (8) عدم وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي, ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (9).

جدول (9)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "F" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1.01	2	0.50	2.52	0.08
داخل المجموعات	36.91	184	0.20		
المجموع	37.92	186			

يلاحظ أن قيمة ف هي (2.52) ومستوى الدلالة هي (0.08), وهي اكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير المستوى التعليمي, وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية الرابعة.

اتفقت الدراسة مع دراسة الوابلي (1995) التي أشارت النتائج إلى أنه ليست هناك فروق بين الذكور والإناث تعزى لمتغير المؤهل التعليمي.

ولم تتفق مع دراسة سبحي (1998) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير المؤهل الدراسي.

نتائج الفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى صلة قرابة بالزوج.

لفحص الفرضية الصفرية الخامسة تم حساب اختبار "ت" لاستجابة أفراد عينة الدراسة على فقرات استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير صلة القرابة بالزوج. وهي كما في الجدول رقم (10).

جدول (10)
نتائج اختبار "ت" للعينات المستقلة لاستجابة أفراد العينة في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

صلة قرابة بالزوج	**العدد**	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**قيمة"t"**	**مستوى الدلالة**
يوجد	71	3.43	0.40	0.40	**0.68**
لا يوجد	116	3.46	0.47		

يتبين من خلال الجدول السابق أن قيمة مستوى الدلالة (**0.68**) وهي اكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$), أي أنه لا توجد فروق درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير صلة القرابة بالزوج, وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية الخامسة.

نتائج الفرضية السادسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج.

لفحص الفرضية الصفرية السادسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل. وهي كما في الجدول رقم (11).

جدول (11)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

السكن مع الزوج	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
منفصل, وقريبة من عائلة زوجي	92	3.32	0.39
مع عائلة زوجي	37	3.56	0.48
منفصل, وبعيدة عن أهل زوجي	58	3.31	0.46

يلاحظ من الجدول رقم (11) وجود فروق ظاهره في المتوسطات الحسابية في استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (12).

جدول (12)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة على استبانه درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "F" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.80	2	1.40	7.34	0.001
داخل المجموعات	35.12	184	0.19		
المجموع	37.92	186			

يلاحظ أن قيمة ف هي (7.34) ومستوى الدلالة هي (0.001), وهي اقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أنه توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الضغوط النفسية الاجتماعية عند الأم الحامل تعزى لمتغير السكن مع الزوج, ولصالح مع عائلة الزوج وبذلك يتم رفض الفرضية الصفرية السادسة.

ويتضح من نتائج الدراسة وجود فروق دالة ولهذا تتفق الدراسة مع كل من دراسات جانيلين وبلاني (Ganellen & Blaney,1984) إلى وجود

ارتباط موجب دال بين إدراك الضغوط وبين الاكتئاب إلا أن هذه العلاقة تقل مع وجود الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية اللذان يخففان من وقع الضغوط.

ودراسة كل من هولاهان وموس (Holahan & Moos, ,1985) مع كوبازا وبوكيت (Kobasa & Puccetti ,1983) التي أشارا إلى أن هناك فروقا بين الذكور والإناث في متغيرات الشخصية والمساندة الاجتماعية فالرجال أكثر ثقة بالنفس وأكثر صلابة من النساء,بينما النساء أكثر سعيا للمساندة الاجتماعية في مواجهة الضغوط.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفر عنها البحث يوصي بما يلي:

1- ضرورة المساندة الاجتماعية للأم الحامل.
2- توفير المراكز والمؤسسات المهتمة بالرعاية صحية والنفسية للمرأة الحامل.
3- ضرورة التخطيط والاستعداد الصحي والمادي والمعنوي والنفسي لاستقبال المولود الجديد وخاصة من قبل الأم ومن ثم من حولها.
4- ضرورة رغبة الأم بالحمل وليس بالإكراه أو رغبة أحد من أفراد الأسرة بذالك.
5- إجراء المزيد من البحوث حول الضغوط النفسية وعلاقتها بالأم الحامل.

المراجع:

ابن كثير, إسماعيل (د,ت). **تفسير القران العظيم**, دار الكتب المصرية، الجزء الرابع, ص157.
حسين, محمود (2000). **الضغوط النفسية وآثارها الفسيولوجية والنفسية والعقلية والسلوكية**, ورقة عمل, جامعة البترا, عمان.
الخالدي, صلاح عبد الفتاح (1989). **مع قصص السابقين في القران**، دار القلم، دمشق: الطبعة الأولى , ص 174.
زهران, حامد عبد السلام (1981). **علم النفس النمو "الطفولة والمراهقة**, دار العودة، بيروت: ط5, ص71-98.
الزيودي, محمد (2007). مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات. **مجلة جامعة دمشق**، المجلد، 23 العدد الثاني ص194.
سبحي, ممدوع محمد درويش (1998). **ضغوط العمل وأثارها النفسية لدى موظفي البنوك بمكة المكرمة**. رسالة ماجستير , مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
السمادوني, شوقية (1993). **الضغوط النفسية لدى معلمي ومعلمات التربية الخاصة وعلاقاتها بتقدير الذات**. رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية ببنها, جامعة الزقازق.
السيد عبيد، ماجد بهاء الدين (2008). **الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية**. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
نشأت, شرف الدين (1996). تطبيق نظام الثانوية العامة. **مجلة التربية**, جامعة الأزهر عدد47.
الوابلي, سليمان (1995). **الاحتراق النفسي لدى معلمي التعليم العام بمدينة مكة المكرمة في ضوء مقياس ماسلاش المعرب**. مركز البحوث التربويي. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

Aitken C & Schloss J.(1994).**Occupational stress and burnout amongst staff working with people with an intellectual disability**. *Behavioral Interventions*. **9**, 225-234.
Beck, A., Rush, A., Shaw, B. & Emery, G. (1981). **Cognitive Therapy of Depression.** New York. Allyn and Bacon.
Benjamine, L. (1987). "**Understanding and Managing Stress in the Academic World**", Eric Clearinghouse on Counseling and Personal Services. ,Washington, Michigan, pp.1 – 3..

Ganellen, R. & Blaney, P. (1984). Hardiness and social support as moderators of the effect of life stress. **Journal of Personality and Social Psychology, 47**(1), 156-163.

Gold, Y & Roth, R. (1994). *Teachers managing stress and preventing burnout: the professional health solution,* 2nd edition. The Falmer Press. London.

Holahan, C. & Moos, R. (1985) Life and health: Personality, coping, and family support in stress resistance. **Journal of Personality and Social Psychology, 49**(3), 739 – 747.

Homayoun,A. Aghajanipou.G.A.& Nikpou,A(2009): ***Personality and stress: Personality factors that affect on emerge of stress***, *uropean Psychiatry*,vol 24,pp203-248.

Kobasa, S. & Puccetti, M. (1983). Personality and social resources in stress resistance. **Journal of Personality and Social Psychology, 54(**4), 839 – 850.

Mahoney, N. (1997). Cognitive therapy and research: A question of questions. **Cognitive Therapy and Research,40** (1) 5 -17.

Rash, R. (1997). The Path Way Between Subject's Recent Life Changes and Their Near - Future Illness Reports**: Representative Results and Musicological Issues**. New York: Wiley.

إمكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين

الدكتور نذير سيحان محمد أبوانعير

استاذ مساعد /قسم العلوم الأساسية

جامعة البلقاء التطبيقية /كلية الأميرة رحمة الجامعية

natheer.sihan@gmail.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ، وقد تكوَّن مجتمع الدراسة من جميع مدراء التربية في وزارة التربية والتعليم ، والبالغ عددهم (37) مديرا للتربية، في حين تكونت عينة الدراسة من (18) مديرا للتربية ، تم اختيارهم بالطريقة القصدية ، وقد تم تطوير استبانه مكونة من 20 فقرة ، واستخدمت الأساليب الإحصائية المناسبة لتحليل المعلومات . وأظهرت نتائج الدراسة أن امكانية تطبيق المبادئ التربوية للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وأظهرت نتائج الدراسة أن امكانية تطبيق المبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وأشارت النتائج أيضا أن امكانية تطبيق مبادئ الرقابة للمدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن جاءت بدرجة تقدير متدنية ، وفي ضوء نتائج الدراسة قدم الباحث مجموعة من التوصيات التي من المؤمل أن تفيد واضعي ومخططي السياسة التربوية في الأردن ، من حيث عقد دورات للمعلمين لتعريفهم بالمدارس المستقله وماهيتها وآلياتها، وضرورة اجراء المزيد من الدراسات في موضوع المدارس المستقلة.

الكلمات المفتاحية : (الخبراء التربويين، المدارس المستقلة) .

The ability in applying the independent school principles from the educational experts point of view in Jordan

Dr: Natheer Sihan Abu- Nair
Assistant Professor / princess Rahma College
Dept. of Basic Sciences
Al Balqa Applied University

Abstract

The study has aimed to acknowledge the ability in applying the independent schools from the educational experts point of view in Jordan. The study Society was formed from all the educational principles in Ministry of Education, their No. have reached (37) principles for education. Where as the study sample was formed of (18) principles for education that were chosen by the Willful method. A questionnaire of (20)paragraphs was formed , and the SPSS (statistical analysis) was used for the analyses of the information.

The study results have revealed that the ability to apply the educational principles for independent schools from the educational experts point of view in Jordan have low estimated degree. Thus the study results have revealed that the ability in applying the economical principles for the independent schools from the educational experts point of view in Jordan has low degrees. Thus the results have also revealed that the ability in applying the supervision principles for the independent schools from the educational experts point of view in Jordan has low degrees two. Concerning the study results, the researcher

had submitted several recommendations that may help the educational political planners in Jordan, from making the courses for teachers to acknowledge them of the independent schools, their identifications and methods . In addition to the ability in making more studies concerning the independent schools .
The keywords: (the educational experts, independent schools)

خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة:

للتربيـة أثـر كبيـر فـي تطـور الفكـر وتقـدم المجتمـع ، ذلـك أن النظـام التربوي نظام مفتوح على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصـادية ، لـذا فان من الضروري تطوير وتجديد النظام التربوي ليواجه مـا أنتجـه التطـور والتقدم من الانفجار المعرفي والتطـور التكنولـوجي وسـهولـة وتـوفر وسـائل الاتصـال الحديثـة ، حيـث أصـبحت التغيـرات المتسـارعة سـمة مهمـة مـن سمات هـذا العصـر ، ونتيجـة لهـذه التغيـرات ظهـرت الحاجـة الماسَـة الـى التطـوير والاصـلاح التربـوي المبنـي علـى التخطـيط الاسـتراتيجي السـليم للواقع التعليمي وللتحديات المختلفة التي تجابهـه ، واصبح لزامـا علـى كافـة المؤسسات المختلفة أن تتوافق أوضـاعها مـع الحيـاة العصـرية التـي تتطلبهـا تكنولوجيا المعلومات .

وتلعب المدرسة دورا هاما في تربية النشئ واعداده وتنشئته وتعليمـه ليتكيف مع المجتمع ، وكذلك في تجديده وتطويره وتغيره وبنائـه والمحافظـة علـى التـراث وتـوفير فـرص الابتكـار والابـداع للطلبـة ، والتفكيـر العلمـي وتنمية شخصيته واعداده للحياة [ناصر ،2006 ص201].

ويقـول جـون ديـوي فـي المدرسـة : بامكـان المدرسـة أن تغيـر نظـام المجتمع الى حد معين ، وهو عمل نعجز عنـه سـائر المؤسسـات الاجتماعيـة [ديوي ،1948 ص4] . ومن ذلك تعرف المدرسة بأنها تلك المؤسسـة التـي أنشأها المجتمع لتتولى تربية نشئه الطالع ، وهي تلك المؤسسـة القيمـه علـى الحضارة الانسانية [ناصر ،2006 ص201].

وظهر مفهوم المدرسة المستقله كأحد أهم الأسس في تطوير واصـلاح النظام التربوي والذي يهدف الى ايجاد مجتمع متكامل متجانس معتمدا علـى

القـدرات التكنولوجيــة الحديثــة وخـدمات الاتصـــال ، وتعـرف المـــدارس المستقله علـى انهـا مـدارس ممولـة حكوميـا ولهـا الحريـة فـي تنفيذ رؤيتهـا ورسالتها وأهدافها التعليمية الخاصة بها مع الالتزام بالشروط المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الاعلى للتعليم [المجلس الأعلـى للتعليم ، 2006 ص27].

وتمتـاز المـدارس المستقلة مـن حيـث الأسـس التربويـة الموضـوعة لاعـداد الطلبـة وكيفيـة ترغيبهم للدراسـة وكذلك طريقـة غـرس المهـارات التعليميـة والحياتيـة لـديهم فـي مختلـف المجـالات التعليميـة والتـي تصـقل مـواهبهم وتعمـل علـى تشـجيع الابتكـار وتحسـين أداء الطالـب مـن خـلال استقلالية المدرسة. وتهتم هذه المدارس بقدرات الطـلاب فـي التفكير النقدي ، واتخاذ القرار ، وحل المشكلات ، والعمل الجماعي ، والابداع فـي التعليم ، والقـدرة علـى اسـتخدام الوسـائل التكنولوجيـة والتواصـل الفعـال [سـلامه ،2008، ص2] .

وتقوم المدارس المستقلة علـى تقديم تعليم نـوعي يركـز علـى تـدريس المواد العلمية وذلك انطلاقا من الرغبة الطموحة والإرادة القوية في تطـوير التعليم أولا ولتزويد القطاعـات الاقتصـادية حاجتهـا مـن العناصـر المؤهلـة لميدان العمل ثانيا وهذا يعني تحقيق مبادرة تطوير التعليم العـام تحـت شـعار (تعليم لمرحلة جديدة) لذا أضـافت تلك المـدارس إلـى قائمـة مقرراتهـا العلـوم الإنسـانية إضـافة إلـى مـا تطرحـه مـن مقـررات علميـة وذلـك لتأهيل الطلبـة لسوق العمل بكافة قطاعاتـه وتخصصـاته [سـلامه ،2008 ،ص2]

ويعطى مدير المدرسـة المستقله كامـل الصـلاحيات فـي ادارة المدرسـة المستقلة ، تبـدأ مـن وضـع خطـة شـاملة لمـدة عـام دراسـي كامـل ، مـرورا بتعيينات الموظفين والمعلمين والفنيين ، ووضـع المنـاهج التعليميـة الدراسية والاشراف على سير العملية التعليمية التعلميـة داخـل المدرسـة بوجـود هيئـة عليـا للمدرسـة المسـتقله وجهـة للمراقبـة والاستشـارة . ويشـترط فـي مـدير المدرسة المستقله أن يكون لديه مؤهل علمي عالي ومتفرغ لادارة المدرسـة ويقدم خطة متكاملة لعام دراسي على الاقل، للجهة الحكومية المسؤولة عن هـذه المؤسسـات ، والتـي بـدورها تـوفر لـه مدرسـة حديثـة المبـاني وتمنحـه ميزانية مالية مقابل كل طالب في المدرسة [مشعل، 2008 ،ص 31].

ونلاحظ أنه في المدارس المستقله لابد مـن وجـود هيئـة تعليم مشـرفة على تلك المدارس وتقدم الخدمات لهـا ، وتنصب وظيفتهـا فـي تطـوير معـايير المناهج في جميع المواد الدراسية للارتقاء بمستوى الطلبة ، وتـوفير فـرص التطـوير المهنـي لتمكين الهيئـات الاداريـة والتدريسية مـن مواكبـة التقنيـات

الادارية والتعليمية ، وضمان المسؤولية المالية للمدارس المستقله عبر نظام الرقابة المالية، وهذا مايطبق الآن في دولة قطر بوجود المجلس الاعلى للتعليم في قطر ، كمشرفا على هذه المدارس المستقله [مشعل ، 2008، ص32].

تختلف المدارس المستقلة عن مدارس وزارة التربية والتعليم في الأسس التربوية الموضوعة لاعداد الطلبة وكيفية ترغيبهم في الدراسة وطريقة غرس المهارات التعليمية والحياتية والتي تصقل مواهبهم ليواكبوا تطور التكنولوجيا ، وتعمل على تشجيع الابتكار وتحسين أداء الطالب من خلال استقلالية المدرسة ، كما وتنصب اهتمامات هذه المدارس على قدرات الطلاب في التفكير النقدي واتخاذ القرار وحل المشكلات والعمل الجماعي والابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال [مشعل ،2008، ص34].

حيث تتميز المدارس المستقلة عن غيرها من مدارس وزارة التربية والتعليم بعدد من السمات و الخصائص ، والتي يمكن أن نجملها بالآتية : [مشعل ، ،2008 ،ص38] .

- الأستقلالية وتعمل المدرسة المستقله بصورة ذاتية مع مراعاة الشروط المنصوص عليها في العقد محدد المدة.

- المحاسبية وتعد المدارس المستقلة مسؤولة أمام الحكومة ، وهي خاضعة للمساءلة من خلال عمليات الرقابة وعمليات تقييم الطلبة وبوجود مجلس أمناء وملاحظات اولياء الأمور .

- التنوع حيث يتوفر عنصر الاختيار وتتمتع كل مدرسة مستقله بحرية في تحديد الفلسفة التعليمية والخطة العملية الخاصة بها .

- حرية الاختيار ويتمتع أولياء الأمور بحرية اختيار المدرسة الملائمة لاحتياجات أبنائهم .

وانتشرت المدارس المستقله في بدايات هذا القرن بشكل كبير في الولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا ودول اوروبا ،ذلك لما تحظى به من خاصية التميز العالمي في التعليم ، وتعد هذه المدارس تجربة جديدة في منظومة التعليم العربي ، وأخذت دولة قطر بهذه التجربة لتتميز في مستوى تعليمها ، وظهرت رؤى النجاح في التجربة القطرية حيث بلغ عدد المدارس المستقله فيها مايقارب 70 مدرسة ،يدرس فيها أكثر من نصف

طلبة قطر في مختلف مراحل التعليم ،وتلتزم بالمعايير التي يضعها المجلس الاعلى للتعليم في قطر ، والتي تقع تحت مسؤولية مجالس الأمناء لتحقق مبادئ الاستقلالية والمحاسبية والمشاركة المجتمعية، وتم ايجاد مكتب معايير المناهج بوصفه مسئول عن وضع معايير مناهج لأربع مواد: اللغة العربية واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والعلوم، ويتم تطبيق المعايير الدولية عليها ، كما يكون هنالك تقويم تربوي شامل لهذه المواد الأربع فقط وذلك لأن كفاءة الطلبة في هذه المواد تعتبر ضرورية للطالب القطري للمنافسة ومواكبة متطلبات هذا العصر، فاللغة العربية واللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم تعد من المواد الأساسية، حيث إن نجاح الطالب فيها يكون مؤشراً لنجاحه في باقي المواد، وتدرس هذه المواد فى كل دول العالم لكافة الطلبة في جميع المراحل حتى التخرج، كما سيتم تدريس مواد أخرى والتي تختلف من مدرسة إلى أخرى [المجلس الأعلى للتعليم ، 2006 ،ص26].

وبالنظر الى مدارسنا وما تحتاجه في مواجهة المشكلات الحقيقية المؤثرة في دورها وفي أداء معلميها للواجبات والمسؤوليات حتى تكون مدارس فاعلة قادرة على إنتاج جيل مرتبط بالإبداع والتميز ومحصن بالمعرفة ومبادئها ، جاءت هذه الدراسة للكشف عن امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن .

أهداف الدراسة وأسئلتها :

تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم المدارس المستقله امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال المحوري التالي :

ما امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الدور الذي تلعبه المدارس المستقله في عملية الارتقاء بالمجتمع والنهوض به، وجاءت الأهمية كذلك في محاولة التعرف على اهتمام الخبراء التربويين في الأردن بالمدارس المستقله ، وكذلك تنبع أهميتها من أهمية موضوع المدارس المستقلة وحداثة وجودها في دول العالم ، وقلة الأبحاث والدراسات في هذا الموضوع ، ومن المؤمل أن يستفيد من نتائج البحث الحالي القائمين على التطوير الاداري

بالمعلومات الجديدة والدقيقة من خلال معرفة اتجاهات الخبراء التربويين نحو مبادئ المدارس المستقلة ، ولعل هذه الدراسة ستكون الدراسة الاولى في الأردن التي تتناول موضوع امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين.

مصطلحات الدراسة :

لتحديد الإطار المفاهيمي للدراسة ، تمت مراجعة الأدب التربوي المتعلق بالموضوع . وقد تمَّ تحديد المصطلحات والمفاهيم الأساسية المتعلقة بهذه الدراسة على النحو التالي :

المدارس المستقلة: وهي مدارس ممولة حكوميا ولها الحرية في تنفيذ رؤيتها ورسالتها واهدافها التعليمية الخاصة بها الالتزام بالشروط المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الأعلى للتعليم [المجلس الأعلى للتعليم ، 2006 ،ص26].

الخبراء التربويين: ويقصد بهم في هذه الدراسة القيادات العليا في وزارة التربية والتعليم وهم مدراء التربية من ذوي الخبرة والاختصاص.

الدراسات السابقة:

أجرى مشعل (2008)دراسة هدفت الى الكشف عن اتجاهات مديري لمدارس ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر ، وتكونت عينة الدراسة من (133) فردا منهم (46) مديرا ومديرة و(87) وكيلا من العاملين في المدارس المستقلة في دولة قطر للعام الدراسي 2008/2007 ، ويمثلون مانسبته (74%) من مجتمع الدراسة الأصلي ، وتم اختيار العينة بالطريقة العشوائية .حيث بنيت اداة الدراسة من خلال الاطلاع على الأدب النظري والدراسات ذات الصلة ،وجرى التحقق من صدقها وثباتها ، وتم تطبيق أداة الدراسة على افراد العينة وتم اجراء التحليل الاحصائي ، وقد توصلت الدراسة الى النتائج التالية : ان مستوى اتجاهات مديري ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر من وجهة نظرهم كان متوسطا ، وكان مستوى اتجاهات مديرات المدارس ووكيلاتهن نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر من وجهة نظرهم كان متوسطا ، وان هنالك فروقا ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة في اتجاهات المديرين والمديرات ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة حسب متغير المرحلة الدراسية ، في كل من مجالي : ضغوط

العمل ، والرضا الوظيفي ، والمجموع الكلي لصالح المرحلة الثانوية، ولم تظهر الدراسة وجود فروقا ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة في اتجاهات المديرين والمديرات ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقله حسب متغير الوظيفة لكافة المجالات والمجموع الكلي.

وأجرى كل من فوربيسا و وينيرب (2008) Forbesa & Weinerb دراسة بعنوان : قوى المدارس المستقلة الاسكتلندية ، خصائصها واهدافها ، وقدمت هذه الدراسة نظرة شاملة لخصائص المدارس المستقلة الاسكتلندية ،موقعها ، دمائها ، رسومها ، والتمييز بين وجهات المدارس المختلفة في القطاع ، والجزء الرئيسي من هذا البحث هو تحليل لفظي للنصوص لثلاثة مدارس مستقلة ،كدراسة حاله من أجل اظهار كيفية بناء هذه المدارس لأنفسهم.

وأجرى بالفريمان (2007) Palfreyman دراسة بعنوان المدارس المستقلة :المركز الداعم والفائدة العامة ، وتناولت الدراسة المدارس المستقلة في بريطانيا ، حيث ان المدارس المستقلة فيها لها مركز داعم خاص بها ، وقد عقد امتحان لتحديد كمية المال المزود والرعاية لهذه المدارس ، واقترحت هذه الدراسة أن هذا الأمتحان سوف يكون بشكل جيد حيث يتضمن التكلفة المادية والفائدة لهذه المدارس المستقلة.

وأجرى حسنين (2007) دراسة هدفت الى الكشف عن دور مراكز مصادر التعلم بالمدارس المستقلة في دولة قطر في تحديث العملية التعليمية والتربوية: دراسة للواقع وتخطيط للمستقبل ، حيث شهد التعليم في دولة قطر خلال السنوات الماضية مجموعة من التطورات وذلك بهدف النهوض به والوصول به إلى مستويات عالمية. ومن بين هذه التطورات التي ظهرت إنشاء ما يعرف بالمدارس المستقلة. (المدرسة المستقلة هي مدرسة ممولة حكومياً ولها الحرية بتنفيذ رسالتها وأهدافها التعليمية الخاصة بها مع الالتزام بالبنود المنصوص عليها في العقد المبرم مع المجلس الأعلى للتعليم) ، حيث تبلغ ميزانية التعليم في قطر 6 مليارات ريال ، التي خطت خطوة نوعية بإيقاع طريقة التعليم المستقل منذ عام 2004 والتي بدأتها ب (12) مدرسة والآن أصبح عددها 46 مدرسة تعطي الإدارة المدرسية فيها الطلاب حرية اختيار الكتب المدرسية وطرق التعليم وبرنامج الدروس . ومما يعزى نجاح أي مدرسة بصورة أولية إلى نوعية التعليم الذي تزود به طلابها؛ و تأكيداً لحقيقة أن كل طالب يجب أن يزود بالاستجابات الأولية للتعلم ، فإن البيئة التي يحدث فيها هذا التعلم يجب أن تتكون من كفاءات، و

قدرات ، و مثيرات ، و طرق تدريس ، و ما يشبه هذه العوامل التي تترابط و تتداخل مع بعضها و يحتمل أن تؤثر على تلك البيئة . و حيث أن التعلم هو نشاط فردي عالي المستوى فإن مركز مصادر التعلم يؤكد مبدئياً على خدمة العديد من احتياجات الطلاب المتنوعة وأساليب تعلمهم ضمن مفهومه العام.ومما لاشك فيه أن المكتبة مهما كان الاسم الذي يطلق عليها يجب أن تحتل دوراً مركزياً في المصادر التعليمية للمؤسسات التربوية.

وأجرت مايربيرغ Myrberg (2007) هدفت الى قياس تأثير تعليم التعليم الرسمي على تحصيل القراءة لدى طلبة الصف الثالث في المدارس الحكومية والمستقلة في السويد ، وبحثت هذه الدراسة في تأثير كفاءة المعلم عن التحصيل القرائي للصف الثالث ،وبلغ عدد أفراد العينة 10.000 طالب من طلبة المدارس المستقلة ، وحصل هؤلاء الطلبة على تقدير عالي في امتحان القراءة عند ضبط عينة الآباء المتعلمين ، ولم تظهر الدراسة أي فروق احصائية لدى المعلمين تعزى الى متغيرات الخبرة التدريسية ، الجنس ، والعمر .

وأجرى داونز Downes(1998) دراسة تحليلية بعنوان : لا لمسألة التبعية المالية ؟ مرونات المساعدات للمدارس المستقلة . حيث انه كان هناك تصور بأن الوضع المالي للمدرسة المستقلة في المدينة والتي تعتمد عليها خمس مناطق واسعة في ولاية نيويورك يخلق عائقا أمام تحقيق المعايير. وجاءت الدراسة كمحاولة لتقييم تأثير الاعتماد المالي على الإنفاق على التعليم. وتشير النتائج إلى أن مستويات الإنفاق بصورة منتظمة قد يكون أقل من ذلك في المناطق التي يوجد بها مدرسة مستقلة. و مع ذلك هنالك أدلة تذكر على أن حكومات الغرض العام لهذه المناطق هي التي تعتمد ماليا "سرقة" حصة غير متناسبة من مساعدات الدولة للتعليم. وأختتم كلمتي تقييم السياسات التي يمكن أن تخفف من أي أثر ضار أن الاعتماد المالي قد يكون. تقييم هذا يقودني إلى الاستنتاج بأنه ، حتى لو مستويات الانفاق ليست كافية ، والتخلص من التبعية المالية قد لا تكون أفضل سياسة لمعالجة هذه المشكلة. بدلا من ذلك ، يمكن لواضعي السياسات النظر في التغييرات التي من شأنها أن تسهل وتخصص عائدات مالية ثابتة إلى هذه المدارس وتنظمها.

وأجرى فري Frey(1995) دراسة تحليلية ومراجعة للكتاب الذي ألفه باس Bass(1992) ، والذي كان بعنوان: مدارس مستقله ومفكرين مستقلين . وهدفت الدراسة التحليلية التعرف على مفهوم المدرسة المستقلة وآلياتها، وعرف المدرسة المستقلة بأنها التي تكون مستقلة من حيث التمويل والإدارة ، فهي لا تعتمد على الحكومة الوطنية أو المحلية من أجل تمويل عملياتها ولا تعتمد على مساهمات دافعي الضرائب ، وبدلا من ذلك يتم تمويلها من خلال مزيج من الرسوم الدراسية ، والهدايا ، و في بعض الحالات على العائد من الاستثمارات. و يحكمها مجلس الإدارة الذي يتم انتخابه من قبل وسيلة مستقلة ونظام الحكم الذي

يضمن عملها المستقل. و قد تتلقى أموالا حكوميةومع ذلك يجب أن تكون مستقلة عن مجلس الإدارة. و في كثير من الأحيان وخاصة في الاستخدام الشعبي تستخدم المدارس المستقلة والمدارس الخاصة كمرادفات ، وهذه التعاريف العامة للمدرسة المستقلة يمكن ان تنطبق على التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي ، ومؤسسات التعليم العالي.

والخلاصة أن موضوع المدارس المستقلة يفتقر الى الدراسات والابحاث التي تخوض فيه بشكل مباشر ، واستفاد الباحث من هذه الدراسات المتوفرة في وضع هدف الدراسة الحالية وأسئلتها ، وأهم مايميز هذه الدراسة عدم تطرق أي دراسة سابقة الى امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين، وتحديدا في الأردن و الدول العربية .

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة ، بجمع البيانات عنها وتبويبها وتحليلها ، والربط بين مدلولاتها.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من (37) مدير تربية في مديريات التربية والتعليم التابعة لوزارة التربية والتعليم .

عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة القصدية ، مع مراعاة معايير الخبرة والتميز، من المجتمع الكلي حيث تكونت من (18) مدير تربية في مديريات التربية والتعليم التابعة لوزارة التربية والتعليم .

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على الخبراء التربويين الذين اعتمدتهم الدراسة، وتتحدد نتائج هذه الدراسة بنتائج واستجابات افراد عينة الدراسة، ويتحدد زمن اجراء الدراسة في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2010/2009.

أداة الدراسة

من خلال الدراسات السابقة ، وخاصة دراسة مشعل (2008) ، ودراسة المجلس الاعلى للتعليم في قطر (2006) ، ولتحقيق الغرض من الدراسة أعد الباحث استبانه تحددت فيها مجالات الدراسة ، وقام الباحث بوضع عدد من الفقرات تحت كل مجال من المجالات والتي يمكن أن تمثل مبادئ المدارس المستقلة في الأردن ، والمبادئ هي :الاقتصادية ، التربوية ، و مبادئ الرقابة.

وقد استخدم الباحث تدريج خماسي يمثل درجة الاستجابة على فقرات الأداة ، ولأغراض تحليل البيانات اعتمد الباحث ترتيب المتوسطات الحسابية للفقرات كالتالي:

المتوسطات 4 فأعلى تمثل درجة عالية والمتوسطات 3-3.99 تمثل درجة متوسطة والمتوسطات 2.99 فما دون تمثل درجة متدنية .

صدق الأداة

تم التحقق من صدق الأداة عن طريق عرضها على لجنة من المحكمين والمتخصصين من أساتذة الجامعات الأردنية في مختلف التخصصات التربوية للاسترشاد برأيهم حول درجة انتماء الفقرات ومناسبتها للمجالات التي تم تحديدها وإضافة وحذف وتعديل ما يرونه مناسباً .

ثبات الأداة

للتحقق من ثبات الأداة تم حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي من خلال معادلة كرونباخ ألفا(Cronbach Alpha) ، وقد بلغ معامل الثبات للأداة ككل (0.88) واعتبرت هذه القيم مقبولة لأغراض الدراسة، والجدول (1) يبين ذلك.

الجدول (1) معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا للمجالات للأداة ككل

المجال	معامل الثبات
المبادئ التربوية	0.90
المبادئ الاقتصادية	0.86
مبادئ الرقابة	0.88
المبادئ ككل	0.88

المعالجة الإحصائية

للإجابة عن أسئلة الدراسة، تم إجراء المعالجات الإحصائية المناسبة بعد إدخال البيانات على جهاز الحاسوب لتحليلها على برنامج (SPSS) ومعالجتها إحصائيا ، وقد تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف على آراء عينة الدراسة ودرجة موافقتها على كل مفردة .

نتائج الدراسة ومناقشتها

عرض النتائج المتعلقة بالسؤال المحوري ونصه: " ما امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ؟

وللإجابة على هذا السؤال تم عرض مبادئ المدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن من وجهة نظر الخبراء التربويين.

1.المبادئ التربوية:

يبين الجدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
1	تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة بالابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال	3.01	1.11	متوسطة
2	تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة على التفكير النقدي واتخاذ القرار	2.97	1.26	متدنية
3	تشجع هذه المدارس على الابتكار لدى الطلبة	2.73	1.15	متدنية
4	تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة على حل المشكلات والعمل الجماعي	2.55	1.19	متدنية
5	وزارة التربية والتعليم هي الجهة المشرفة على انشاء المدارس المستقلة	2.16	1.08	متدنية
6	توفر طرائق تدريس خاصة بكل مادة تدريسية	2.05	1.03	متدنية
7	توفر برامج تدريبية لرفع مستوى المعلمين	1.97	1.38	متدنية
8	مناهج المدرسة المستقلة ضمن معايير دولية وتواكب متطلبات هذا العصر	1.91	1.27	متدنية
9	المدرسة المستقلة لها الحرية في اختيار خطتها التعليمية وطرقها	1.83	1.16	متدنية
10	في المدارس المستقله يتمتع أولياء الامور باختيار المدرسة الاكثر ملائمة لاحتياجات ابنائهم بين المدارس المستقله	1.77	1.09	متدنية
الكلي		2.29	1.01	متدنية

يبين الجدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ التربوية للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (3.01) في حدها الأعلى وكانت لفقرة " تنميَ المدرسة المستقلة قدرات الطلبة بالابداع في التعليم والقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية والتواصل الفعال " ، وبين (1.77) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " في المدارس المستقله يتمتع أولياء الامور باختيار المدرسة الاكثر ملائمة لاحتياجات ابنائهم بين المدارس المستقله ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين . ويعزى ذلك أن تطور التكنولوجيا والمعرفة الذي حدث في الأردن في مجالات التربية والتعليم من حيث ادخال الوسائل التكنولوجية الحديثة في منظومة التعليم الأردني ، وتطوير قدرات المعلمين وادارة المدرسة لتواكب عصر الاقتصاد المعرفي ، أوجدت البدائل المتطورة التي تتماشى والتقدم العالمي في مجال التعليم من حيث ايجاد مدرسة المستقبل الذكية والمدرسة الالكترونية. إلاَ ان هذا التطور والتقدم يحتَم علينا أخذ المفيد من التجارب العالمية في مجال التربية والتعليم والتي تتماشى وفلسفة التربية والتعليم في الاردن ، حيث ان تطبيق مبادئ المدارس المستقبلية في الأردن ليس مستحيلا ، رغم ما تمليه ثقافتنا العربية والاردنية تحديدا من الخوف والحذر من تطبيق ماهو جديد من الافكار والرؤى الحديثة . وبوجود أنموذج ناجح للمدارس المستقلة والمطبق حاليا في دولة قطر والذي ساعدها على دخول مرحلة جديدة ومتميزة في التعليم من حيث الجودة والتميز على مستوى العالم ، يدعونا لمحاولة الخوض في تجربة تعليم نوعي جديد في الاردن ، وذلك باعتبار الاردن من الدول العربية المتقدمة في مجالات التعليم والتطوير التربوي وفي تدعيم الرؤى الاستراتيجية لاستثمار الانسان . ونلاحظ ان البيئة التعليمية للمدارس المستقلة هي محفزة للطلبة والمعلمين ، فالطلبة يكونوا مستقلين وقادرين على حل المشكلات ذاتيا ، بوجود معلمون أكفاَء يتمتعون بأدوار متجددة في المدارس المستقلة.

2.المبادئ الاقتصادية:

يبين الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
1	تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقلة لدعم الطلبة	2.41	1.08	متدنية
2	تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقلة لدعم البرامج التعليمية ذات الطابع الابتكاري	2.36	1.11	متدنية
3	وزارة التربية والتعليم هي التي تدعم وتساند المدارس المستقله للاشراف على خططها المالية	1.93	1.27	متدنية
4	يوجد بهذه المدارس مجلس أمناء يساهم في زيادة مواردها المالية .	1.78	1.38	متدنية
الكلي		2.12	0.97	متدنية

يبين الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال المبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (2.41) في

حدها الأعلى وكانت لفقرة " تقوم وزارة التربية والتعليم بتمويل المدارس المستقله لدعم الطلبة " ، وبين (1.78) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " يوجد بهذه المدارس مجلس أمناء يساهم في زيادة مواردها المالية ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين. ويعزى ذلك إلى تردي الأوضاع الاقتصادية الحالية على صعيد الاردن بشكل خاص ، وعلى الصعيد الدولي بشكل عام ، و في ظل الازمة المالية العالمية المعاصرة ، و بوجود عجز مالي في موازنة الدولة الاردنية ، فان مثل هذه المبادئ والتي تحتاج لميزانية مالية كبيرة ونفقات كبيرة من حيث انشاء المدارس المستقلة والتي تتميز بمباني كبيرة وضخمة وتجهيزات حديثة من وسائل تكنولوجية وخدمات عالية الجودة ، ونفقات الرواتب والاجور (النفقات التشغيلية للمدرسة) حيث أن رواتب العاملين في مثل هذه المدارس تكون أعلى مقارنة بمن يعملون في مدارس الحكومة ، وجميع هذه النفقات يتم تمويلها من قبل الدولة ،لايمكن تنفيذها حاليا أو الاخذ بها في الواقع الاردني ، من وجهة نظر خبراء التربية في الاردن.

ولكننا ان امعنا النظر بالمبادئ الاقتصادية للمدارس المستقلة والتي من الممكن تطبيقها في الأردن ، فيمكن لنا في ظل الاوضاع الراهنة ايجاد حلول لتطبيق هذه المبادئ ،مثل اصلاح مدارس حكومية وترميمها وتحويلها الى مدارس مستقلة ضمن مواصفات الجودة المطلوبة لمباني المدارس المستقله ، وبمشاركة من المجتمع المحلي الممثل بمجلس أمناء المدارس المستقلة والذين من واجباتهم توفير التمويل اللازم والدعم المالي لخوض غمار هذه التجربة الفريدة في معظم دول العالم العربي ، والتي ترفع من سوية وتميز الطالب الاردني.

3.مبادئ الرقابة:

يبين الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
1	تزود مجلس أمنائها وأولياء أمور الطلبة والمسؤولين عن مدى تحقيق دورها كونها خاضعة للمسائلة والمحاسبة	3.46	1.12	متوسطة
2	تخضع لتقييم دوري من قبل وزارة التربية والتعليم	2.73	1.18	متدنية
3	تقوم بمساعدة الطلبة على تحسين أدائهم وتطويره	2.28	1.06	متدنية
4	تبلغ المدرسة المستقلة بنتيجة أداء الطلبة للجهات المسؤولة عنها	1.70	0.97	متدنية
5	تخلق في طياتها كوادر ادارية وفنية ذات مهارات وكفاءة عالية	1.66	1.16	متدنية
6	تراقب المدرسة المستقله أداء جميع الطلبة باستمرار دون استثناء	1.51	0.93	متدنية
الكلي		2.22	0.89	متدنية

يبين الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة لاستجابة الخبراء على الفقرات المتعلقة بمجال مبادئ الرقابة للمدارس المستقلة التي من الممكن تطبيقها في الأردن ، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين الفقرات في هذا المجال (3.46) في حدها الأعلى وكانت لفقرة " تزود مجلس أمنائها وأولياء أمور الطلبة والمسؤولين عن مدى تحقيق دورها كونها خاضعة للمسائلة والمحاسبة " ، وبين (1.51) في حدها الأدنى وكانت لفقرة " تراقب المدرسة المستقله أداء جميع الطلبة باستمرار دون استثناء ". وجاءت باقي فقرات المجال على درجة متدنية من الأهمية من قبل الخبراء التربويين. ويعزى ذلك إلى أن النظام التربوي الاردني قائم على مبادئ الشفافية والمسائلة والمحاسبية ، وأن جميع مدارس وزارة التربية والتعليم في الأردن تخضع لبرامج الرقابة الأدارية والتربوية ، وأن الادارة المدرسية في الاردن تقوم بابلاغ الطلبة بنتائجهم ، وتقوم برامج التطوير والتدريب في وزارة التربية والتعليم بمتابعة سير تطوير المعلم الأردني من حيث عقد دورات تدريبية وورش عمل لرفع سويته ، وأقرت وزارة التربية والتعليم في الأردن شرط الترقية للمعلمين بالحصول على رخصة القيادة الدولية للحاسوب "ICDL". ومع كل هذا الاهتمام والتطور الذي حققه الاردن في النظام التربوي فلا مانع لنا من الاستفادة من تجارب الغير في تطوير النظام التربوي للأفضل لتحقيق مستقبل تزهو به الأجيال الواعدة.

ونلاحظ في نتائج الدراسة أن المتوسط الكلي لمجالات امكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ،جاءت بدرجة متدنية ، والجدول (5) يبين ذلك.

الجدول (5) المتوسط الكلي لمجالات الدراسة ككل

المبادئ	المتوسط الحسابي	درجة التقدير
المبادئ التربوية	2.29	متدنية
المبادئ الاقتصادية	2.12	متدنية
مبادئ الرقابة	2.22	متدنية
الكلي	2.21	متدنية

أشارت نتائج الدراسة الى أن المتوسط الكلي لامكانية تطبيق مبادئ المدارس المستقلة من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن ، بلغ (2.21) للمبادئ ككل و بدرجة تقدير متدنية . ويعزى ذلك الى التقدم والتطوير الذي تتبناه وزارة التربية والتعليم وما حققه في مجال التحول نحو الاقتصاد المعرفي في النظام التربوي الاردني ، وهذا لايمنع أن نبدأ بالتحول الى تجارب جديدة ومفيدة لنظامنا التربوي فإن ما تحققه المدارس المستقله من تطوير في الأهداف التربوية وما تسخَره لتنمية الطلبة وتطويرهم باعتبارهم محور العملية التعليمية التعلمية من خلال استخدامها لأحدث اساليب التدريس القائمة على الحوار والنقاش . وكذلك تلبية المدارس المستقلة للشراكة المجتمعية في التعليم في تحقيق التعليم للجميع وربط التعليم باحتياجات المجتمع.

التوصيات

- عقد دورات تدريبية في وزارة التربية والتعليم لتعريف المعلمين بالمدارس المستقلة من حيث مفهومها وماهيتها وآلياتها.
- العمل على اعداد استراتيجية تربوية مستقبلية على مستوى النظام التربوي الاردني تكون واعية ومرشدة للتطور التربوي العالمي خلال القرن الحادي والعشرين.
- السعي إلى بناء كوادر تعليمية فاعلة في ظل عالم يحكمه مجتمع المعرفه .

- الأخذ ببعض المبادئ التي تقوم عليها المدارس المستقلة من حيث تفعيل الرقابة على المدارس التابعة لوزارة التربية و التعليم.

- إجراء المزيد من هذه الدراسات في هذا مجال المدارس المستقلة، بحيث تتضمن متغيرات أخرى ، ومقارنة للمدارس الحكومية .

أولا:المراجع العربية

سلامة محمد ،2008. قضايا محلية : *المدارس المستقلة.. تجربة يجب تعميمها للربط بين قطاع التعليم وسوق العمل* ، صحيفة الدستور اليومية العدد (136) بتاريخ 2008/6/12 ،الاردن .

ناصر ، ابراهيم 2006 . **أسس التربية** ، (ط2). عمان : دار عمار للنشر.

مشعل ، صالح 2008 . *اتجاهات مديري المدارس ووكلائهم نحو العمل في المدارس المستقلة في دولة قطر* ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا ، عمان ، الاردن.

الهيدوس، صباح (2007) . **المدارس المستقلة** . www.lakom-qa/vieww-ebisode

العميان ، محمود سليمان (2002) . السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال . عمان : دار وائل للنشر والتوزيع.

المجلس الأعلى للتعليم بدولة قطر (2006).*مجلة تعليم لمرحلة جديدة* ، (الجزء الاول)، قطر.

حسنين ، مصطفى (2007) ، *دور مراكز مصادر التعلم بالمدارس المستقلة في دولة قطر في تحديث العملية التعليمية والتربوية: دراسة للواقع وتخطيط للمستقبل*، محور المكتبات ومحو الأمية.المؤتمر القومي الحادي عشر لاخصائي المكتبات والمعلومات في مصر 26-28يونيه 2007 .

ثانيا:المراجع الأجنبية

-Dewey,j, 1943. Quoted in kilputrical w.1 . **Source Book in philosophy of educayion** , p4.

-Downes, Thomas A (1998**) .** *Does fiscal dependency matter? Aid elasticities for dependent and independent school districts* , Department of Economics, Tufts University, Medford, MA 02155, USA.

- Forbesa,JandWeinerb, G.2008 *Under-stated powerhouses* **:** *Scottish independent schools, their characteristics and their capitals*. Studies in the Cultural Politics of Education . Vol. 29, No. 4, December 2008, pp 509 525.

-Frey , Donald (1995).' *Book review Independent schools, independent thinkers : Edited by . San Francisco: Jossey-Bass, 1992*'. Economics of Education Review Volume 14, Issue 1, March, Pages 92-97.

-Myrberg ,Eva (2007) .*The effect of formal teacher education on reading achievement of 3rd-grade students in public and independent schools in Sweden*. Educational Studies , Vol.33 . No.2 ,june 2007,pp.145-162.

-Palfreyman , David (2007) . *Independent schools: charitable status,public benefit and UDI* **.** Education and the Law, Vol. 19, Nos. 3/4, September December 2007, pp. 167 175.

Journal of
Averroes University
in Holland

A quarterly periodical arbiter scientific journal

Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

Annual contribution	Individuals	Organizations
Anuual	60	80
Two years	110	150
Three years	160	200

Second Issue April 2011

Journal of Averroes University in Holland

Issue 2 **Price €10,00**

